



جامعة سهان



جامعة تشرين

# دراسات في اللغة العربية وأدابها

٣

سنوية صالح: موقع الشعر ودلالة الاختلاف

الدكتورة لطفيه إبراهيم بره

أسس نحوية و لفوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني

الدكتور ابتسام أحمد حمدان

منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي

علي زائرى وند

آليات النص وفاعليات ما قبل التناص

الدكتور وفيق سليمان

في رحاب الاستشهاد الأدبي باشعار الكميت

الدكتور حيدر شيرازي

وقفات مع مذكرات بخلل محمد الفايز

الدكتور شاكر العامري

من استدرك البحر المتدارك على البحور الخليلية

الدكتور علي أصغر قهرمانی مقبل

دور القرينة في دلالة صيغة الحدث في العربية

الدكتور إبراهيم محمد البب

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعتي:

سهان - إيران

السنة الأولى، العدد الثالث، خريف ١٤٨٩ / ٢٠١٠

# دراسات في اللغة العربية وآدابها

## مجلة فصلية علمية محكمة

صاحب الإمتياز: جامعة سمنان

المدير المسؤول: الدكتور صادق عسكري

رئيس التحرير: الدكتور محمود خورسندی والدكتور عبدالكريم يعقوب

المستشار العلمي: الدكتور آذرتاش آذرنوش

المدير الداخلي: الدكتور إحسان إسماعيلي طاهري

### هيئة التحرير (حسب الحروف الأبجدية):

أستاذ جامعة طهران  
أستاذ مشارك بجامعة تشرين  
أستاذ مشارك بجامعة تشرين  
أستاذ جامعة تشرين  
أستاذ مساعدة بجامعة تشرين  
أستاذ مشارك بجامعة سمنان  
أستاذ مشارك بجامعة تشرين  
أستاذ جامعة تربیت معلم  
أستاذ مساعد بجامعة سمنان  
أستاذ مساعد بجامعة علامہ طباطبائی  
أستاذ مشارك بجامعة همدان  
أستاذ جامعة علامہ طباطبائی  
أستاذ جامعة تشرين

الدكتور آذرتاش آذرنوش  
الدكتور إبراهيم محمد الباب  
الدكتورة لطفية إبراهيم برهم  
الدكتور محمد إسماعيل يصل  
الدكتورة رنا جوني  
الدكتور محمود خورسندی  
الدكتور وفيق محمود سليمان  
الدكتور حامد صدقی  
الدكتور صادق عسكري  
الدكتور علي گنجیان  
الدكتور فرامرز میرزاپی  
الدكتور نادر نظام طهرانی  
الدكتور عبدالکریم یعقوب

الطباعة والتجلید: جامعة سمنان

منقح النصوص العربية: الدكتور شاکر العامری

منقح الملخصات الإكلیلیة: الدكتور هادی فرجامی

الخبير التنفيذي: السيد روح الله الحسینی الطاهری

العنوان: ایران، مدينة سمنان، جامعة سمنان، كلية العلوم الإنسانية، مكتب مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها

البريد الإلكتروني: Lasem@Semnan.ac.ir

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

# دراسات في اللغة العربية وآدابها

مجلة علمية محكمة، تصدرها جامعتنا  
سمنان و تشرين، في إيران و سوريا

السنة الأولى، العدد الثالث

خريف / ۱۳۸۹

- ✓ حصلت مجلة «دراسات في اللغة العربية وآدابها» على درجة «علمية محكمة» اعتباراً من عددها الأول من قبل وزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا الإيرانية.
- ✓ بمحض الكتاب المرقم بـ ۹۱/۳۵۱۸۰ المؤرخ ۱۳۹۱/۰۴/۱۸ للهجرية الشمسية الموقعة لـ ۲۰۱۲/۰۷/۰۸ للميلاد الصادر من قسم البحوث بمركز التوثيق لعلوم العالم الإسلامي (ISC) التابعة لوزارة العلوم الإيرانية يتم عرض مجلة «دراسات في اللغة العربية وآدابها» العلمية المحكمة في قاعدة مركز التوثيق لعلوم العالم الإسلامي منذ سنة ۲۰۱۰ للميلاد.

- ✓ این نشریه برلسانس مجوز 88/6198 مورخه 25/8/87 اداره کل مطبوعات داخلی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی منتشر می شود.
- ✓ بر لسانس نامه ای شماره 91/35180 معاونت پژوهشی پایگاه استنادی علوم جهان اسلام مورخه 1391/04/18 هـ.ش مجله ای علمی پژوهشی «دراسات في اللغة العربية وآدابها» از سال 2010م در پایگاه استنادی علوم جهان اسلام (ISC) نمایه سازی شده است.

## شروط النشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وأدابها

مجلة دراسات في اللغة العربية وأدابها مجلة فصلية محكمة تتضمن الأبحاث المتعلقة بالدراسات اللغوية والأدبية التي تبرز التفاعل القائم بين اللغتين العربية والفارسية، وتسليط الأضواء على المثاقفه التي تمت بين الحضارتين العريقتين.

تنشر المجلة الأبحاث المبتكرة في المجالات المذكورة أعلاه باللغة العربية مع ملخصات باللغات العربية والفارسية والإنجليزية على أن تتحقق الشروط الآتية:

١- يجب أن يكون الموضوع المقدم للبحث جديداً ولم ينشر من قبل، ويجب أن لا يكون مقدماً للنشر لأية مجلة أو مؤتمر في الوقت نفسه.

٢- يرتب النص على النحو الآتي:

أ) صفحة العنوان: (عنوان البحث، اسم الباحث ومرتبته العلمية وعنوانه والبريد الإلكتروني).

ب) الملخصات الثلاثة (العربية والفارسية والإنجليزية في ثلاثة صفحات مستقلة حوالي ١٥٠ كلمة) مع الكلمات المفتاحية في نهاية كل ملخص.

ت) نص المقالة (المقلمة وعناصرها، المباحث الفرعية ومناقشتها، الخاتمة والنتائج).

ث) قائمة المصادر والمراجع (العربية والفارسية والإنجليزية)، وفقاً للترتيب الهجائي لشهرة المؤلفين.

٣- تدون قائمة المراجع بالترتيب الهجائي لشهرة المؤلفين متبوعة بفاصلة يليها بقية الاسم متبوعاً بفاصلة، عنوان الكتاب بالحرف المائل متبوعاً بفاصلة، رقم الطبعة متبوعاً بفاصلة، مكان النشر متبوعاً بنقطتين، اسم الناشر متبوعاً بفاصلة، تاريخ النشر متبوعاً بنقطة.

وإذا كان المرجع مقالة في مجلة علمية فيبدأ التدوين بالشهرة متبوعة بفاصلة ثم عنوان المقالة متبوعاً بفاصلة ضمن علامات التنصيص، عنوان المجلة بالحرف المائل متبوعاً بفاصلة، رقم العدد متبوعاً بفاصلة، تاريخ النشر متبوعاً بفاصلة ثم رقم الصفحة الأولى والأخيرة متبوعاً بنقطة.

٤- تستخدم الهوامش السفلية كل صفحة على حده ويتم اتباع الترتيب الآتي إذا كان المرجع كتاباً: اسم الكاتب بالترتيب العادي تتبعه فاصلة، عنوان الكتاب بالحرف المائل تتبعه فاصلة، رقم الصفحة متبوعاً بنقطة.

وإذا كان المرجع مقالة فيتبع الترتيب الآتي في الحاشية السفلية: اسم الكاتب بالترتيب العادي متبوعاً بفاصلة، عنوان المقالة متبوعاً بفواصله ضمن علامات التصنيف، عنوان المجلة بالحرف المائل، رقم الصفحة متبوعاً بنقطة.

٥- تخضع البحث لتحكيم سري من قبل حكمين لتحديد صلاحيتها للنشر. ولا تُعاد الأبحاث إلى أصحابها سواء قُبِّلت للنشر أم لم تُقبل.

٦- يذكر المعادل الإنكليزي للمصطلحات العلمية عند ورودها لأول مرة فقط.

٧- يجب ترقيم الأشكال والصور حسب ورودها ضمن البحث بين قوسين صغيرين، وتوضع دلالاتها تحت الشكل. كما ترقم الجداول بالأسلوب نفسه، وتوضع الدالة فوقها.

٨- ترسل البحث بواسطة البريد الإلكتروني للمجلة حصراً على أن تتمت بالمواضفات التالية: غيات الصفحات Simplified Arabic A4، قياس ١٤، الهوامش ٣ سم من كل طرف وندرج الأشكال والجداول والصور في موقعها ضمن النص.

٩- يجب أن لا يزيد عدد صفحات البحث على عشرين صفحة بما فيها الأشكال والصور والجداول والمراجع.

١٠- في حال قبول البحث للنشر في مجلة دراسات في اللغة العربية وأدابها يجب عدم نشره في أي مكان آخر.

١١- يحصل صاحب البحث على ثلاثة نسخ من عدد المجلة الذي ينشر فيه بحثه.

١٢- الأبحاث المنشورة في المجلة تعتبر عن آراء الكتاب أنفسهم، ولا تعتبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير، فالكتاب يتحملون مسؤولية المعلومات الواردة في مقالاتهم من الناحيتين العلمية والحقوقية.

١٣- ترسل المراسلات والمراجعات إلى رئيس تحرير المجلة على العنوان التالي: في إيران: سمنان، جامعة سمنان، كلية العلوم الإنسانية، مكتب المجلة، الدكتور محمود خورسندی.

Lasem@Semnan.ac.ir — ٠٢٣١٣٣٥٤١٣٩

في سوريا: اللاذقية، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدكتور عبد الكريم يعقوب،

٠٠٩٦٣٤١٤١٥٢٢١

## كلمة العدد

اللغة العربية لغة حية متكاملة تدين إليها الثقافة الإسلامية وحضارتها مدى الأعصار والقرون الماضية في تبين القيم الإنسانية. وقد كان القرآن الكريم آخر معجزة سماوية، أعظم ما أهداه العربية إلى البشرية.

إن البحث في تاريخ الأدبين العربي والفارسي ونصولهما النثرية والشعرية ودراسة ما فيهما من العلوم والفنون القديمة والحديثة تكسبنا المهارات الضرورية لتنمية مستوى التعامل بين الشعوب الإسلامية.

هذا وبناء على الرغبة المتبادلة بين جامعة سمنان وجامعة تشرين في توسيع العلاقات الثقافية والعلمية، تم الاتفاق بين الجامعتين لنشر مجلة علمية مشتركة بعنوان: دراسات في اللغة العربية وأدابها تهدف إلى نشر الأبحاث والدراسات الأبية واللغوية التي تبرز التفاعل القائم بين اللغتين العربية والفارسية عبر العصور وتسلیط الأضواء على المثقفة التي تمت بين الحضارتين العريقتين.

تنشر المجلة الأبحاث النقدية المتعلقة باللغة العربية وأدابها صرفاً ونحواً وبلاغة، إلى جانب الدراسات المقارنة بين العربية والفارسية. ويتم النشر طبعاً بعد تحكيم علمي دقيق حسب المعايير العلمية والمواصفات الفنية.

وتتجدر الإشارة أخيراً إلى أن القائمين على المجلة في إيران وسوريا يطمحون في رفع مستوى المقالات علمياً ومنهجياً. فالمطلوب من المؤلفين والمنقحين والحكام التركيز على الموضوعات الجديدة والاهتمام بالمعايير العلمية والمنهجية في أبحاثهم.

## فهرس المقالات

|          |  |                               |
|----------|--|-------------------------------|
| ١.....   | سنية صالح: موقع الشعر ودلالة الاختلاف .....                        | الدكتورة لطفيّة إبراهيم برهم  |
| ١٩.....  | أسس نحوية و لغوية في التفكير البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ..... | الدكتور ابتسام أحمد حمدان     |
| ٤٣.....  | منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي .....                    | علي زائرى وند                 |
| ٥٥.....  | آليات النص وفاعليات ما قبل التناص .....                            | الدكتور وفيق سليمان           |
| ٦٥.....  | في رحاب الاستشهاد الأدبي بأشعار الكميت .....                       | الدكتور حيدر شيرازي           |
| ٩٣.....  | وقفات مع مذكرات بحار لمحمد الفايز .....                            | الدكتور شاكر العامری          |
| ١١٩..... | من استدرك البحر المتدارك على البحور الخليلية .....                 | الدكتور علي أصغر فهرمانی مقبل |
| ١٤١..... | دور القرينة في دلالة صيغة الحدث في العربية .....                   | الدكتور إبراهيم محمد البب     |

# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرْبِ

أ. علاء الدين شوقي

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)



## سنية صالح: موقع الشعر ودلالة الاختلاف

\* الدكتورة لطفيه إبراهيم برهان

### الملخص

يتناول هذا البحث من شعر "سنية صالح" متنًا له، يشتغل عليه؛ ليحدد موقع الشعر ودلالة الاختلاف، التي لا تتأتي من خروج التجربة الشعرية للشاعرة مع حركة الحداثة الشعرية العربية على نظرية عمود الشعر العربي، بل تتأتي من خروجها على قيم الحداثة الشعرية العربية نفسها خروجاً نرصده عبر محورين هما: المغايرة والاختلاف، وتحطي الخطاب الإيديولوجي، وهو محوران يحيسانان الصوت الشعري الخاص لـ "سنية صالح".

كلمات مفتاحية: موقع الشعر، المغايرة والاختلاف، التفرد.

### المقدمة

تنتهي تجربة الشاعرة "سنية صالح"، منذ بداية السبعينيات، إلى حركة الحداثة الشعرية العربية، التي تجاوزت نظرية عمود الشعر العربي، وأسست مفهوماً جديداً للكتابة الشعرية، يتجاوز تحديد الشعر بالوزن؛ لأنّه تحديد خارجي، سطحي، قد ينافق الشعر، ويرتبط بالنظم لا بالشعر؛ ذلك لأنّ كلّ كلام موزون ليس شعرًا بالضرورة، ولأنّ كلّ نثر ليس خالياً، بالضرورة، من الشعر. فالشعر مهمًا تخلص من القيود الشكلية والأوزان يبقى شعرًا، والنشر مهمًا حفل بخصائص شعرية يبقى نثراً لوجود فروق أساسية بين الشعر والنشر<sup>١</sup>.

"سنية صالح" من الجيل الثاني من شعراء قصيدة النثر؛ الجيل الذي ظلم في الخطاب النقدي العربي الحديث مررتين: مرّة عبر الإصرار على أنه الجيل الثاني المتأثر حكماً بمن سبّقه تأثيراً يوقفه دون مرتبة الجيل الأول قطعاً، ومرة ثانية حين وافقت رؤية أغلىية قصائد رؤية رواد حركة الحداثة الشعرية العربية الحديثة، وهو ظلم طال الشاعرة "سنية" مع أنها لم تتحلّر من سلالته شعرية، أو تيار شعري مقتنٍ، بل خرجت على نسق الحداثة الشعرية العربية نفسه، الذي تنتهي إليه.

\* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

تاریخ الوصول: ٨٩/٥/٣٠ تاریخ القبول: ٨٩/٨/١٥

١ بنظر: - أدونيس مقدمة للشعر العربي ص ١١٢ .

- أدونيس زمان الشعر ص ١٦ .

أهمية البحث والمدف منه: تتأتى أهمية البحث من أنه ينطلق من النصّ الشعري، الذي لا ينفصل عن سياقه: التاريخي والاجتماعي؛ ليضيء تجربة شعرية مهمة لم تأخذ حقّها في الخطاب النقدي العربي الحديث والمعاصر.

أما المدف منه فيتجلى في تحديد موقع الظاهرة المدروسة في حركة التجربة الشعرية العربية الحديثة. منهج البحث: يعتمد البحث على البنية التكوينية بوصفها رؤية نقدية، تبدأ بقراءة لغوية، تفكك النص؛ لتصل إلى الأجزاء والوحدات المكونة له، وبخاصة الأكثر دلالة، ثم دمج هذه البنية الجزئية في بنية أكثر اتساعاً من الأولى بوساطة التركيب، تمهدًا للانتقال إلى البعدين التاريخي والاجتماعي للنص؛ أي بعد الثقافى الذي أنتج فيه، وكشف التواه الحقيقية له؛ أي الرؤيا؛ وبذلك تتطرق هذه الدراسة من النص بوصفه بنية لغوية تحيل على السياقين التاريخي والاجتماعي للظاهرة المدروسة.

### المغايرة والاختلاف:

انطلاقاً من أن التفرد الأدبي لعمل ما لا يمكن في خصوصه لنموذج معدّ سلفاً، بل على العكس من ذلك يمكن في الاختلاف الدائم، الذي يطرحه بوصفه خصوصية<sup>١</sup>، فإننا نجد أن الشاعرة قد حققت هذا التفرد منذ بدايات تجربتها الشعرية عندما نالت جائزة (النهار) لأفضل قصيدة عام ١٩٦١م عن قصيدتها (جسد السماء) بتوقيع لجنة الحكم المكونة من خمسة شعراء هم: شوقي أبي شقراء، وصلاح ستينية، وفؤاد رفقة، وأدونيس، وأنسي الحاج المشرف على القسم الأدبي في جريدة (النهار) آنذاك<sup>٢</sup>، وهم أقطاب الحركة الشعرية العربية الحديثة، تقول الشاعرة في القصيدة:

لا صوتَ لي ولا أغاني  
حلعتُ صوتي على وطن الرياح والشجر  
الظلال أكثر تعانقاً من الأهداب  
وما من أغنيةٍ تضيء ظلماتِ الأعماق  
لكن الأصداء تدقّ صدر الليل  
فأنامُ في صدرِي

\* \* \*

<sup>١</sup> فانسان جوف رولان بارت والأدب ص ٤٣.

<sup>٢</sup> سنية صالح الأعمال الكاملة ص ١١.

وحيدة رجعتُ وبلا صوت...

"عشرونَ والهواجسُ تتنبَّعُ جدرانَ العروق

عشرونَ تنتحبُ عندِ أعتابِ الحناجر

عشرونَ نُخُرُ الأرض

نذهبُ في نسخِ الشجر

وما من قصيدةٍ تأتي،

عشرونَ سنةٍ نشربُ الريح

نقيمُ في جنورِ الجنين

وما من قصيدةٍ تأتي.

بين التوهج والانطفاءِ ترکا رؤوسنا

فوق حقولِ الصبارِ والجلبان

مررت شفاهُنا، وما من كلمةٍ تُقال،

على الأرضِ البوارِ سفحُنا مياهَ العروق

وما نبتت لنا القصائد

ما من كلمةٍ تشعلُ الحرائق، تطفئُ الحرائق

أطغىوا الشموعَ لتولدُ الظلمةُ باريماح

ذهبُ النهار لا يدفعُ أوهامَ الجنون

.... ١١

هذا الفوز دالٌّ، تصوّي مدلولاته تحت عنوان الاختلاف، الذي يحقق للشاعرة الباحثة عن صوتها الخاصّة خصوصية وتفريداً، وهو اختلاف يمكننا أن نتلمّس دلالاته العامة في البُؤرة الدلالية للدلالات الآتية: لا صوتَ لي، خلعتُ صوتي، ما من أغنية، المكررة مرتين...، بلا صوت...، ما من قصيدة تأتي...، ما من كلمةٍ تُقال...، كما يمكننا أن نتلمّس دلالاته العامة في قول "خالدة سعيد" الآتي: (لقد كانت هذه القصيدة علامـة على بـغيء سـنية من خـارج المـوروثـاتـ، وـمن خـارج المـأثورـ، وأيضاً من

خارج التيارات الجديدة التي كانت تصارع للصمود<sup>١</sup> مع انتمائها إليها، فكيف تحقق خروج "سنية" على الموروثات، وعلى التيارات الجديدة في الوقت نفسه؟

الصوت الشعري الخاص: بدأت "سنية صالح" كتابة الشعر في الخلف مما صنته ظاهرة الشعراء التمزجين<sup>٢</sup>، وعلى مسافة متباعدة منها؛ إذ خرجت بلغتها نحو الضفة الأكثر التصاقاً بتجريد الصوت الشعري من معطيات يفرضها الاتمام إلى الجماعة الشعرية، فهي ابنة الظاهرة، لكنها اختارت الافتراق عن العلاقة الأبوية للشعر؛ للخروج على الخيار الدارج آنذاك بين طريقين: الانبعاث، أو الاجتثاث. فهي لم تكن معنية بهما، بل كانت معنية بـ(أنا)"سنية" القاطنة في المسالك الخفية؛ لتضعن أمام نص يحفر مجرّى مغايراً، ويؤسس بنية مختلفة، هي بنية التأسيس والمواجهة: تأسيس نصٍ ينفلت من التطابق مع أصوات شعراء الجيل الأول، وخلفيات وجدانهم، ويحمل صوت "سنية" الخاص، الباحث عن كلمة تشعل الحرائق، تطفئ الحرائق؛ الصوت الشعري الخاص المتبنق من فيض عوام داخليّة، سائراً في اتجاه الحلس، والاستبطان، والحلُّم، مؤكداً الذات، محققاً الفرادة، تقول:

وَهَا أَنَا أَتَدْرِج كَالْحَصِّي إِلَى الْقَاع  
فَلَيْكِنِ الْلَّيلُ آخِرَ الْمَطَافِ.<sup>٣</sup>

إنّ تأكيد الذات يرافقه تحول في الفهم والرؤيا وفي البناء، وهو تحول يفتح في النص الشعري آفاقاً جديدة لأسئلة جديدة ومغایرة؛ ليصبح هذا النصٌ نصٌ مسألة، وتحوّل، ومغایرة؛ إنما أسئلة تخصّ الذات في صراعها مع ذاتها الأخرى: الذات التوأم<sup>٤</sup>؛ هذه الذات التي تتحول إلى كثرة، ومتلئّة بنقيضها، كما تتحول بفعل هذه الكثرة، وهذا الامتلاء إلى بنية معقدة متشعّبة؛ بنية شعب تكون الذات التوأم أسطورته، تقول في قصيدة بعنوان (نترجين من أسوار الجسد):

يَا ابْنِي<sup>٥</sup>

١ المصدر السابق ص ١٢.

٢ تسمية أطلقها "جبرا إبراهيم جبرا" على مجموعة الشعراء الذين يحمل شعرهم بالإشارات إلى أساطير ثور، وأدونيس، وفيبيق... إلخ، والتي ترمز لها إلى انبعاث الإنسان والمجتمع والحضارة، وهؤلاء الشعراء هم: السباب، وأدونيس، وبوسف الحال، وخليل حاوي، وجبرا إبراهيم جبرا.

ينظر: كمال خير بك حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر ترجمة: جنة من أصدقاء المؤلف ص ٤٦.

٣ سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٣٥.

٤ المصدر السابق ص ٢٤٧.

٥ هكذا وردت في الديوان.

كنتُ وحيدةً فتجزأتُ  
وبقيتُ أجزأً  
حتى خلقتُ شعباً أنتِ أسطورته<sup>١</sup>.  
إنما ذات متشظية، متكررة، ممثلة بمقاييسها، وفرايئها؛ ذات مرآة، ليس التعبير بضمير الـ "أنا" المتكلم أو بضمير المخاطب إلا أحد أقعنها، خلفها تختفي تلك الكثرة وذلك التعدد والتشظي:  
أمن أحلاط هذا الطلام حتى؟  
أمن أحلاط هذه الآلام ولدت؟  
سيمتصلك الليل شيئاً.. فشيئاً،  
وعندما يتألف جسدك مع التراب،  
نستطيع أن نحاور دون أن يلغى أحدنا إلى الآخر  
أستطيع أن أسمع حتى كلامك المخبأ في القلب  
يا أمي،  
.....<sup>٢</sup>

خرج "سنية" من ذاهباً أمّاً تتشابك بابتها، وقنزج ها، لا تخفي من الموت قدر ما تخفي ابنتها من آثاره، تقول:

وينادي مناد على الموت فأتقديم  
ولكنني أخرج من ثقوبه العليا كما دخلت  
متلكرةً قصدي وغائي،  
من أجلك يا ابني<sup>٣</sup>  
لكن أوقيانوس الحرمان بيتنا<sup>٤</sup>.

إن هذا الصوت المتعدد المتفرد: أمّ لها والدة، ولها ابنة<sup>١</sup>، أسهם في التركيز على الصوت الشخصي؛ ذلك لأن الشاعرة قد دخلت في عالم داخليّ، يخصّها ولا يخصّها وحدها في الوقت نفسه؛ لذلك لم

١ سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٢٦٢.

٢ المصدر السابق ص ١٩٧.

٣ هكذا وردت في الدبوان.

٤ سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٢٤٥.

تكن جرعة الأنوثة متساوية الانتشار في متن قصائدها، مما أضفى نوعاً من التنوع على هذا الصوت، فبعض قصائدها تحجب الأنوثة، وتنطبق بصوت ما بين مترلين: الذكورة والأنوثة، ويمكننا أن نمثل لذلك بقصيدة (أيها الخدّاع يا جسدي) من ديوان (ذكر الورد)، أو بقصيدة (الزمن الآتي من قلبك) من ديوان قصائد؛ إذ تقول:

عندما يُتَّقْلِلُ الْهُمُّ قلي وأسير في طرقات  
الوطن،

أشعرُ كأني أعبره من الجاري،  
فزمي يتناسل هناك .<sup>١</sup>

وبعضاها الآخر تتقدم فيه الأنوثة بشفافية لا ابتدال فيها؛ إذ لا يحضر جسد الأنثى وحيداً مغرياً، بل يرافقه جسد الحبيب، وخلفية المشهد عالم عربي، نعرفه من ضيقه، الجسد بضيق الزمان، مع أن جسد المحبين أضيق منه، وهو ضيق لا ينفصل عن السياقات الخارجية، كما نجد في قصيدة (فصل الحب) من ديوان (الزمان الضيق)؛ إذ تقول:

إطوني كما تطوي أوراقَ الشعر  
كما تطوي الفراشاتُ ذكرياتها  
من أحلى سفر طويل  
وارحل إلى قمم البحار  
حيث يكون الحبُّ والبكاء مقدّسين

فالزمان ضيق، وأضيق منه  
جسمُ المحبين .<sup>٢</sup>

وتبلور بؤرة الاختلاف أكثر بخروج شعر "سنية" على الشعر النسائي الذي كان سائداً في تلك الفترة؛ لأنّه لا يتنسب إلى شعر النساء؛ لا إلى أناقته المرهفة، وما غالب عليه من العذوبة واللطف أو الدعاية، ولا إلى خصوصية أحزانه وحالاته أو خصوصية ثورته ولا خصوصية ذكائه ولمحه، وهي جميعها

<sup>١</sup> بنظر: سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٢٥٣ - ٢٦٣.

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ١٥٢.

<sup>٣</sup> سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٣٦ - ٣٨.

سمات لها، بالتأكيد، دعائهما، ولها جماليتها وزنها<sup>١</sup>، كما أنه لا ينتمي إلى تجسيد عذاب المرأة في مجتمع ذكري، كما نجد في شعر الشاعرات المعاصرات لها، ومنهن على سبيل الذكر لا الحصر: فاطمة حداد (١٩١٧ - ٢٠٠٠ م)، وعزيزة هارون (١٩٢٣ - ١٩٨٦ م)، وهند هارون (١٩٢٧ - ١٩٩٦ م)<sup>٢</sup>... ذلك لأن سنة (١٩٣٥ - ١٩٨٥ م) لا تزيد أن تطرأ الرجال أو النساء بشعرها، بل تزيد أن تربكهم، أن تضعهم في الإشكال، أن تصليم سكوتهم، إنما ضدّ "تركيبة المجتمع" في معظم معتقداته وسلوكيه، ولا سيما في رؤيته وتصوراته المتعلقة بالحبّ، فكيف سيطرب شعرها الآخرين، إذن، وهو شعر مغايرة واختلاف؟، شعر لا يشبه أحداً، جديد، وليس منصوباً في تيار، له خصوصيته يرى نفسه مسؤولاً عن فضح الدمار الذي خلفته البشرية منذ أن استبدت بالتاريخ، وسلمت صياغته قسراً وإرغاماً للسلطة الأبوية، منذ أن استبدت بالمرأة وجعلتها مجرد موضوع للرغبة، والسلسل، والإقصاء، والتهميش...، تقول في قصيدة بعنوان (الذاكرة الأخيرة):

يا ابني<sup>٣</sup>

إن تاريخ المذابح وأجياد النساء،

مسيرة العبيد الفاشلة،

الأعناق الخبيثة أمام الطغاة والجلادين

جميعها تمنعني من الاقتراب

وتورى في عجلات كعجلات الطواحين المائة

ولا أقوى على الاقتراب

فمن أين تحيي المسافات

وأنت في قلبي،

....<sup>٤</sup>

إنه ثأر من تلك القيم التي وضعـت المرأة التاريخية نفسها حارسةً لها، وسحقتها البشرية متواطئةً بهذا التحول الخطير الذي أصاب المجتمعات البشرية، عندما انتقلت تعسفياً من صياغة المرأة إلى صياغة

١ ينظر: المصدر السابق ص ١٦.

٢ ينظر: لطفيـة بـرهـم اـنجـاهـاتـ الشـعـرـ الـحدـيثـ فيـ سـورـيـةـ صـ ٢١٣ـ ٢١٨ـ ٢٦٥ـ ٢٧٢ـ ٣٨٥ـ ٣٩٠ـ .

٣ هـكـذاـ وـرـدـتـ فيـ الـديـوـانـ.

٤ لطفيـة بـرهـم اـنجـاهـاتـ الشـعـرـ الـحدـيثـ فيـ سـورـيـةـ صـ ٢٤٥ـ ٢٤٦ـ .

الرجل<sup>١</sup>، وهو أيضاً إدانة لتكلّس الثقافة وجمودها، ومحاولة لكسر القشرة الثقافية الأخلاقية؛ لذلك يشعر قارئ شعرها بأنه يقرأ شعراً، إنما من الجهة الأخرى، من جهة الأنوثة، ويشعر بأنه ينظر إلى العالم، إنما بوصفه أنثى، تقول في قصيدة بعنوان (العاشق الوبال):

— حذار أيها العشاق وإلا تجرّأْتُ

أنا المرأة المتعددة

خَلِقْتُ من أجل الطّرّاد العظيم

من نسل عاشقات منهزمات<sup>٢</sup>.

إن شعرها شعر لحزن متورّش، ينبعجس من الجوهر الأنثوي الخالق، المطعون، المسحوق عبر التاريخ، تقول في قصيدة بعنوان: (ملايين الأرواح خارج غطائها):

تطوّنا نعالُ الذكرة ونخن ممزقّات

فأيّ سيدة ترفع الحطام؟<sup>٣</sup>

إنه شعر يمجّد الإنسانية المسحوقّة؛ وذلك لأن الشاعرة تصل آلامها بالمشهد التاريجي لآلام النساء العاشقات المنهزّمات، تبني المشهد الهائل للجسد الأنثوي في مصارعه، وتحولاته، ومعجزاته فتصل نبرة الاعتراف أوجها في بعض التجلّيات، وتعبر "سنية" بلسان الأنثى المصطهدة، التي تجد في الشعر ملادةً للتعبير عن تاريخ طويل من القمع والإقصاء عبر سفر موجع من قطب الجسد إلى قطب الروح، تقول في قصيدة بعنوان (أغنية زنجية):

أشمُ رائحةً احتراقي

آتيةً من غابةِ الموت

آتيةً تهدرُ على الدروب

وأنا وحديُ الضحية<sup>٤</sup>.

إنها ضحية تلاحقها رؤيا الموت؛ لتشكل أرضية متحرّكة لملئ التجربة الشعرية كلّها، تقول في قصيدة (الموت القاطع)، معبرة عن مأزقها بوصفها ضحية أزلية:

١. ينظر: حضر الآغا سنية صالح: الشعر من الجهة الأخرى مجلة فكر ص ١١٦.

٢. سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٢٦٩.

٣. سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٢٨٦.

٤. المصدر السابق ص ٥٢.

يا موت،  
 يا منْ تنتظري على الأبواب  
 حاملاً سيفك القاطع،  
 اتبعني.. اتبعني ..  
 أنا الضحية التي تقضي أثرك.  
 يا موت،  
 يا منْ رافقني في الليالي الطويلة  
 هادئاً كقمر،  
 مؤنساً كصديق.  
 أية أسرار تنقلها بعينيك؟  
 هو ذا صليل حزنك يستوطن قلبي،  
 والصدف تفتح كالجراح في جسدي الطفل  
 تختلط بنا ظريرك أحراجي الوردية  
 واهداً على السرير الشاحب  
 حيث الجنون والانتظار  
 جناحاً للآخرين<sup>١</sup>.

يظهر صوت الشاعرة هنا واضحاً، مقاوِماً للموت، ومتحدِياً له، بهذا الإبداع الشعري، الذي يعدّ المحاولة الوحيدة لتحدي الغباء أو التحابيل عليه، إنه ذاكما التي لن يمسُّها الموت؛ ذاكما المتصدة التي تُعدّ رحمة السؤال الشعري، بوصفه سؤالاً وجودياً يتورّط فيه الشعر وعلاقة الشاعرة بالإنسان والأشياء؛ أي علاقتها بالعالم الخارجي؛ وبذلك تجسّد الصور الشعرية طعم المراة، ولملوحة تعبراً عن عالمها الداخلي الغريب، ووطأة معاناتها الوجودية الضاغطة، تقول:

ألفُ حصانٍ يصهلُ في دمي  
 أتدرّغُ بموتي  
 أرضعُ جوعَ الذئاب  
 أمتطي شعرَ الريح

أليس الليل...<sup>١</sup>

تحفر الشاعرة في عام غائر، وغامض، وسرّي، وتكتبه بمحاسنها شعرية مختلفة تمنح شعرها هذه القدرة الفائقة علىأخذ قارئه إلى عزلة لا تضاهى، وكآبة وأحزنة، وبكاء نشيجي، ووضعه في قلب المستقبل؛ لأن "سنية" تكتب للمستقبل؛ لذا تبدو فصائلها وسط اللطخ الفكرية والسياسية والاجتماعية التي تغطي الوطن العربي بقضاء ناصعة مثل ثياب الراهبات، كما يرى "محمد الماغوط" في حوار معها نشرته مجلة (مواقف) في عام ١٩٧٠.<sup>٢</sup>

### تحطى الخطاب الإيديولوجي

لقد كان تحطى الخطاب الإيديولوجي السائد في السينيات دالاً مهماً على خروج الشاعرة على نسق فيم الفحولة؛ إذ ذهب بعض الشعراء في تلك الفترة إلى الإيديولوجيات، وأفكار الثورات؛ ليجعلوا نقلها من مهام الشعر، طارحين أنفسهم بوصفهم شعراً روياً، (والرؤيا، بطبعتها، فقرة خارج المفهومات السائدة. هي، إذن، تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها)،<sup>٣</sup> علمًا أن هذه الرؤيا لا تتحقق إلا بوصفها خواطر ترد على القلب وأحوالاً تتصور في الوهم؛ لذا تمكن المبدع من أن يتعمق في برواطنه، ويخلل نفسه.<sup>٤</sup> إنها مفهوم "جواني"، ذو صلة بالإشراق؛ لتكون المعنى داخل القلب وابنائه إشراقياً، كما يرى "ابن عربي" الذي يشبهها بالرحم الذي يحمل عباء المعنى.<sup>٥</sup>

لكن بعض شعراً الإيديولوجيا حولوا هذا المفهوم وجعلوه "برانياً" خارجياً، يدور في فلك الإيديولوجيات الصاعدة آنذاك، ونقلوه إلى الشعر على أنه شعر حديث، فظهرت قضايا أدبية وفيئة كبيرة، مثل: قضية الفن للحياة، والإلتزام، والواقعية في الأدب والفن، وفضيل الأدب أو الفن القائد على الأدب أو الفن الصدري... إلخ.<sup>٦</sup>

١ المصدر السابق ص ٥٦.

٢ ينظر: سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٤٨١.

٣ أدوبنيس زمن الشعر ص ٩.

٤ ينظر: عبد المنعم الحفيظي الموسوعة الصوفية ص ١٠٠١ - ١٠٠٢.

٥ ينظر - حضر الآغا سنية صالح: الشعر من الجهة الأخرى ص ١١٥.

- محمد جمال باروت الشعر يكتب اسمه ص ٥٦.

٦ ينظر: محمد مندور النقد والنقاد المعاصرون ص ٢٢٨ - ٢٣٨.

"أما" سنية صالح": الشاعرة المعاصرة هؤلاء الشعراء فقد أتت من الاتجاه المعاكس، متتجاوزةً عَرْضَ الإيديولوجيات التبشيرية، راصدةً العالم المتساقط؛ لأنها، بدلًا من أن ترى الناس بوصفهم "جمahir" و"شعباً"، رأت الإنسان الفرد يوالي انزعاله وتصلدّعه وقدان علاقته بالعالم، تقول:

بالصراخ العميق أعلن وحدتي  
بالصراخ العميق أقول ما عذبني  
وأهجر منْ واساني<sup>١</sup>.

وتقول في قصيدة بعنوان (غраб يطلب الغران):  
الليل منهك  
والوحنة تضرب بوحشية<sup>٢</sup>.

وبدلًا من أن ترى العالم بيقين إيديولوجي وتبشيري رأته بفقدان ثقة، وبريبة، وبتساؤلات شديدة العمق، وشديدة الكآبة، مجسدة الحزن والألم؛ إنما كآبة ذات تُنصلّت لتاريخها الشخصي، وهو تاريخ خدوش وانكسارات، وخرائب، أو بالأحرى تاريخ مشتوق "جمال الأفق"، موصول بدوشار، أو دوسارس: إله الشمس عند الأنباط في الوقت نفسه، تقول:

ها هي دوشارا تأتي لتطعم الأرواح الساقطة؛  
هم يجهلون،

ولكن أنتِ والوطن تعلمان أن الهموم  
والانكسارات دقّت مساميرها الأخيرة  
في الروح<sup>٣</sup>.

فحزن الشاعرة حارّ، وصميمي، وخصب؛ لأنّه يفجر سكونيات ذاهناً؛ سكونيات يومها؛ سكونيات الحياة، إنما تجد نفسها إنّ رأى شيء جميل أكثر اتساعاً، كما تجد أن فضاء كونيّاً ينمو في داخلها. الحزن - كما تقول - (شيء جميل وفعال، يرقى إلى مرتبة الشعر. إنني لا أزال أنو شعرياً في حزني)، وهو نموّ يرتبط بالحرية: حرية الإبداع؛ لأن الكلمة في الحلم طريق إلى الحرية. هذه الحرية،

<sup>١</sup> سنية صالح الأعمال الكاملة ص ١١٦.

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ٣٣٨.

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ١٥٣.

<sup>٤</sup> سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٤٨٥.

وهذا القول الطالع من عمق الحلم عناصر لرؤية العالم، أو لإعادة تشكيل صورته في وعي الشاعرة، التي تؤكد العلاقة الجدلية بين الذاتي والموضوعي، بين التطور الشعري وحركة السياق الاجتماعي تأكيداً يتبع للقصيدة — الحلم أن تعيد صياغة العالم صياغة ترتفع في سياقها الأحداث والعلاقة الدنيوية إلى مراتب الحلم، الذي يسهم في جذب شيء ما من اللاوعي الفردي للقارئ؛ ليضعه في مدار الوعي الإنساني، واصلاً ذاته بالذات البشرية الكبرى<sup>١</sup>، تقول في قصيدة بعنوان ( ثوب الماء):

أعرف أنك لن تتركيني في حصار التجربة

وفي الطراد الصعب

والعواصف ذئاب في ليالي الجوع،

تبحث عن الرم

في الجوف العميق لي، لك، للإنسان<sup>٢</sup>.

تقول في حوار أجراه معها "غسان الشامي"، ونشر في العدد الثالث والخمسين من مجلة (فكراً اللبناني): (الجذر الأول والأقوى لقصائدي ضارب في ذاتي، ويرتوي من خصوصياتي، ويرى في مناخي الشخصي المفتوح على العالم...، يبدأ من ذاتي المتداخلة مع ذات ابني وزوجي وأمي وأختي حالدة، ثم تأتي ذات العالم. إنهم متعددو الصورة، متعددو الكشف والمساحات والأبعاد، ثم تأتي الضغوط الأخرى التي تشملنا جميعاً أو على انفراد)<sup>٣</sup>. إن هذا القول يستحضر مرکزية تصوّر الذات في خطاب "لوسيان غولدمان" بوصفها كياناً اجتماعياً واعياً، يرتبط بشكل وثيق بالبنية المجتمعية؛ لذا تقع هذه الذات تحت التأثير الشامل للعالم، وتؤثر فيه بدورها، وعن هذا التأثير والتأثير تنتج العلاقة الديالكتيكية بين الذات ومحيطها، كما يتبع عنده تغيير لكليهما؛ ذلك لأن الذات في سعيها نحو التأثير في العالم وتحوبله، تقوم كذلك بتغيير طبيعتها الخاصة، وتحوّلها تحوّلاً يجعلها مرتبطة بالواقع المعيش من جهة، ومرتبطة بالمكان من جهة ثانية؛ أي بإمكانيات موضوعية تطمح الذات إلى تحقيقها، وبجعل منها أنموذجاً لها؛ وبذلك تصهر الشاعرة في ذاتها خاصيتين: خاصية التأسلم مع المجتمع، وخاصية تخطيّه؛ لأن الممكن بعد مرکزى من أبعاد الذات للإنسان، الذي يحتضن في داخله، إضافة إلى المكون الواقعى، بعداً

١. ينظر: المصدر السابق ص ٢٢٧-٢٣٦.

٢. المصدر السابق ص ٣٥٧.

٣. غسان الشامي حوار مع الشاعرة سنية صالح" ، نفلاً عن مذوّج السكاف، الشاعرة الراحلة سنية صالح في (الزمان الصيق) مجلّة (الموقف الأدبي).

آخر يتصل بظموحه وبسعيه الممتد نحو المثال، والمثال ليس في نهاية الأمر، سوى الشكل الموضوعي المشتق من الواقع نفسه، فلا وجود لمثال مفارق؛ وبذلك تستنسخ الذات نفسها باستمرار، وتتوحد دائمًا مع الممكن رغبة منها في تحقيق المطلق: التغلب على الطبيعة، وتجسيد مثال التحرر. فالذات، إذن، نسيج من الذوات الموحدة على صعيدي الوعي والعمل، إنما ذات فاعلة، جماعية<sup>١</sup>: ذات "سنة صالح"، وذات ابتها، وزوجها، وأمها، وأختها "حالدة"، ثم تأتي ذات العالم، أو هي التي "نحن" بتعبير "غولديمان" ، وهي ذات فوق — فردية تعد في العمق انصهاراً لجموعة من الذوات التي تواجهها الظروف نفسها، وتلوح أمامها الاحتمالات المماثلة نفسها؛ لذا تعبر الشاعرة وبشكل موضوعي- بوصفها ذاتاً، تستطيع بفضل قدرها الخاصة تصعيد طموحات الجموعة التي تتسمi إليها عن قيم فنّها وأمّالها؛ أي عن رؤية العالم، علماً أن تصعيد طموحات الجموعة أو النحن ليس شيئاً آخر سوى "الوعي الممكن".

ويستحضر القول المذكور سابقاً، أيضاً، صوت الشاعرة نفسها، وصوت انحرافها بروح العصر، وأعمق أعمق الوجود الإنساني، مجسداً في شعرها الألم — بوصفه انكسار الحلم — في أفق إنساني شامل، إنه عَطَّب يحمله العالم في وعيها، ويحمله جسدها بوصفه خطراً كامناً ودماراً مضمراً. إن الألم هو تصدع الصورة التكوبية للعالم، هو رؤية المواكب الإنسانية المسحوقة، هو قلق الإحساس بالذات، والإحساس بارتفاع موقع الذات ومرتكزها وأفق حضورها:

أولئك المتمردون هم شهد شقائي،

بعد أن ضاع صوتي في صحراء الحرية،

أقواماً لا حصر لها تعسّر على أبواب الروح،

تقرّر حصني اليومية من الحياة،

وهي تطعم كلابها الضارية.<sup>٢</sup>

تحاوز الشاعرة، إذن، الإنصات إلى الآنيّ لمعطياتِ وأحداثٍ يفسّرها الشعراء الآخرون العام وبيولوجونه، محافظة على الشعريّ بوصفه خطاباً أو سياقاً جماليّاً، الإنصات إليه، هو إنصاتٌ إلى ما ينفلت من السياسة من معرفة ومن أبعاد جمالية، محدثة نوعاً من "التحويل الباطني للأشياء"، ومِحَكُ هذا التحويل هو "أنا" الشاعرة، التي تحسّ مدى ارتطام الأشياء بذاتها، وما يخالفه هذا الارتطام من

١. بنظر: يوسف الأنطاكي سوسبيولوجيا الأدب: الآليات والخلفيات الإبيستيمولوجية ص ١٧٦-١٨٦.

٢. سنة صالح الأعمال الكاملة ص ١٥٧.

ارتجاجات تحول رؤيتها وفهمها لذاها وللعالم من حولها. فـ "أنا" الشاعرة، هنا، هي "أنا" جمّع (وقد توهّجت بعذاب شخصي هو عذاب الجميع، كما يقول "خليل حاوي")<sup>١</sup>، تقول:

— من عالم الأسرار، من عالم الإدراك الخاطف

لأنفعالات رائعة،

أرى كل شيء،

أرى العالم كله، وشيئاً أغرب من العالم:

توازن لا واعٍ لحياتنا البائسة،  
مع الخساره نشّ كالآموات في سجوننا.<sup>٢</sup>

العالم هنا انعكاس للقصيدة، أو انعكاس لـ "أنا"، التي هي جمّع، وليس "أنا" معناها المفرد الأعزل؛ وبذلك يكون النصّ الشعري هنا قائماً على المعرفة، منصتاً لنبض ذاته، التي هي مربّد العالم وجوهر نزواته<sup>٣</sup>؛ أي إنه نصّ لا يرکن لظرفية الواقع، أو عرضيتها، بل يتقدّم جوهرها، وينصت إلى إيقاعها القصيّة، فهو نصّ، إذن، لا يعكس معطيات الواقع، بل يتجاوزها؛ لأن الشعر فتح، وليس انعكاساً، وهو خلق وليس رسماً، إنه (عملية عبور النار، اشتغال الجسد، والعقل، والخيالة بجمّي الكشف). والبرق الذي يفاجئ الشاعر في أثناء ذلك لا يعني حدود ما يجري وأهدافه<sup>٤</sup>، تقول:

من أين جاءت تلك الحشود اللامائية وكيف

دخلت أعماقي خلسة،

إنهم الطامحون إلى تغيير العالم، وجعله

من لحم ودم، صفو مسحونه بالكرباء

أو التوسل، شامخة كالعصبيّ

أو زاحفة كالديدان. وأخذنا نجري مذعورين،

حتى تخفّ أقدامنا وتعوم كالنفايات.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> بنظر: صلاح بو سريف المغایرة والاختلاف في الشعر المغربي المعاصر ص ٥١-٥٣.

<sup>٢</sup> سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٢٠٢.

<sup>٣</sup> بنظر: صلاح بو سريف المغایرة والاختلاف في الشعر المغربي المعاصر ص ٥٠-٥١.

<sup>٤</sup> سنية صالح الأعمال الشعرية الكاملة ص ١٤.

<sup>٥</sup> المصدر السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٥.

"أنا" الشاعرة، "أنا" متأملة، متأملة، تريح القناع عن الخواص الكوني، الذي يتغلغل في ثنايا الروح ويزيد البياض إهاماً، خالقاً بذلك معرفته هو، بعالم يولد في النصّ وبه يوجد ويكون، لكن كونه أو وجوده ليس مطلقاً، وإنما هو منشبك مع سلسلة البنية الأخرى: التاريخية — الثقافية والنفسية — المنطقية الملزمة له؛ أي إنه يعيدنا لبنيّة ثقافية قبل أن يكون طريقاً فبلية للكشف عن دلالته الاجتماعية — التاريخية، كما يرى "بوري لوكمان".<sup>١</sup>

ففي الوقت الذي يرى فيه الشعراء الآخرون أن القضايا الإيديولوجية أكثر أهمية وإلحاحاً من عذاب امرأة، ترى الشاعرة أن عذاب المرأة قضية من صلب الواقع، تنغرس فيه؛ لأن الشعر يبقى، مهما كان موضوعه، شعاعاً صغيراً يصل بين ظلامين: الشاعر والقارئ<sup>٢</sup>؛ وبذلك تختلف مهمة الشعر لديها عن مهمة الشعر عند جماعة حركة الحداثة الشعرية العربية، التي ترى أن مهمته تغييرية، وتبشيرية، وخلاصية، تغيير العالم في سياق رؤيتها، وتعد بعالم أجمل؛ لأن الشاعر في رؤيتهم نبيّ، ومسيح، ومخلص، وراء، وحامل كلمة "بروميثيوس"، رابطين بذلك بين الشعر والنبوة.<sup>٣</sup>

أما الشاعرة فتطلب من الشعر أن يكون حلمًا، وأن يقول الحلم؛ لأنّه عاجز عن تغيير العالم، تقول في حوار مبكر إثر فوزها بجائزة النهار: (أنا أعجز من أن أغير العالم أو أحسمه أو أهدمه أو أبنيه...، أحسّ أنني كمن يتكلّم في الحلم. ماذا يؤثر في العالم الكلام في الحلم؟ وباختصار ليس لي أيّ طموح من أيّ نوع كان. فقط أستريح وأترك زحام العالم يتدافعني كشيء صغير جداً، ولا وجود له. إنما أحافظ

لنفسِي بحريةِ الحلمِ والثُّرُثُرة).<sup>٤</sup>

فالشاعرة أكثر هشاشة من ادعاء القوة والنبوة، وشعرها ليس إلا صوت الداخل العميق، صوت المشاشة، صوت القلب لحظة استجابته للحب، صوت الحب؛ إذ يرتطم بالقلوب، صوت اليأس الشخصي، وإطلاق النبوة المبكرة عن ليل بدأ يزحف نحو الشاعرة بخطا واثقة، تقول في قصيدة بعنوان (الموت القاطع):

١ بنظر: محمد بنبيس الشعر العربي الحديث: بنائه وإبدالاتها ص ٨٠.

٢ بنظر: سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٤٨٣.

٣ بنظر: - محمد جمال باروت الشعر يكتب اسمه ص ٦٠-٥٨، ٧٦-٧٧.

- سنية صالح الأعمال الكاملة ص ٤٥٨-٤٦٥.

٤ بنظر: سنية صالح الأعمال الكاملة ص ١٣-١٢.

يا حبّ،  
يا ليلاً شديد الظلم.

نحو مك الصائعة  
هي في قلبي<sup>١</sup>.

وتقول في قصيدة بعنوان (الظلم) :  
ماذا يريد نهر الحبّ  
والآتين؟

بعد أن أوقف جيادي بقوّة  
حرابه  
وأنا أكثر وحدة من أمرى  
على أبواب الإعدام<sup>٢</sup>.

فشعر "سنية صالح" ليس من الشعر التأثير، كما تمثل في المعجم الشعري لتلك المرحلة التاريخية، ولا من الشعر الثوري التعليمي، ولا من الشعر الذي يتخيّر إضاعة العالم بلمسات الجزئي اليومي العابر؛ لأنها تحاشرت السراديب الفكرية، التي خنقت جيلين من الشعراء، إنّه صوت نفسه، فعل وجود؛ فعل نقى من النرجسية الطاغية في عصر الفحولة؛ عصر التهافت على الألقاب والنياشين الشعرية؛ وبذلك تتجاوز الشاعرة التقليد بوصفه بنية ذهنية مترسخة في الذات؛ لتوسّس الشعرى بوصفه فردياً يتراوح عن الجماعي لتحقيق جمالية مغايرة حقّقت للشاعرة التفرد والاختلاف.

### الخاتمة

وهكذا نجد أن اختلاف شعر "سنية صالح" لا يتأتى من خروجها مع حركة الحداثة الشعرية العربية على نظرية عمود الشعر العربي فحسب، بل يتأتى، كذلك، من خروجها على قيم الحداثة نفسها، مؤسسة بنية شعرية مبنية من حرية الحلم، مجرّدة فعل الكتابة من نسق الحداثة الشعرية العربية، بمحسّنة نار التغيير الجديدة، بتغيير الذات، وتواافق تغييرها مع تغيير العالم توافقاً أنتج نصاً جديداً مفارقاً للمأثور

<sup>١</sup> المصدر السابق ص ١١٨.

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ١٠٨.

مفارة لغتها للغة للمعجم الشعري؛ لأنّها لغة خاصة بـ "سنّية"؛ لغة حلم تنساب من اللاشعور، كأشفة عالماً، يظلّ -أبداً- في حاجة إلى الكشف، كما يقول "رينه شار"، مجسدة الشعر بالرؤيا. هكذا يبدو شعر "سنّية" أول ما يبدو متردداً على الأشكال والطرق الشعرية المألوفة: القديمة والحديثة، وقرداً على الشعر النسائي، وتجاوزاً وتحظياً يسايران تحظى عصرنا الحاضر للبحث دائمًا عما يستمرّ، ويتوافق، ويتقاطع؛ وبذلك لا تشكل ظاهرة "سنّية صالح" في مسار الشعر السوري الحديث حالة متفردة وخاصة فحسب، بل تبقى الحالة الأكثر نضجاً، لانتقال الصوت الشعري النسائي السوري من الصمت إلى بلاغة البيان، معلناً عن حالة شعرية مفارقة، عن فجر نسميه القصيدة: هو بلا شكّ "سنّية صالح".

ويقى السؤال المهم الذي يطرح نفسه باللحاج وهو: هذا الصوت المفرد، المختلف، الذي فرض نفسه مخترقاً تقاليد فنية سائدة باعتراف كبار الشعر العربي الحديث لم يأخذ مداه؟ لم أهل وهمس بعيداً عن تجربة الستينيات؟ لم بقيت أسئلة نصوصه الشعرية، المختلفة هي الأخرى، من دون إجابة؟ لأنّها سلكت إلى المتلقي طرقاً لم يألفها أم لأنّها تناطّ طبقات حسن لم تكن قد تحرّكت بعد؟ فـ "سنّية"، كما يقول "محمد الماغوط": (شاعرة كبيرة، لم تأخذ حقّها نقداً، ربما أذاحتها اسمى، فقد طغى على حضورها، كانت شاعرة كبيرة في وطن صغير).

## المصادر والمراجع

- ١- الآغا خضر "سنّية صالح: الشعر من الجهة الأخرى" مجلة فكر ٢٠٠٩ كانون الأول تشرين ٢٠٠٧.
- ٢- أدونيس زمن الشعر ط ٢ بيروت لبنان: دار العودة ١٩٧٨ م.
- ٣- أدونيس مقدمة لشعر العربي ط ٣ بيروت لبنان: دار العودة ١٩٧٩ م.
- ٤- الأنطاكي يوسف سوسيولوجيا الأدب: الآليات و الخلفيات الإبيسيتيمولوجية تقديم: د. محمد حافظ دياب ط ١ القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع ٢٠٠٩ م.
- ٥- باروت محمد جمال الشعر يكتب اسمه دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٨١ م.
- ٦- برهن لطفيّة اتجاهات الشعر الحديث في سوريا ط ١ عمان الأردن: منشورات أمانة عمان الكبرى ٢٠٠٢ م.
- ٧- بنيس محمد الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالاتها ط ١ الدار البيضاء المغرب: دار توبقال

.م ١٩٩١

- ٨ - بوسريف صلاح المغایرة والاختلاف في الشعر المغربي المعاصر ط١ الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٩٨ م.
- ٩ - جوف فانسان رولان بارت والأدب ترجمة: محمد سويري ط١ الدار البيضاء المغرب: أفريقيا الشرق ١٩٩٤ م.
- ١٠ - الحفني عبد المنعم الموسوعة الصوفية ط٥ القاهرة: مكتبة مدبولي ٢٠٠٦ م.
- ١١ - خير بك كمال حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر ترجمة: لجنة من أصدقاء المؤلف ط٢ بيروت لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٦ م.
- ١٢ - السكاف، ممدوح. الشاعرة الراحلة سنية صالح في (الزمان الضيق) مجلة الموقف الأدبي العدد ٤٢٥ السنة الخامسة والثلاثون أيلول ٢٠٠٦ .
- ١٣ - صالح سنية الأعمال الكاملة دمشق: منشورات وزارة الثقافة ٢٠٠٦ م.
- ١٤ - مندور محمد النقد والنقاد المعاصرون القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، د.ت.

## أسس نحوية و لغوية في الفكر البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني

الدكتور ابتسام أحمد حمدان\*

### الملخص

امتاز عبد القاهر الجرجاني بدقة الروية وصواب المنهج، مما ساعده على تناول قضية الإعجاز القرآني من خلال بحثه في النظم، بعد أن استقطب جميع جوانبه ليصبح نظرية لا تزال الدراسات تؤكّد صحتها على مر العصور.

ولم يكن له ذلك إلا لأنّه امتلك خيرةً لغويةً نحويةً قائمةً على رؤىٍ تصائية لقضايا لا تزال موضع بحث، فكانت هذه الخبرة أساساً سليماً، مهّد لمنهج سليم، مكّنه من التوصل إلى أعظم النتائج. و في هذا البحث نحاول أن نعرض موافقه من أهم هذه القضايا، التي قام على أساسها تفكيره البلاغي، والتي كانت ركائز دعمت بناء نظرية النظم، وتتمثل في الأساس النحووي، والعلاقة العضوية بين اللغة والفكر، ويقودنا هذا إلى رصد تصوره للعلاقة بين اللغة والمجتمع، ومن ثم نعرض لموقفه من قضية الموضعية التي لا تزال موضع بحث عند الدارسين، لنقف أخيراً على ظاهرة التحول الدلالي التي تشكل ظاهرة مشتركة بين الدراسات الأدبية والدراسات اللغوية، مما جعلها مضماراً حصباً للتجدد اللغوي.

**كلمات مفتاحية:** النظم، معانٍ النحو، العلاقات السياقية، قرائن التعليق، الموضعية اللغوية، التحول الدلالي، المحاذ.

### المقدمة

ينتمي عبد القاهر الجرجاني إلى بيئه ثقافية شرقية، تتسم بكل السمات التي تميز المنهج الفكري في بيئه المتكلمين، من ميل نحو تداخل الأشياء و الدقة في تتبع الجزئيات داخل نسيج يخضع للتواجد المنطقي المنتظم وهذا لا يخرج عن ركائز منهبة الأشعري الذي يتميّز إلى هذه البيئة مما جعله أكثر جريأةً وراء الجمال، الذي يحكمه العقل و المنطق.<sup>١</sup> والحجّة والبرهان، وليس أكثر حجة ودلالة على جمالية اللغة وبيانها من الأدلة اللغوية والدلالية في توجهاها المختلفة.

\* أستاذ مشارك، في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

تاریخ الوصول: ٨٩/٥/١٠ تاریخ القبول: ٨٩/٨/٢٠

١ البدراوي زهران عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ص ١٨ وما بعدها.

**أهمية البحث:** تبرز أهمية البحث في أنه يسعى إلى التنقيب عن الخلافيات الفكرية اللغوية التي كانت عوامل هامة في تكامل نظرية النظم، وفي رسم المنهج اللغوي التحليلي الذي قامت على أساسه نظرية الجرجاني إلى الظواهر البلاغية.

**منهج البحث:** يقوم البحث على المنهج الوصفي الذي يتبع الظاهرة اللغوية، ويحاول إبراز جوانبها، موضحاً طريقة عبد القاهر الجرجاني في تعامله معها، حتى غدت لديه مرتکراً بين عليه تصوره لأبعاد الظاهرة البلاغية في سياق نظرية النظم.

**المناقشة والنتائج:** كانت بدايات عبد القاهر الجرجاني في البحث تتکع على ذخيرة ثقافية واسعة في النحو واللغة، جعلته يدرك عيوب الدرس التحوي عند معاصريه، فوجد أن الشكلية والفصل بين الفظ والمعنى قد أساء إلى الدرس الأدبي، ولاسيما بعد أن أهمل المعنى في دراسة الظاهرة اللغوية تحت تأثير سيطرة المنطق، فراح يؤكد أن الألفاظ خدم للمعاني وهذا بدوره قاده إلى الكشف عن الدور الذي تقوم به العلاقات السياقية فعمل على إبراز أهميتها وتعزيز دورها من خلال الأمثلة والشهادات ليخرج إلى أن الألفاظ لا تتفاصل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها القضية وخلافها، في ملائمة معنى الكلمة لمعنى التي تليها<sup>١</sup>، وذلك لأنك لن تجد أحداً يقول: هذه الكلمة صحيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم<sup>٢</sup>.

### النظم والدرس التحوي

على الرغم من أن مصطلح النظم تناولته كتب الباحثين في الإعجاز القرآني لكنهم نادراً ما فصلوا القول فيه ليكونَ عملاً على نظرية متكاملة مؤهلة لتكون أساساً في دراسة آية ظاهرة لغوية أو أدبية، بينما استطاع الجرجاني أن يتوصل إلى أبعاد دقيقة وعميقة، خرج منها إلى أن النظم الناجم عن مجموعة الروابط و العلاقات اللغوية، هو الذي يحدد معنى الكلمة، و يعطيها قيمتها و مزيتها وأن لا قيمة لها خارج السياق.

ومن هنا راح يحاول إبراز جوهر الدرس التحوي، فهو العلم الذي يبحث في وظائف الكلمة من خلال العلاقات السياقية اللغوية و هذا يعني أن وظيفة التحوي ليست في البحث عن الخطأ و الصواب،

<sup>١</sup> عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز تحقيق محمد رضوان الدابة و فايز الدابة ص ٤٠.

<sup>٢</sup> المصدر السابق ص ٣٩.

وأهمية اللغة من اللحن وحسب كما هو شائع<sup>١</sup>؛ بل إن وظيفته إلى جانب هذا هي إيضاح المعاني وبيان الفروق اللغوية والمعنوية بين حالات الاستعمال اللغوي.

ومن هنا تبدو أهمية نظرية النظم من عدة جهات:

الأولى: أنها كانت أساساً منهجياً للكشف عن أسرار البلاغة وحججة دامغة على الإعجاز البلاغي للقرآن وهذا يستدعي أن تكون الأمثلة والشواهد المدروسة مستمدة من النصوص التي تمثل قمة البلاغة في الثقافة العربية، سواء كانت هذه النصوص من القرآن الكريم، أو من الشعر ونشر، في أرفع مستوى يأكّلما.

الثانية: أنها كانت ترتكز على مقتضيات علم النحو وعلى مراعاة أصوله وقوانينه مما جعلها معتمدة لتناول كل ضروب الكلام، بما فيها تلك التي لا تقتصر المدف من اللغة عند مرحلة استيعاب المعنى وإدراك الغرض و ذلك حين ربطت اللغة بظروف الحال والمقام ولاسيما المقام الاجتماعي، و بالمعنى بكل صوره.<sup>٢</sup>

الثالثة: أنها أدت إلى النفاد في صميم العلاقة بين المتكلم والكلام الذي ينتجه فقد طرح الجرجاني هذه القضية مؤكداً أن نسبة الكلام إلى صاحبه، (لم تكن من حيث هو كلام وأوضاع لغة ولكن من حيث توخي فيها النظم الذي بينما أنه عبارة عن توخي معانى النحو في معانى الكلم، وذلك أن من شأن الإضافة الاختصاص، فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف إليه).<sup>٣</sup>

هذا يعني أن إضافة الكلام إلى قائمه تتضح من ارتباط الفاعل بفعله في التعبير اللغوي إذ لا يمس المادة الخام في أصلها وإنما يمس طريقة ممارسة المادة من حيث العمل و الصنعة، يقول: (و حملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء، حتى يكون هناك قصد إلى صورة و صنعة إن لم يقدم فيه ما قدّم ولم يُؤخّر ما آخر، و بُدئ بالذى ثُبِّيَ به أو ثُبِّي بالذى ثُبِّي به لم تحصل لك تلك الصورة و تلك الصنعة).<sup>٤</sup>

١ محمد عبد المطلب البلاغة والأسلوبية الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣٥ - ٣٧.

٢ تمام حسان الأصول ص ٢٩٦ - كتابة اللغة العربية معناها ومبناها- انظر: مصطفى حميدة نظام الربط والارتباط في تركيب الحملة العربية ص ٢١.

٣ محمد عبد المطلب البلاغة والأسلوبية ص ٤٩ - تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٤٢ - ٢٨ وانظر الأصول: تمام حسان ص ٣٤٨.

٤ عبدالقاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٢٥٣.

٥ المصدر السابق ص ٢٥٤.

ومن هنا استطاع الجرجاني أن يصل إلى مفهوم "الأسلوب" الذي يحمل بين أبعاده أطياف العلاقة الحميمة بين المتكلم والكلام، ولا سيما حين يكون الجانب الوجданى أبين في الكلام، ففي أثناء حديثه عن ما سماه "الاحتذاء" حيث يعمد الشاعر إلى تقليد شاعر آخر يقول: (اعلم أن الاحتذاء عند الشعراء، وأهل العلم بالشعر وتقديره وقيمه، أن يبتدىء الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً - والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه - فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره).<sup>١</sup>

الرابعة: أنها كشفت عن علاقة المتكلم بالمتلقي من خلال شبكة العناصر المكونة للحدث الكلامي من متلجم و نص، ومقام يمثل صلة التواصل بين المتكلم والمخاطب، فالكلام لا تحدده مقاصد المتكلم وحسب، وإنما تتدخل مقاصد المتلقي لتجه آلية الكلام، وترتبطه بما يسمى المقام، إذ ينطلق الكلام من المتكلم ليتفاعل مع معطيات قد استقرت بين المتحاورين.<sup>٢</sup>

الخامسة: إن المتتبع لجهود العلماء في سعيهم وراء أسباب الإعجاز في القرآن الكريم من بدايات الدرس اللغوي يجد أن الأساس الذي اتكأت عليه تلك الدراسات كان في الدرجة الأولى هو المتلقي، لأنّهم الدارسين كان ملاحظة ارتباط النص القرآني بمتلقيه خاصة لما كانوا يجلونه من حرج في تناول هذا النص بالاعتماد على مصدره<sup>٣</sup>، وعندما بدأت الدراسات اللغوية تبتعد عن دائرة النص القرآني و تبحث في دواعي الإعجاز، صفت العناية بالمتلقي حتى جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، ليسلط الضوء على المتلقي مصوراً الانعكاسات النفسية للكلام على وجدهانه وإدراكه، و ما يمكن أن يحدث عنده من أريحية، أو نشاط تخيلي متعمقاً دور المعنى في كل ذلك من خلال تناوله لظواهر علمي المعاني و البيان.

ولكن، هل كان الجرجاني يريد أن يجدد النحو من خلال نظريته في النظم؟ و هل كان ربطه النظم بتوصي معاني النحو هو من قبيل إعادة الحياة إلى الدرس التحوي، الذي كان قد دخله الجمود، وضافت حلواته حتى أصبح رصدأً لأواخر الكلمات، و تتبع حالات الإعراب؟<sup>٤</sup> و ما معنى مقولته

<sup>١</sup> عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٣١٥.

<sup>٢</sup> محمد عبدالمطلب البلاغة والأسلوبية ص ١٧٦ .

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ١٧٥ .

<sup>٤</sup> عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ١٤ .

الجرجاني في مقدمة كتابه دلائل الإعجاز (هذا كلام وجيز يطلع به الناظر على أصول النحو جملة وكل ما به يكون النظم دفعة؟<sup>١</sup>)

الحقيقة أن الجرجاني لم يكن همه تصحيح مسار الدرس النحوي الذي أصبح في عصره (ضربياً من التكلف وباباً من التعسف وشبيلاً يستند إلى أصل ولا يعتمد على عقل)<sup>٢</sup>؛ بل كان همه قبل كل شيء بيان دلائل الإعجاز فوصل إلى أن تونخي معانى النحو هو الأساس الذي يقوم عليه إعجاز نظم القرآن و هناك فرق بين النحو و تونخي معانى النحو فالنحو يسعى إلى بيان الأسلوب الصحيح في الكتابة، الذي يطابق أوضاع القواعد النحوية فيعرف الدارس للنحو الكيفية التي تتساوى فيها الكلمات، حتى تؤدي معنى يصل إلى عقل المتألق، وهذا ليس هدف النظم، لأن النظم يقوم على تونخي، أو اختيار الأساليب التي تؤدي غرض المتكلم فهو يختار من الأساليب الموضوعة في قوانين النحو ما يمكن أن يعبر عن الأغراض، و المعانى المناسبة للمقام والحال، ليصل بها إلى عقل المتألق و وجداته، ولو أراد الجرجاني تحديد النحو لاتخذ طريقاً آخر في تناول النصوص و لأتى بالبراهين و الأدلة التي تقدم ما أصله النحوويين قبله كما أن كتبه في النحو لم تنهج هذا النهج بل أكد في كتابه "العوامل المائة" نظرية العامل التي اعتمدها النحوويون.

إن (تونخي معانى النحو) يهدف إلى رصد اللغة والكلام في أرقى استعمالاتها مما جعل دراسة الجرجاني أقرب إلى الدرس الأدبي و الفيزي لذا كانت هذه الدراسة الجسر الذي ربط الدرس اللغوي بال النقد<sup>٣</sup> و كان علم المعانى هو العلم الذي يمكن أن نسميه بـ"النحو الإبداعي"<sup>٤</sup>

### الفرق بين النحو ومعانى النحو عند الجرجاني

كانت التفرقة بين النحو و تونخي معانى النحو واضحة في ذهن الجرجاني، فمعانى النحو عنده هي قواعد ثابتة مستقرة لا تحتاج إلى إعادة نظر أما تونخي هذه المعانى في عملية النظم فهي مجال المزية و الحسن و مجال الإبداع والمنافسة لأنها تقوم على عملية الاختيار، و حسن الاستخدام وفق قوانين النحو و معانيه و هذه الغاية هي التي تميز بين النحو و النظم.

١ المصدر السابق ص ٣.

٢ المصدر السابق ص ١٤.

٣ البلاغة والأسلوبية ص ٢٧٢ - وانظر: تمام حسان الأصول ص ٣٩١.

٤ المصدر السابق ص ١٩٢.

هذه العملية تحتاج من الناظم أن يمتلك الحس الأدبي، والنحو الفنى إضافة إلى الخبرة الدقيقة في معانى النحو و الدرية في أوضاع اللغة، و هذا يتخطى هدف البحث في الخطأ و الصواب، يقول الجرجاني: (إإن قلت: أفاليس هو كلاماً قد اطرب على الصواب و سلم من العيب؟ أ فما يكون في كثرة الصواب فضيلة؟ قيل: أمّا و الصواب كما ترى فلا، لأنّا لسنا في ذكر تقويم اللسان و التحرز من اللحن، و زيع الإعراب، فتعتّد بهذا الصواب)<sup>١</sup>

و يتبع الجرجاني مبيناً مجال الدراسة البلاغية قائلاً: (إنما نحن في أمر تدرك بالفكرة اللطيفة و دقائق يوصل إليها بثاقب الفهم... حتى إذا وزنت بين كلام و كلام، دريت كيف تصنع، فضمنت إلى كل شكلٍ شكله و قابلته بما هو نظير له و ميزت ما الصنعة منه في لفظه مما هي منه في نظمها)، وهذا كما يرى الجرجاني إنما يعود إلى النحو و الدرية، والنحو لا يمتلكه المتلقى إلا بالخبرة و الفهم الثاقب فتحن إزاء (أمور تدرك بالفكرة اللطيفة و دقائق يوصل إليها بثاقب الفهم)<sup>٢</sup>

و من هنا توجه اهتمام النحويين إلى ملاحة الوظيفة النحوية داخل الجملة، من حيث الفاعلية والمفعولية.....الخ، مما ضيق أفق الدراسة حتى انحصرت داخل نطاق الجملة، أو الجملتين، و هذا أدى بدوره إلى الانفصال بين اللفظ و المعنى في دراسة النص اللغوي و من ثم تحول البحث في اللغة إلى النظر في العلاقات المنطقية التي تربط بين الألفاظ، ليخرج الباحث بعلاقات أشبه بالقواعد الرياضية.

صحيح أن الجرجاني لم يخرج على قواعد النحو، بل كان يدعو إلى الالتزام بها لكنه وضع قاعدة واضحة لدورها في الكلام، وذلك حين رأى أن المتكلم باللغة يعرب عما (في نفسه و بيئته و يوضح غرضه منه و يكشف للبس عنه)<sup>٣</sup> و يكون ذلك بمرااعة الترتيب الخاص الذي يتبعه الإعراب وفق أحكام النحو<sup>٤</sup>.

و يخلص الجرجاني إلى أن ضم الكلمات وفقاً لترتيب معين، مع قام معناه و استقامته، هو الذي ينتج عنه ما يسمى (النحو)، وهو الذي تفسره نظرية العامل يقول: (فالكلام لا يستقيم، ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد، إلا بمرااعة أحكام النحو فيه، من الإعراب و الترتيب الخاص)<sup>٥</sup>، و

١ عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٧٣.

٢ المصدر السابق ص ٧٣.

٣ عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٧٣.

٤ عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة تحقيق هـ. ربز ص ٦٧.

٥ المصدر السابق ص ٦٥.

٦ عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ٦٥.

الترتيب الخاص هو الذي يترتب عليه الإعراب الذي هو العمل النحوي، و العمل هو القسم الثالث من أقسام نظرية العامل عند الجرجاني، أما القسمان الأول و الثاني فهما: العامل و المعمول، ومن هنا يمكننا القول إن عبد القاهر لم يجدد النحو و إنما أعاد الحياة إلى الدرس النحوي، حين سلط الأضواء على أبعاد تحدد أبعاد الدرس النحوي، وهي:

١- معانى النحو، أي معانى البنية الشكلية للغة، والتي على أساسها يشكل المتكلم جملة البنية الشكلية التي تحدد المعنى النحوي، وليس المعنى المعجمي.

٢- النظم و العلاقات السياقية حيث يتبع الإعراب الترتيب الخاص للكلمات.

٣- البنية الكلية المرتبطة فيما بينها لتشكل كلاً واحداً بطريقة الارتباط والربط.

ويرى الجرجاني أن معانى النحو هي معانٍ جزئية تُولَف من تضامنها معنى واحداً هو المفهوم، وهو ما يعرف بـ "غرض المتكلم"، وهذه إشارة لم يسبقها إليها أحد، يقول: (واعلم ان مثل واضح الكلام مثلٌ من يأخذ قطعاً من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة، وذلك أنك إذا قلت: "ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له" فإنك تحصل من بمجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدةً معانٍ كما يتوهّم الناس)،<sup>١</sup> وهو بهذا يرتفع مفهوم البنية ليعطيها شكلاً جديداً في إطار الجملة، وهو ما يسمى المفهوم المتحصل من تفاعل المعاني الحركية، الذي يمكن أن يصلح أساساً لمفهوم البنية الكلية للنص.

وعلى ذلك نستطيع القول إن عملية بناء التركيب اللغوي تقوم عنده على المراحل التالي:

آ- الاختيار: أي اختيار الوحدات من مخزونه اللغوي التي يمكن أن تفي بغرضه، بما يتاسب ومعاني المبنية عن الحالة الشعرية التي يعيشها<sup>٢</sup>

ب- الترتيب: أي تحديد موقع كل واحدة لغوية وفق ما يقتضيه غرض المتكلم، وذلك بأن يُجري عملية تنظيم لما تم اختياره، على نحو يتلاءم فيه هذا التنظيم مع النسق الفكري والمعنوي والشعوري الذي يتواءر على حال المتكلم، مراعياً الرتب المحفوظة، والرتب غير المحفوظة، وفقاً لترتيب المعاني في النفس.<sup>٣</sup>

١ عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٢٨١.

٢ عبد السلام المسدي الأسلوب والأسلوب ص ٧١ - وانظر: محمد عبد المطلب البلاغة العربية فراغة أخرى ص ١١٣.

٣ تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٨٨ - وانظر: عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٤٣، ١٣٢ - ١٣٣.

ج - التعليق: ويتم من خلال<sup>١</sup>.

أ - القرائن اللغوية

ب - القرائن المعنوية والحالية

وهذا يدل على أن عملية البناء اللغوي عند الجرجاني لا تتم على نحو عشوائي، وإنما تخضع للقوانين الناظمة في اللغة، لذلك رفض الرأي الذي يقول بأن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة على أنهم يقصدون بالضم النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معنييهما، (لأنه لو حاز أن يكون بحد ذاته ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكن ينبغي إذا قيل: (ضحك خرج) أن يحدث من ضم (خرج) إلى (ضحك) فصاحة وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخي معنى من معانٍ النحو فيما بينها)<sup>٢</sup>.

وأكّد الجرجاني عنصر الاختيار في البناء اللغوي حين اشترط أن يكون للفظ صفة (تستبطن بالتفكير، و يستعان عليها بالرواية... ومن هنا لم يجُزْ - إذا عُدَّ الوجه التي تظهر بها المزية أن يُعَدَّ فيها الإعراب و ذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كالماء، و ليس هو مما يستبطن بالتفكير و يستعان عليه بالرواية... إنما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء، إذا كان إيجابها من طريق الجهاز، كقوله تعالى (فَمَا رَبَحَتْ بِخَارِقِهِمْ)... مما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدِيق، و من طريقِ يقتلطُفِ وليس يكون هذا علماً بالإعراب، و لكن بالوصف الموجب للإعراب)<sup>٣</sup>، يقول: (... فإنك إذا فكرت في الفعلين، يتأتي الاسمين تريد أن تخبر بأحد هما عن الشيء، أيهما أولى أن تخبر به عنه، و أشبه بغضنك مثل أن تنظر أيهما أمدح و أذم، و فكرت في الشيئين تريد أن تشبه الشيء بأحد هما أيهما أشبه به كنت قد فكرت في معانٍ نفس الكلم إلا أن فكرك ذلك لم يكن إلا من بعد أن توخيت فيها من معانٍ النحو، وهو أن أردت جعل الاسم الذي فكرت فيه خيراً عن شيء أردت فيه مدحاً أو ذماً أو تشبيهاً... ولم تجيئ إلى فعل أو اسم ففكّرت فيه فرداً، ومن غير أن كان لك قصد أن تجعله خيراً أو ير خيراً<sup>٤</sup>)

١ تمام حسان الأصول ص ٣٨٩ - وانظر: العربية معناها ومبنها ص ١٨٨.

٢ عبد الفاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٢٧١.

٣ المصدر السابق ص ٢٧٢ - ٢٧١.

٤ عبد الفاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٢٨٠.

وعلى ذلك يمكننا القول إن الجرجاني اعتمد في بلورة نظريته في النظم على ركائز نحوية، إذ حول البنى البلاغية إلى بني نحوية، عن طريق رصد العلاقات التي تربط بين عناصرها و هي علاقات نظمية خالصة قد تحافظ على نمطها المعتمد عند النحويين حيناً و قد تخرج عليها في أحياناً كثيرة في صور من الانزياح، أو ما يسمى العدول، و ذلك تبعاً لما يتطلبه المعنى و لما تمله ظروف الحال و المقام.

لا ريب أن هذا الإنجاز الكبير الذي تم على يدي عبد القاهر، والذي تمثل في نظرية النظم كان يقوم أصلأً على فهم عميق لآلية الإنتاج الكلامي وعلى تبييز واضح للفرق الجوهرية بين اللغة و الكلام، إلا أنها نلمح في أثناء تناوله لهذه المسائل مفاهيم لغوية أخرى شكلت ركائز و منطلقات أساسية في فهم أبعاد الظواهر اللغوية و البلاغية عنده والتي أثبتت الدراسات المعاصرة صحتها و ثباتها على مر الزمن، و أهم هذه المنطلقات:

#### ١- اللغة ظاهرة اجتماعية:

هذه الفكرة من أهم ما توصلت إليه الدراسات الحديثة في علم اللغة، إذ أثبتت أن اللغة لا تعيش إلا في ظل مجتمع إنساني، وهذا ما أراده "غليوم هيبولدت" حين قال: (إن الإنسان واللغة قد خلقا معاً)،<sup>١</sup> كما قام فرع من فروع هذا العلم بالكشف عن العلاقة بين اللغة و المجتمع، وهو ما يسمى: (علم اللغة الاجتماعي)،<sup>٢</sup> (الذي يهتم برؤوس اللغة في سياقها الاجتماعي، ويدرس أيضاً الطرق التي تتغير بها البنية اللغوية استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة).<sup>٣</sup>

ولعل فكرة اجتماعية اللغة هي من أهم الأفكار التي طرحتها العالم السويسري "فرديناند دسوسر" ،<sup>٤</sup> الذي ألح في تعريفه للغة على الجانب الاجتماعي إذ (يبدو هذا الطابع الاجتماعي واضحاً في تعابير كثيرة يلجأ إليها "دي سوسور" في كلامه عن اللغة: "اللغة هي واقع مكتسب وأصطلاحي" "اللغة هي مؤسسة اجتماعية" ، "الرابط الاجتماعي الذي يكون اللغة")<sup>٥</sup>.

ومما يؤكّد السمة الاجتماعية للغة إجماع اللغويين على أن الوظيفة الأساسية للغة هي تحقيق التواصيل والترابط بين أفراد المجتمع، وهذا يعني أن مهمة اللغة لا تقتصر على تحقيق التفاهم بين الناس، و إنما

١ جورج مونان تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين ترجمة بدر الدين القاسم ص ١٩٧ .

٢ عاطف مذكور علم اللغة بين القديم والحديث ص ٤٣ .

٣ عاطف مذكور علم اللغة بين القديم والحديث ص ٤٤ .

٤ ميشال زكريا الألسنية مبادئها وأعلامها ص ٤٢ .

تحقيق (المخالطة الاجتماعية والاتصال بين الناس، وهي التي تصبح الفرد بالصيغة الاجتماعية)<sup>١</sup>، و يرى جوزيف فنديريس أن اللغة تكونت في أحضان المجتمع...؛ بل إنها الشارة التي تصهر الأفراد في مجتمعاتهم فتقوى الروابط الاجتماعية لأنها النتيجة المباشرة للاحتكاك الاجتماعي<sup>٢</sup>.

هذه الفكرة كان عبد القاهر الجرجاني قد أكدتها في كتابه دلائل الإعجاز حيث قال: (إن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلم و مقصوده)<sup>٣</sup>، و يقول في موضع آخر: (كل ما شاكل ذلك مما يُعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا و تكلموا و أخروا السامعين عن الأغراض و المقاصد و رأموا أن يعلوهم ما في نفوسهم و يكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم)<sup>٤</sup>.

و عمّق هذه الفكرة حين جعل بعد اللغوي للإنسان، هو الذي يحرر الإنسان من الطاقة الكامنة إلى الحركة فاللغة عنده كالقادح الذي يخرج الطاقة الإنسانية من حيز القوة الكامنة إلى حيز الفعل، إذ إن (الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها و بين مراتبها و يكشف عن صورها، و يجني صنوف ثمرها، و يدل على سرائرها، و يبرز مكون ضمائرها... فلولاه لم تكن لتعدي فوائد العلم عالمه، و لا صحيح من العاقل أنيفتقعن أزاهير العقل كمامئه و لتعطلتْ قوى الخواطر و الأفكار من معانيها... و لبقيت القلوب مقفلةً على ودائها، و المعانى مسجونةً في موضعها)<sup>٥</sup>.

فالكلام هو الذي يخرج خبايا النفس و الفكر إلى حيز الوجود، وهذا القول يذكرنا بقول الجاحظ:

(إن اللغة تترقى في منازل الوجود الإنساني و كمالاته، فتغدو صورة لتوأزي مداركه في التدرج نحو استيعاب الكون وجوداً، و عقلاً، فاستطاعة، فتصرفاً فرويةً و هذا هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان)<sup>٦</sup>.

## ٢ - العلاقة بين اللغة والفكر

١ عاطف مذكور علم اللغة بين القديم والحديث ص ١٥.

٢ جوزيف فنديريس اللغة تعريب عبدالحميد الدواخلي و محمد الفصاص ص ٣٥.

٣ عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٣٥٧.

٤ عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٣٨.

٥ عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ١.

٦ أبو عنمان الجاحظ كتاب الحيوان تحقيق وشرح عبد السلام هارون ص ٧٢.

على الرغم من قدمها، فإن هذه الفكرة ظلت من الإشكاليات التي تصدرت الأبحاث اللغوية المعاصرة، إذ لا يزال هناك جدل حول وجود صلة بين اللغة والفكر، والرأي الشائع هو وجود تلك الصلة، فقد أكدتها الفرنسي (بورنون) في كتابه "اللغة والفكر"، الذي ركز فيه على دراسة العلاقة القائمة بين اللغة والفكر، وفي رأيه أن الفكر سابق للغة، ويمكن أن يكون هناك تطابق كامل بين أحداث الفكر وأحداث اللغة<sup>١</sup>.

إلا أن هناك من ردّ على هذا الرأي، وعده اللغة شيئاً خارجاً عن كيان الفكر، لأن العلاقة القائمة بين اللغة والعالم علاقة مباشرة لا تمر عبر الفكر، ويتمثل ذلك في العلاقة المباشرة بين الدال والمدلول، أي بين الرمز و ذات الشيء نفسه وأن اللغة في تعبيراتها المختلفة تُصوّرُ قام التصوير الأجزاء المختلفة في العالم.

وكان ابن جني قد عقد عدة فصول تتعلق بالصلة بين اللفظ من حيث أصواته التي يتربّك منها، ونغمته وجرسه من جهة، ومعناه من جهة أخرى، كالباحث الذي ورد تحت عنوان: "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" ، والبحث الآخر أيضاً الذي عنوانه "باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني" .<sup>٢</sup>

مثل هذه الآراء بقيت غائمة لأنها لم تحدد علاقة الصوت بالمعنى ولم تحدد ما إذا كان للغة ارتباط بالتصور العقلي... مما جعل فهم طبيعة العلاقة اللغوية غير واضحة، وقد أثبتت كثير من الدراسات اللغوية المعاصرة خطأ هذا التوجه، إذ لا نجد في أية لغة ذلك الانطباق التام بين أصوات الكلم والأشياء التي تدل عليها، فإذا وجدت بعض الألفاظ، فهذا لا يعني أن يكون ذلك قاعدةً عاماً تشمل جميع ألفاظ اللغة وعلى العكس من ذلك، فقد أثبتت الدراسات أن الكلمات رموز اتفاقية في دلالتها على معانيها، وأن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة تواضعية وهذا يعني أن هذه الرموز ليس لها وجود مادي مباشر وإنما يتم ذلك عن طريق العقل، وعن طريقربط الدال بالمدلول في عمليات عقلية ذهنية<sup>٣</sup>.

هذه الفكرة، أي "التطابق التام بين اللغة و الفكر" وجدت لها صدى في الدراسات الغربية، إذ حاول اللغوي الفرنسي (بورنون) – كما أشرنا – (إيجاد موازاة بين الكلمات والمفاهيم وبين الأخبار

١ ميشال زكريا الألسنية ص ٧٦.

٢ ابن جني الحصائر تحقيق محمد علي النجار ص ١٤٥، ١٥٢.

٣ عاطف مذكر علم اللغة بين القديم والحديث ص ٢٢.

والتراكيب المعايرة عنها)،<sup>١</sup> إلا أن الواقع اللغوي يثبت أن التراكيب و الجمل لا تعبّر بدقة عن أجزاء الفكر على نحو مطابق تماماً و إذا كانت اللغة توصل بعض أجزاء الفكر، أو جلها إلا أن عملية الإيصال تختلف من متكلم إلى آخر، وفقاً لقدرته على استغلال طاقات اللغة من جهة و وفقاً لقدرته على حسن الصياغة اللغوية لأفكاره من جهة ثانية و من هنا لا يمكن أن تكون اللغة مطابقة تماماً للتفكير.

كل ذلك لا يعني انعدام العلاقة بين اللغة و الفكر، فلا بد من وجود رابطة من نوع خاص بينهما صحيح أن لكل منهما طبيعة خاصة، و لكن حين يجتمعان يكون توحدهما عضوياً، معنى أن الرابطة بينهما متفاعلة في نطاق التأثير و التأثر، على نحو يمتنع على الدارس أن يتناول كلاً منها على حدة، فلا بد من دراسة اللغة عند دراسة الفكر و العكس صحيح، لأنهما يشكلان وحدة لا انفصام لها فلا توجد لغة من غير تفكير، و لا يوجد فكر من غير لغة.

إلا أن البحث في الوظيفية الأساسية لللغة، يقودنا إلى الفهم الواضح للعلاقة بين اللغة و الفكر، إذ أفر دارسو اللغة أنها تكمن في (نقل الخبرة الإنسانية، والتعبير عن الفكر، و اكتساب المعرفة، لأن الألفاظ – كما يقولون – حصون الفكر، وبالتالي فلا وجود للفكر بدون لغة).<sup>٢</sup>

وقد ذهب الفيلسوف الإنكليزي "جون لوك" إلى أبعد من ذلك حين أكد أن (اللغة تولد الفكر، وأن الناس ليطلبون في تكون أفكارهم عنون اللغة... فاللغة تعدّ أم التفكير، وأن ما يسمى عمليات العقل ليس إلا من عمل اللغة)<sup>٣</sup>

و لعل ابن حزم الأندلسي كان أكثر عمقاً في تناول هذه الظاهرة، فاللغة هي المفتاح الذي يلتج به الفكر إلى العالم الخارجي، و (يقرر أن علاقة الإنسان بالأشياء هي علاقة معرفة ثم يردف أنه "لا سبيل إلى معرفة حقائق الأشياء إلا بتوسط اللفظ" و بذلك يتسعى أن يستبطط تطابق الحد التمييزي في اللغة مع مبدأ تمييز الأشياء في العالم الخارجي، وهو ما يقود ابن حزم إلى اعتبار الحديث اللساني مجهاً تمييزياً يعكس انفصال الموجودات بعضها عن بعض، فتصبح اللغة صفيحة عاكسة لحدود الأشياء مما أنها ترسم مفاصيل بعضها عن بعض).<sup>٤</sup>

١ ميشال زكريا الألبستينية ٧٦.

٢ عاطف مذكور علم اللغة بين الفقه والحديث ص ١٢.

٣ المصدر السابق.

٤ عبد السلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ٥٣ - ٥٤.

وهذا ما أشار إليه "جون لوك" حين قال: (إن الكلمات هي علامات حسية على الأفكار و هذه الأفكار هي معناها المباشر)، ويعقب صاحب كتاب (فلسفة اللغة) على هذا الرأي، فيقول: (إن الأفكار لها وجود غير مستقل عن اللغة كما أن وظيفتها غير مستقلة عن اللغة أيضاً ولو أن كلاماً من أراد أن يحتفظ بأفكاره لاختفت اللغة)، وهذا يعني أنه إذا فقدَ التعبير ضاءً الفكر، فاللغة كما يقول المفكر الألماني "هبيولت" (هي عمل العقل)، وهي الصوت المنطوق الذي نستطيع به أن نعبر عن الفكر)، مما يؤكد أن اللغة كانت (الوسيلة التي يتكون بها التفكير...، وليس ت نوع اللغات إلا دليلاً على ت نوع العقليات)<sup>١</sup>.

لا ريب أن هذه الرؤية الواضحة للعلاقة بين اللغة والتفكير، كان الجرجاني قد امتلكها حين قرر بناء نظريته في النظم، فقد حلل علاقة الإنسان باللغة عبر التفكير فاستخلص أن الكلام ليس منه شيء يخرج عن عمل العقل إلا دلالة الألفاظ بالوضع المبدأ<sup>٢</sup>، لذا نراه يؤكد (أنه لا يتأتى للنظام نظم إلا بالتفكير والرواية)<sup>٣</sup>؛ بل إنه راح في كل مرحلة من مراحل دراسته للجوانب اللغوية والبلاغية من نظرية النظم، يحاول أن يثبت ارتباط اللغة والكلام بتفكير المتكلم من جهة، وبتفكير الملتقي من جهة ثانية فاللغة عنده عملية عقلية نفسية، توجهها مقاصد المتكلم، وأغراضه، وأفكاره التي تمثل في ترتيب المعاني في النفس أولاً، ثم يتبعها ترتيب الكلم على نحو خاص، يقول: (... ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى الألفاظها في النطق ؛ بل أن تناسقت دلالتها، و تلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل... ودليل آخر وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه، دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها، لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم، أو غير الحسن فيه...) أوضح من هذا كله، وهو أن هذا النظم الذي يتواصفه البلاغة و تتفاصل مراتب البلاغة من أجله، صنعة يُستعان عليها بالفكرة لا محالة و إذا كانت مما يُستعان عليه بالفكرة، و يستخرج بالرواية، فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس<sup>٤</sup>).

١ عبد الرحيم فقه اللغة في الكتب العربية ص ٧٢.

٢ المصدر السابق ص ٧٢.

٣ عاطف مذكر علم اللغة بين القديم والحديث ص ١٢.

٤ جورج مونان تاريخ علم اللغة ص ١٩٧.

٥ عبدالسلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ١٧٨.

٦ عبدالغفار الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٢٨٣ - وانظر: محمد عبد المطلب البلاغة العربية قراءة أخرى ص ١١٣.

٧ عبدالغفار الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٤٣.

ويوضح الجرجاني نواحي الخطأ في تصور بعض الدارسين للعلاقة بين اللغة والفكر، فيقول (فترى الرجل منهم يعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتبة إلا من بعد أن يفكر في المعانٰ، ويرتبها في نفسه على ما أعلمناك، ثم تفتشه فتراه لا يعرف الأمر بحقيقته، وتراه ينظر إلى حال السامع فإذا رأى المعانٰ لا تقع مرتبة في نفسه، إلا من بعد أن تقع الألفاظ مرتبة في سمعه، نسي حال نفسه، واعتبر حال من يسمع منه)<sup>١</sup>

وعلى هذا النحو كان الجرجاني في كل فرصة يسعى إلى إبراز دور الفكر في توجيه نظم الكلام و ما يبحثه في قضية اللفظ و المعنى و توحيدُه بينهما، إلا صورة من صور مفهومه للعلاقة بين اللغة والفكر بل إنه ذهب أبعد مما يجده في الدراسات اللغوية المعاصرة حين ربط اللغة ليس بفكر المتكلم و حسب بل جعلها تمتد إلى فكر المتلقي أيضاً فكلُّ من المتكلم و المتلقي لا يلتقيان إلا في ظل التوجيه الفكري بوصفه جسراً بينهما و يمتد تأثيره بالتأكيد على الرسالة اللغوية التي قد تتطرق بدلالها الإيمائية إلى نطاق أوسع من معانٰ العناصر المشكّلة للنص ولا سيما إذا كانت تنضوي تحت لواء الفن الأدبي و البلاغي، يقول الجرجاني: (إذا رأيت البصیر بجوهر الكلام يستحسن شرعاً، أو يستجید ثراً، ثم يجعل الشأن عليه من حيث اللفظ... فاعلم أنه ليس بثبات عن أحوالٍ ترجع إلى أحراض الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوي؛ بل أمرٍ يقع من المرء في فواده و فضلٍ يقتضيه العقل من زناده).<sup>٢</sup>

ويقول في موضع آخر: (ومعلوم أن الفكر من الإنسان يكون في أن يخبر عن شيء بشيء، أو يصف شيئاً بشيء، أو يضيف شيئاً إلى شيء، أو يشرك شيئاً في حكم شيء، أو يخرج شيئاً من حكم قد سبق منه لشيء، أو يجعل وجود شيء شرطاً في وجود شيء، وعلى هذا السبيل، وهذا كله فكرٌ في أمورٍ معلومة معقولة زائدة على اللفظ)، (إنما أرادوا بقولهم: ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه سمعك أن يجهد المتكلم في ترتيب اللفظ، و تهذيه و صيانته من كل ما أحل بالدلالة و عاق دون الإبانة... وإن توقفت في حاجتك إليها السامع للمعنى إلى الفكر في تحصيله فهل تشک في أن الشاعر الذي أداه إليك... قد تحمل فيه المشقة الشديدة... و معلوم أن الشيء إذا عُلم أنه لم ينل في أصله إلا بعد

١ المصدر السابق ص ٣٠٦

٢ عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ٤.

٣ عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٢٨٣.

التعب... كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء إلى تعظيمه<sup>١</sup>، ولعل تناوله لقضية اللفظ و المعنى و توحيديه بينهما كان من أوضح الأدلة على فهمه الثاقب للعلاقة بين اللفظ و الفكر.

لقد نجح الجرجاني في تحديد موقع العقل من قضية خروج الكلام من الاعتباط الابتدائي إلى التلازم الصائر، حين حلل علاقة الإنسان باللغة عبر التفكير وانتهى إلى أن الكلام لا يخرج منه شيء عن عمل العقل إلا دلالة الألفاظ بالوضع المبتدأ فبمجرد ضم كلمة إلى أخرى تحصل بنية مفيدة تقوم على الإسناد و تبقى المشكلة مطروحة على صعيد نظرية المعرفة الحالصة و التي مفادها: (ما الذي يكمن وراء التحام جزأين حتى يصير منها كل دلالي لا يتجرأ؟ وليس من حواب عند الجرجاني إلا الرجوع إلى العقل) <sup>٢</sup>.

وكي يدلل على ذلك يلحدا إلى تفكيك الحديث الكلامي إلى عناصره التواصيلية، فيبرز منها خاصة:

- ١- المخبر: هو الفاعل للكلام و الصانع لنسيجه، لكونه واضح الفائدة.
- ٢- المخبر عنه: و هو مدار الحديث و مستدعي الفائدة.
- ٣- المخبر به: هو مضمون الحديث و فيه دعوة الفائدة.
- ٤- الموضوع له الخبر: و هو متلقى الفائدة.<sup>٣</sup>

فإذا قمت عملية التواصل بين المخبر والذى وضع له الخبر، فإنما تكون قد سارت طبقاً للانتظام الذى تقتضيه وتجيزه مواضعات اللغة وسبر حركتها في ظل هيمنة العقل، بوصفه منظم اللغة الذى يعمل على إنشاء عنصر جديد هو انصهار لكل عناصر الكلام التواصيلية، وهذا يعني أنه لا يكون هذه العناصر رصف و تنسيق وفق ما تقتضيه معانى النحو، إلا في ظل رقابة العقل، فله الحظ الأوفر في حياكه نسيج الكلام، وهو المنظم الذي يوجه عمليات الانصهار اللغوي لإنتاج عنصر جديد يتمثل في "العلاقة"، أو "الحكم" الذى يحقق التواصل في الخطاب الإنساني، وبذلك يتلقى محتوى الكلام مع صانعه و متلقيه في تقاطع، لا يمثل نقطته المركبة إلا حضور العقل بوصفه رصيداً مشتركاً بين المرسل و المرسل إليه، وبالتالي لا بد أن يلقي العقل بظلاله على الرسالة اللغوية، لتصبح صورة من صور الفكر الحالص.<sup>٤</sup> يقول الجرجاني:

١ عبد القاهر الجرجاني اسرار البلاغة ص ١٣٢ - ١٣٣ .

٢ عبد السلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ١٧٨ .

٣ المصدر السابق ص ١٧٩ .

٤ المصدر السابق .

(و إذا قد ثبت أن الخبر و سائر معان الكلام، معان ينشئها الإنسان في نفسه و يصرفها في فكره و ينادي بها قلبه و يرجع فيها إليه فاعلم أن الفائدة في العلم بها واقعة من المنشئ لها صادرة عن القاصد إليها، وإذا قلت في الفعل إنه موضوع للخبر، لم يكن المعنى فيه أنه موضوع لأن يعلم به الخبر في نفسه وجنسه ومن أصله وما هو، ولكن المعنى أنه موضوع حتى إذا ضممه إلى اسم عُقِّل منه ومن الاسم أن الحكم بالمعنى الذي اشتق ذلك الفعل منه على مسمى ذلك الاسم واقع منك أيها المتكلم)<sup>١</sup>

وقد جاءت الدراسات الحديثة لتأكيد هذه الفكرة، من خلال توصيف دقيق لما يجري في إتمام عملية الإدراك اللغري مما وضح دور الفكر و العقل في هذه العملية من خلال فهم آلية الربط بين الدال و المدلول و من خلال ملاحظة دور العقل في آلية الاقتران بين الإحساس بالصوت والإحساس بالصورة من جهة و بينهما و بين أي نوع من أنواع الأحاسيس الأخرى و يكون الصوت في كل ذلك دليلاً على ما اقترن به من أحاسيس (إذا كان هذا الصوت بعينه في الواقع مقروراً بهذه الصورة بعينها في الواقع ثم غابت الصورة و قام الصوت تولت أعصاب الدماغ المختصة توليد تلك الصورة الغائبة).<sup>٢</sup>

وقد يكون للفظ دلالة محدودة عند شخص، أو عدة أفراد متصلين بعلاقات اجتماعية أو غير متصلين فهذا اللفظ يشكل علاقة لغوية فردية، وكيف يشكل علاقة لغوية عامة، ينبغي أن يولد عند عامة الجماعة التي تداوله صوراً وأحاسيس، و تجرب أخرى مشتركة بين غالبية أبناء الجماعة اللغوية.<sup>٣</sup>.

### ٣- اللغة تنضوي تحت لواء الموضعية

علاقة الدال بالمدلول من القضايا الجدلية التي شغلت حيزاً لا يأس به من الدرس اللغوي منذ عهد بعيد سواء في الدراسات العربية القديمة أو المعاصرة وكذلك كان حالها في الدراسات اللغوية الغربية إذ تعد من أهم القضايا التي تناولها (علم اللغة).

١ عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٣٦٤.

٢ نعيم علوية نحو الصوت و نحو المعنى ص ٧.

٣ المصدر السابق.

وقدُطُرحت نظريات كثيرة تترواوح بين الاعتقاد بالتطابق الكلّي بين اللّفظ و مدلوله، من حيث تمثيله للمدلول بمحرس حروفه و دلالاته، و بين الفصل التام بين اللّفظ و مدلوله إذ يخضع اللّفظ لما يسمى (المواضعة)، وذلك بأن يطلق اللّفظ على مسمى ما بالتوافق بين أعضاء الجماعة اللغوية<sup>١</sup>.

هذه القضية تناولها الجرجاني في ظل الأصول الاعتزالية التي انبثقت عنها أبعاد فكره الأشعري، والتي تدين للعقل في التناول المعرفي مؤيداً في ذلك كثيرأً من سبقه في الأخذ بها فإذا كانت هناك بعض الكلمات التي تحمل ظللاً من طبيعة الماهية، فإنها لا تستطيع أن تطابق الواقع تطابقاً كاملاً، كما أن أكثر اللغة قائم على الاتفاق و المواضعة لذا راح الجرجاني يلح على أن اقتران أي لفظ معناه، (لما كان في منشئه توافطاً مخصوصاً، فإنه لا يقوم بين الدال و المدلول من الاقتباس ما يمنع تصور أي دال آخر لنفس المدلول) وعلى ذلك فإنه لا يمنع أن تتصور أي مدلول لأي دال كان<sup>٢</sup>، يقول الجرجاني: (إن نظم الحروف هو تواليهما في النطق فقط و ليس نظمهما يعنى عن معنى و لا الناظم لها يعنى في ذلك رسمأً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمها لها ما تحراه فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد<sup>٣</sup>).

ويشير في موضع آخر إلى استحالة أن تحمل الألفاظ دلالاتاً في أنفسها، فاللفظ في ذاته يحمل دلالته الواقعية يقول: (اعلم أن هاهنا أصلاً أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب و ينكر من آخر وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأنْ يُضم بعضها إلى بعض فيُعرف فيما بينها فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم، والدليل على ذلك أنا إن زعمنا أنَّ الألفاظ التي هي أوضاع اللغة إنما وضعت ليُعرف بها معانيها في أنفسها لأدوى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته... و حتى لو لم يكونوا قد وضعوا الحروف، لكننا نجهل معانيها فلا نعقل نفياً ولا نهيأً ولا استفهماماً ولا استثناءً و كيف و المواضعة لا تكون ولا تتصور إلا على معلوم فمحال أن يوضع اسم أو غير اسم لغير معلوم و لأنَّ المواضعة كالإشارة<sup>٤</sup>)

١ على عبد الواحد وافي نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ص ٣٠ وما بعدها.

٢ عبدالسلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ١١٣ .

٣ عبدالغفار الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٤٢ .

٤ عبدالغفار الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٣٦٣-٣٦٢ .

موقف الجرجاني هذا تؤيده أشهر الدراسات اللغوية المعاصرة، فقد عرض "دسوسر" اعتراضين يمنعان الأخذ مبدأً ارتباط أصوات الكلمة بالماهية<sup>١</sup>

الاعتراض الأول: أن الكلمات المحاكية للأصوات تدل على أن الدالة ليست دائمًا جزافية أي أن مبنائيها الصوتية توحي أحياناً بارتباط معين بين اللفظ والمعنى، إلا أن عدد هذه الكلمات كان قليلاً نسبة إلى الألفاظ اللغة كما أنها لا تمثل جزءاً هاماً في المعجم اللغوي، إضافة إلى أنها لا تمثل عناصر عضوية في داخل النظام الصوتي كما يرى أن الكثير منها يمكن أن يكون قد حدث بعد تطورات صوتية، تضعف من تصور هذه الكلمات مجرد محاكاة للأصوات طبيعية.

الاعتراض الثاني: أنه لو كانت الكلمات تحمل دلالة المطابقة للواقع، كالصيحات الانفعالية أو الكلمات التي تمثل دلائهما، لوجدنا هذه الألفاظ متماثلة في كل لغات العالم، إلا أن المقارنة بين هذه الصيحات في لغتين، تدل على التفاوت التي تعبّر به كل منهما على الواقع نفسه<sup>٢</sup>.

وبرهن الجرجاني على صحة مذهبة، حين أكد أنه لما كانت اللغة تقوم على الموضعة و الاتفاق فالعلاقة بين اللغة و العقل إنما تقوم على تنزيل الأدلة عن طريق المقارنة بين الدال و المدلول لتعقد بينهما نوعاً من العلاقة العقلانية أي أن تحديد معنى الكلمة يكون عن طريق الرابط العقلي بين الدال والمدلول، وهذا يعني أن تحديد معنى الكلام يكون أيضاً بدلالة القرائن والأدلة، وهذا يستدعي بالضرورة وجود العقل، لأن مبدأً "أن اللغة قائمة على الموضعة" عملية تستدعي حضور العقل، وهو حضور مزدوج و توضيح ذلك أن العقل عاجز عن إيجاد رابطة تربط بين الدال والمدلول بروابط مباشرة، مما يجعل الدال كالصورة المطابقة للمدلول لذا كانت هذه الرابطة اعتباطية رمزية. يقول الجرجاني: (وما يجب ضبطه في هذا الباب أن كل حكم يجب في العقل وجوباً حتى لا يجوز خلافه، فإضافته إلى دلالة اللغة و جعله مشروطاً فيها محال لأن اللغة تجري مجرى العلامات و السمات، و لا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما حملت العلامة دليلاً عليه و خلافه)<sup>٣</sup>.

ومن ناحية أخرى يتمثل دور العقل من خلال تفرده بالتحكم في نسيج النظام اللغوي ذاته، اعتماداً على شبكة العلاقات الموضوعة في هذا النظام و هذا ما أكدته الجرجاني في أثناء إثباته نظرية

١ مصطفى مندور اللغة بين العقل والغمارة ص ٩٩-١٠٠.

٢ المصدر السابق ص ١٠٠.

٣ عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ٣٤٧.

النظم و العلاقات السياقية فهو لا يزال في كل فرصة في كتابيه يؤكّد أن العقل هو الذي يقضي بالأحكام اللغوية و بيّنها.

ففي سياق حديثه عن المجاز يبرهن على أن اللغة قائمة على المواجهة، يقول: (إذا قلنا مثلاً: "خط أحسن مما وشاء الربيع"، كنا قد أدعينا في ظاهر النقوص أن للربيع فعلًا أو صنعاً، وأنه شارك الحقيقة القادر في صحة الفعل منه وذلك تجوز من حيث المعقول لا من حيث اللغة لأنه إن قلنا إنه مجاز من حيث اللغة، صرنا كأننا نقول: إن اللغة هي التي أوجبت أن يختص الفعل بالحقيقة القادر دون الجماد وأهلاً لحكمت بأن الجماد يصح منه الفعل و الصنع... لكن ما هو مجاز الآن حقيقة، ولعده ما هو الآن متأولًا معدوداً فيما هو حق محصل وذلك مجال ... وإنما وزان ذلك، وزان أشكال الخطأ التي جعلت إمارات لأحراس الحروف المسموعة، في أنه لا يتصور أن يكون العقل أفتراضي احتصاص كل شكل منها بما احتص به، دون أن يكون ذلك لاصطلاحٍ وقَاعَةً و تواضعٍ اتفاقَةً ولو كان كذلك لم تختلف المواجهات في الألفاظ والخطوط و لكيان اللغات واحدة كما وجب في عقل كل عاقل).<sup>١</sup>

في هذا النص نجد أن الجرجاني أثار قضية هامة من قضايا اللغة و الدلالة، وهي علاقة المعاني بعضها البعض، مما أوصله إلى جوهر النظم أو التأليف، وهو هنا يضع الحكم الفصل في علاقة اللغة بالعقل، ويكون بذلك قد أجاب عن إشكالية وقف عندها الدارسون، وهي: هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية، أم بإزاء الماهيات الخارجية؟ وبذلك استطاع أن يبلور الحكم النهائي في هذه القضية الخلافية مؤيداً رأيه بالأدلة، والبراهين المدعومة بالعقل و المنطق.

ولم يقف الجرجاني عند هذا الحد من مثل عملية المواجهة اللغوية، بل إنه تخطى هذه المرحلة للبحث في التحول من المواجهة التعسفية للغة إلى المرحلة الثانية، وهي مرحلة التلازم الطبيعي بين الدال و مدلوله، وهي العلاقة التي كانت قائمة على اعتباطية هذا التلازم و هنا يبرز دور العقل حين يعمل على إحكام هذه الصلة، إذ رأى أن المتكلم حين يُلْفِ كلامه يجعل العقل حكمًا، فليس شيء من الكلام يخرج عن عمل العقل إلا دلالة الألفاظ بالوضع، يقول الجرجاني: (وهكذا "لِيُضَربَ زَيْدٌ" لا يكون أمراً لزيد باللغة، ولا "اضرب" أمراً للرجل الذي تخاطبه، وتقبل عليه من بين كل من يصح خطابه باللغة، بل بك أيها المتكلم فالذي يعود إلى واضح اللغة أن "ضرَبَ" لإثبات الضرب وليس لإثبات الخروج، وأنه لإثباته في زمان ماض وليس لإثباته في زمان مستقبل، فاما تعين من يثبت له فيتعلق من

١ عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ٣٧٧-٣٧٨.

٢ عبدالسلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ٣١٠.

أراد ذلك من المخبرين بالأمور، والمعبرين عن وداع الصدور... بحسب ما تأذن به العقول، وترسمه، أو معدولاً بها عن مراسيمها نظماً لها في سلك التخييل، وسلوكاً بها في مذهب التأويل<sup>١</sup> هذا يقودنا إلى مناقشة مفهوم آخر، وهو التحول الدلالي، الذي يُعد أساساً من أسس التفكير اللغوي عند عبد القاهر.

#### ٤- التحول الدلالي

تمثل ظاهرة التحول الدلالي في ما يسمى (المجاز)، وهو أن يجوز المتكلم بالكلمة من معناها الوضعي إلى معنى آخر شرط أن يكون بين المعنى الأول و الثاني مناسبة أو علاقة توسيع علمية التحويل الدلالي.

و هذه الظاهرة تمثل في تحركها ضمن نسيج الأبنية الكلامية مرحلة ثانية من المواجهة فهي خروج على المواجهة الأولى إلى مواجهة ثانية لكنها ليست دائمة أو مُنزلمة، ومع ذلك فهي تعتمد على العمليات اللغوية التي تغذي اللغة و تبث فيها روحًا جديدة تضمن حيويتها و نموها إنما تشكلُ جديد و مخاض دائم مستمر وهذا ما دفع ابن جني ليقول: (أعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة)<sup>٢</sup> يأتي المجاز ليخرق المواجهة بمواجهة أخرى، ولكنها مشروطة، إذ يكون التحول الدلالي مرتكزاً على علاقة منطقية تربط بين الدلالة الوضعية الأولى (الدائمة) و الدلالة الوضعية الجديدة (العرضية)، وهذا قائم على أساس أن الدلالة الوضعية الأولى هي تعليق دال مدلول من غير أي اضطرار، أو علاقة طبيعية بينهما لذا كانت العلاقة بين الدال المجازي و مدلوله هي أيضاً علاقة اعتباطية تحدث في صلب اعتباط أول، لكنها علاقة أمنٍ لما تحمله من تلازم منطقي شفاف بين الدلالة الأولى و الدلالة الثانية.<sup>٣</sup>

وقف الجرجاني عند هذه القضية وقفه المتأمل، الذي يتضرر إلى خفايا الظاهرة بنظر ثاقب و من ثم تناولها بدقة علمية فلم يترك أيَّ بُعد من أبعادها من غير أن يخضعه للفحص المجهري الدقيق، ففي تعريفه للحقيقة يشير صراحة إلى فاعلية المواجهة في اللغة، فهو يرى أنها (كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضعٍ واضحٍ - وإن شئت قلت في مواجهةٍ - و قرعاً لا تستند فيه إلى غيره).<sup>٤</sup>

١ - عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

٢ - ابن جني الحصائر ص ٤٣٧ .

٣ - التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ١٩٨ .

٤ عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ٣٢٣ .

ويتضح موقفه من الموضعية: عندما شرح عبارته مُشيراً إلى أنه جاء بعبارة "وضع واضح" على التفكير ولم يقل "في وضع الواضح الذي ابتدأ اللغة" أو "في الموضعية اللغوية" حتى لا يتورّه السامع أن (الأعلام) أو غيرها مما تأخر وضعه عن أصل اللغة يخرج عنه<sup>١</sup>.

ولما كانت اللغة تقوم على مبدأ الموضعية والاتفاق، فإن العلاقة بين اللغة والعقل إنما تقوم على تنزيل الأدلة عن طريق المقارنة بين الدال والمدلول، لتعقد بينهما نوعاً من العلاقة العقلانية، وهذا يقود إلى أن تحديد معنى الكلام يكون بدلالة القرآن، وهذا بدوره يعني أن العقل هو الذي يذيب الحواجز بين الدال والمدلول، أي أن افتران اللغة عن طريق الموضعية تصل إلى حد التلازم والانصهار، صحيح أن العقل لا يستطيع الربط المباشر بين الدال والمدلول، يعني أن يكون الدال صورة مطابقة للمدلول، إلا أن العقل لا ينفرد بالتحكم داخل النّظام اللغوي عندما يتعرف على شبكة العلاقات القائمة في مواضعها الأولية، فيستبطّع علاقات آنية جديدة لا تخضع كلياً للمواضيع الأولية؛ بل تخرج على قوانينها من غير أن تقطع الصلة بها فائتاً، لأنها تبقى بعض ملامح الموضعيات الأولية، لتتضفي على هذا الخروج نوعاً من الشرعية التي يقبلها العقل، يقول الحرّاجي: (وما يجب ضبطه في هذا الباب أن كل حكم يجب في العقل وجوباً حتى لا يجوز خلافه، فإذا صفتَه إلى دلالة اللغة، وجعلْتَه مسروطاً فيها محال، لأن اللغة تجري بمحرى العلامات والسمات، ولا معنٍ للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما حملت العلامة دليلاً عليه)<sup>٢</sup>.

ومن خلال تناوله قضية النظم و العلاقات السياقية، توصل الحرّاجي إلى تأكيد دور المتكلّم في عملية التحوّل الدلالي و في التصرّف في أسبابها مبيّناً عمل المبدع، ولا سيما في إخضاع اللغة لإبداعه الفي وفق أغراضه ومقاصده إذ يمارس عليها فعل التصرّف مدلولاً لها، وهو يعلم أن المتلقّي سيقبل هذه التحوّلات الدلالية الجديدة، وهو في حالة استرسال مع الأجهزة الخيالية والوجودانية والمعنوية للعمل الفي، وإذا كانت القواعد اللغوية و البلاغية تحدّ بعضًا من هذا التصرّف، إلا أن ما تضمنته كتب الأخبار و النقد من أخبار المبدعين، توّكّد استمرار عملية التصرّف الإبداعي في اللغة على مر العصور وتوّكّد الجانب الاعتراضي المشروط، من خلال ما يسمى المحاجز خاصة.

هذه الفكرة كانت واصحة في ذهن عبد القاهر الجرجاني إذ راح يؤكّد، في أثناء تناوله للمجاجز والاستعارة خاصة، أنها قائمة على الادعاء وليس على النقل كما قرر العلماء قبله، يقول: (إذا ثبت

١ المصدر السابق ص ٣٢٥

٢ التفكير اللساني في الحصارة العربية ص ٢٠١

٣ عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ٣٤٧

أنها ادعاء معنى الاسم للشيء، علمت أن الذي قالوه من أنها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة، و نقل لها عما وضعت له كلام قد تسامحوا فيه، لأنه إذا كانت الاستعارة ادعاء معنى الاسم، لم يكن الاسم مزألاً عما وضع له ؛ بل مقرأ عليه<sup>١</sup>.

هذا النص يدل على ارتقاء الجرجاني بفكرة المواضعة الجازية، إذ تبقى هناك علاقات تربط الدلالة الجديدة للاسم المزال عما وضع له أصلاً بدلالته القديمة، لكنها ليست روابط دائمة، بل إن العملية هي من قبيل التداخل بين الأشياء، إنها ادعاء مشروط و لهذا نجد الجرجاني يؤكّد ضرورة التناسب بين الدلالتين، وهذا يعني أن حركة التحول الدلالي تقوم على الرابط المنطقي بين دلالتين تخضعان لمبدأ المواضعة، الأولى منها هي الدلالة المعجمية الدائمة، والثانية هي الدلالة الجازية العرضية.

و هنا نلاحظ ارتباط التحول الدلالي عند الجرجاني بالعقل ولكن من جانب آخر في هذه المرة، فقد استطاع بفكرة النافذ أن ييلوّر هذا الجانب، و يبرره من خلال تركيزه على فكرة النظم والعلاقات السياقية إذ يقرر أنه لا يمكن للتحول الدلالي أن يتم في الألفاظ المفردة، ولا بد له من سياق لغوي أو حالي يكون فيه مقترباً بما يسمى القرينة اللغوية أو الحالية، وهذه القرينة هي التي تحدّ من اعتباطية المجاز، يقول الجرجاني: (كذلك علمت أن لا سبيل إلى الحكم بأن هننا مجازاً، أو حقيقةً من طريق العقل إلا في جملة من الكلام... فكما يستحيل وصف الكلم المفردة بالصدق والكذب،...) كذلك يستحيل أن يكون هنا حكم بالمجاز أو الحقيقة، وأنت تنحو نحو العقل، إلا في الجملة المفيدة فاعرفه أصلأً كبيراً<sup>٢</sup>).

و يُخرج الجرجاني القضية من سياقها العربي ليجعلها ظاهرة لسانية عالمية تشمل جميع اللغات الإنسانية لأنها تمثل نشاطاً عقلياً يستقطب كل اللغات<sup>٣</sup> يقول: (و إنما اشتهرت هذا كله لأن وصف اللغة بأنها حقيقة أو مجاز حكم فيها من حيث أن لها دلالة على الجملة، لا من حيث هي عربية، أو فارسية، أو سابقة في الوضع، أو محدثة، أو مولدة، فمن حق الحدّ أن يكون بحيث يجري في جميع الألفاظ الدالة و نظير هذا نظير أن تضع حدّاً للاسم و الصفة في أنك تضعه بحيث لو اعتبرت به لغة

<sup>١</sup> عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٢٩٦.

<sup>٢</sup> عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

<sup>٣</sup> التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ٢٠١.

غير لغة العرب، وجدته يجري فيها جريانه في العربية لأنك تحدّ من جهةٍ لا اختصاص لها بلغة دون <sup>١</sup> لغة

#### الخاتمة

وهكذا يمكننا القول إن الجرجاني كان عالماً لغوياً قبل أن يكون عالماً بلاغياً، فهو لم يكتف بالوقوف عند حدود الظاهرة اللغوية البلاغية؛ بل كان يتناولها بروية وعمق، ويتوغل في خباياها ليصل إلى الرؤية السليمة، والفهم الثاقب، وهذا ما جعله يدرك آلية الحركة اللغوية في مستوىها المختلفة إدراكاً صحيحاً ودقيقاً، وبذلك اتجه بدراساته البلاغية الوجهة السليمة، التي أثبتت صحتها على مر العصور، من هنا كان لابد من أن يكون ثمة تواصل بين كل مستويات الدرس اللغوي والفيني من جهة، وبين نظرية النظم والعلاقات السياقية، لأنما الأساس في تطوير اللغة لتساير تطور حركة الحياة.

#### المصادر والمراجع

- ١ - ابن جين أبو الفتح عثمان الخصائص تحقيق محمد علي النجار ط٢ بيروت: دار المدى للطباعة والنشر.
- ٢ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الحيوان تحقيق وشرح عبد السلام هارون ط١ مكتبة الحلبي.
- ٣ - الجرجاني عبد القاهر أسرار البلاغة تحقيق هـ. ريتر ط٣ بيروت: دار المسيرة ١٩٨٣م.
- ٤ - الجرجاني عبد القاهر دلائل الإعجاز تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية ط١ دمشق: دار قتبة ١٩٨٣م.
- ٥ - حسان تمام الأصول ط١ الدار البيضاء: دار الثقافة ١٩٨١م.
- ٦ - حسان تمام اللغة العربية معناها ومبناها الدار البيضاء دار الثقافة.
- ٧ - حميدة مصطفى نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ط١ القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٧م.
- ٨ - الراجحي عبده فقه اللغة في الكتب العربية بيروت: دار النهضة العربية ١٩٧٩م.
- ٩ - زكريا ميشال الألسنية مبادئها وأعلامها بيروت ١٩٨٠م.
- ١٠ - زهران البدراوي عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ط٣ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٦م.

- ١١ - عبد المطلب محمد البلاغة العربية قراءة أخرى ط١ القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٧م.
- ١٢ - عبدالمطلب محمد البلاغة والأسلوبية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤.
- ١٣ - علوية نعيم نحو الصوت و نحو المعنى ط١ الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ١٩٩٢م.
- ١٤ - فندريس اللغة ترجمة عبد الحميد الدواхи و محمد القصاص القاهرة: الأنجلو مصرية ١٩٥٠م.
- ١٥ - مذكر عاطف علم اللغة بين القديم وال الحديث، مديرية الكتب والمطبوعات، جامعة حلب ١٩٨٧.
- ١٦ - المسدي عبد السلام التفكير اللساني في الحضارة العربية تونس: الدار العربية للكتاب ١٩٨١م.
- ١٧ - مندور مصطفى اللغة بين العقل والمغامرة القاهرة: منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٤م.
- ١٨ - مونان جورج تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين ترجمة بدر الدين القاسم مطبعة جامعة دمشق ١٩٧٢م.
- ١٩ - وافي علي عبد الواحد نشأة اللغة عند الإنسان والطفل القاهرة: مطبعة العالم العربي ١٩٧١م.

## منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي

علي زائرى وند\*

### الملخص

يعدّ أبو الطيب المتنبي من عمالقة الشعر العربي فيوصف بأنه كان نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره مصدر إلهام ووحي للشعراء والأدباء، ولكنه كثرت الآراء القائلة بفساد شعره ونقص مذهبة في القرن الرابع، وهذا كان الدافع الرئيسي من وراء تأليف كتاب "الواسطة بين المتنبي وخصومه" لعلي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني؛ فانصف القاضي الجرجاني الشاعر المتنبي من خصومه بعدهما توسط الفريقين المتصارعين في محبته ومعاداته فأعطى لكل فريق حقه وكشف تسرعه وأنخطاءه وكشف عورات الحاذدين عليه.

فهدف هذه الدراسة معالجة "منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي" وهو المنهج الذي أصبح من الركائز الرئيسية للنقد الأدبي عند العرب.

### المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآلـه وصحبه، وبعد؛ فهذا بحث في "منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي" في كتابه الموسوم بـ: "الواسطة بين المتنبي وخصومه". وحاولت أن أقف على أهم المعامم المنهجية التي دافع بها هذا الناقد عن المتنبي، وهل كان دفاعه على أساس فتية ورصينة؟ أم كان مدفوعاً بالتعصّب والهوى؟ أم أنه اعتمد ميزاناً عقلياً لا فينا ولا عصبياً؟

فهذا الكتاب يُعدّ من أهم الكتب التي وضعت المتنبي في الميزان ودافعت عنه، ولذلك كان لابدّ لنا أن نسير معه فصلاً فصلاً وأن نتبين كيف استطاع مؤلفه أن يقنع المتلقى بأن المتنبي مظلوم في الهجوم عليه وأن كثيراً من هاجموه كانوا مدفوعين بالهوى والحسد. وأنه لا يقلّ مكانة عن كبار الشعراء الذين سبقوه كأبي قحافة والبحترى.

\* طالب الدكتوراه، في قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية.

تاریخ القبول: ٨٩/٩/١٠

تاریخ الوصول: ٨٩/٦/١٢

ويبدو أن هذا الشعور كان الدافع من وراء تأليفه لهذا الكتاب، ولذلك فقد بناه بما يتوافق مع المهد الدفاعي، فنجد في كتابه ثلاثة أجزاء رئيسية:

١- المقدمة وفيها يقرر القاضي الجرجاني موقفه من الأدب ونقده. وفي هذا الجزء جل النظريات النقدية التي جاء بها واعتمد عليها.

٢- دفاعه عن المتنبي.

٣- نقد تطبيقي ويتناول فيه مأخذ الخصوم على المتنبي.

فمن خلال هذا التقسيم، نجد أن الرجل جل همه أن يخرج من هذه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" منتصرا له ومدافعا عنه وراراً للتهم التي أُصقت به وواضعا له المزلة الأدبية التي يستحقها.

وأما بالنسبة إلى الدراسات السابقة في الموضوع فرى أن هناك عددا كبيرا من النقاد والأدباء تطرقوا إلى موضوع المتنبي ووساطة القاضي الجرجاني بينه وبين خصومه، ولكن كل منهم عالج القضية من منظاره الشخصي يدخل فيه أحيانا هواه الشخصي؛ ولعل ما يميز هذه الدراسة هو أن الباحث حاول أن يدرس "منهج القاضي في الدفاع عن المتنبي" بعيدا عن الآخيار وذلك لتبين أساس منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي، المنهج الذي أصبح من الركائز الرئيسية للنقد الأدبي عند العرب فيما بعد.

وقد حاولت أن أعرض في هذا البحث القصير "منهجه في الدفاع عن المتنبي" لأقف على ملامحه العامة، فإن أحسست فمن الله، وإن قصررت فأرجو أن يكون هذا البحث دافعا لي لبحث القضية بشكل تفصيلي في المستقبل. والله الموفق.

### تحديد الخصوم وألوان الدفاع

يبدأ القاضي الجرجاني في كتابه "الوساطة بين المتنبي وخصومه" دفاعه عن المتنبي بتحديد خصومه ويقسمهم قسمين: أولئك الذين لا يرون فضلاً إلا للمتقدمين جاهلين وأمويين، وهؤلاء إذ يرفضون الشعر الحديث، وبذلك فإنهم يحرجون المتنبي وبهجهون شعره لأنه لاحق المحدثين. ثم أولئك الذين يسلمون بفضل أبي تمام وحزبه ومع ذلك يهاجمون المتنبي، وهؤلاء قوم أفسد الهوى أحکامهم وأتلف الحسد نظراتهم.<sup>١</sup>

١ القاضي الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه ص. ٣.

فهو يرى أن المتعصبين للقديم يسرفون في ذم المحدثين، ويظلمونهم عندما يرفضون شعرهم جملة، مع أن هؤلاء المحدثين أجدوا بأن يترفق في الحكم عليهم<sup>١</sup>.

وقد لحظنا أن القاضي الجرجاني يذكر ما عيب به شعر المتنبي، ويأتي بأمثلة كثيرة من شعره المعيب ويعقب على ذلك بإيراد أمثلة من شعره الجيد، ويورد من ذلك قدرًا كبيراً ثم يتطرق إلى قضية السرقات في الشعر ويدرك رأيه في السرقات تمهيداً لمعالجة ما تُسب إلى المتنبي من السرقات، وفي قسم كبير من كتابه يقوم الجرجاني بقياس أبي الطيب بال يحدثين من الشعراء.

وبعد ذلك يعود المؤلف لاستكمال بعض المأخذ على أبي الطيب المتنبي، ويلتمس المعاذير له ويأخذ بعدئذ دراستها دراسة تفصيلية، يعرض فيها بعض الأبيات التي عيب على المتنبي ويدرسها بيّاناً ملتمساً العذر له في كثير مما وقع فيه.

إذن، يبدو أن القاضي الجرجاني جعل دفاعه عن المتنبي ألواناً ثلاثة:  
أولاً: وزن الحسنات بالسيمات لنرى أن جانب الحسنات أرجح.

ثانياً: أن أمثاله من عظماء الشعراء المحدثين لهم مثل أغلاطه، فلم ينفرد دونهم بالحساب والمؤاخذة وإغفال أمر الجيد من شعره.

ثالثاً: التمس الأعذار فيما أحاط فيه، إن كان له عذر<sup>٢</sup>.

وهذه الألوان الثلاث تحتوي على أقسام وفروع كثيرة ونحاول أن نقف عندها ليتسنى لنا معالجة منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي.

### وزن الحسنات بالسيمات

ففي القسم الأول يورد القاضي الجرجاني، السخيف من شعر أبي الطيب وكل الأبيات التي يختارها لذلك ليست اختياره هو، وإنما سبقه إليها خصوم الشاعر أمثال الصاحب والحاشي وغيرهما. يسلم الجرجاني إذن بما في شعر المتنبي من عيوب ولكنه يردف ذلك بالروائع من ديوانه ثم يدخل في مجال المقارنة ويورد ما اختاره من حيد شعر الشاعر بدون تعليق ولا شرح، وإن كان قد لجأ بعض الأحيان إلى المقارنة، وإن لم يفصلها ولم يحكم فيها دائمًا.

١ المصدر السابق.

٢ أحمد بدري القاضي الجرجاني ص ٧٤.

نرى القاضي الجرجاني في دفاعه عن المتنبي يتحذّل أحياناً منهج الدفاع المتعصب أو ما يسميه الباحث بالدفاع غير المبرر، أي أنه يمدح شعر أبي الطيب وما جاء فيه من ألفاظ نادرة ومعانٍ مبتكرة. ويعجب الجرجاني من أولئك النقاد الذين يعنون على أبي الطيب المتنبي "بيت شدّ" وكلمة ندرت وقصيدة لم يسعده فيها طبعه. وينسون محاسنه وقد ملأ الأسماع وشغلت الأفكار وبخاصة تجديده الذي لم يستطع غيره من الشعراء أن يأتي بما يصلح لصاحبه ومحاورته<sup>١</sup> وفي هذا المجال يورد قصيده في وصف الحمى التي مطلعها:

وزائرتي كأن بها حياءً فليس تزور إلا في الظلام

ويرى أنها من الجديد المبتكر وأن أمثلها بديوان الشاعر كثير، "وأمثال ذلك أن طلبه هداك إلى موضعه. وإذا التمسته ذلك على نفسه"<sup>٢</sup>.

#### قياس الأشباه والنظائر

أما القسم الكبير من دفاع الجرجاني عن المتنبي فيركز على أشبه ما يكون بالدفاع القضائي ونجد الجرجاني في هذا القسم يدافع عن المتنبي بذكر عيوب الشعراء المحدثين وذلك بالرغم أنه عرض الآيات بلا تحليل أو مناقشة، ثم يذكر الكثير من الأشعار الرديئة لأبي قحافة وأبي نواس وابن الرومي، كائناً عيني بأنه إذا كان هناك شعر رديء للمنتبي، فإن له أشباه أشدّ منه رداءة عند إمام المطبعين وسيد الصنعة، أو بالأحرى، إذا كان شعر صاحبه يتربّد بين الحسن والقبح، فإن له نظائر عند الآخرين<sup>٣</sup>. وأطلق "محمد مندور" على هذا النقد "قياس الأشباه والنظائر"<sup>٤</sup>.

وعلى سبيل المثال يقيس الجرجاني المتنبي بابن الرومي بقوله:

"وقد نجد كثيراً من أصحابك يتحلّل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقادمه، ونحن نستقرئ القصيدة من شعره وهي تناهز المائة أو تربى أو تضعف، فلا نثر فيها إلا باليت الذي يروق أو البيتين، ثم قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها جارية على رسالها، لا يحصل منها السامع إلا عدد القوافي

١ على بن عبد العزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٧٧.

٢ المصدر السابق ص ٩٣، ٩٢.

٣ مصطفى عمر في النقد الأدبي القديم ص ١٤٦.

٤ محمد مندور النقد المنهجي عند العرب ص ٢٥٦.

وانتظار الفراغ، وأنت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبيات تختار ومعانٍ تستفاد، وألفاظ تروق وتتعذر وإبداع يدلّ على الفطنة والذكاء وتصرف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار<sup>١</sup>.

مع أن الجرجاني ينبه إلى موقفه الحيادي تجاه المتنبي<sup>٢</sup> إلا أنه في موازنته يقلل من شأن نظائر المتنبي ويرفع من شأن أبي الطيب كما نرى في موازنته بينه وبين ابن الرومي يزدرى شعر ابن الرومي ويبالغ في مدح شعر المتنبي دون ذكر أسباب التفضيل.

إذن، لم يقف الجرجاني عند الشعر الجيد لأبي الطيب بين أسباب روعته، ونواحي الجمال فيه، ولو أنه فعل، لكان ذلك من أقوى وسائل الدفاع عن المتنبي، وكان المجال واسعاً أمامه للموازنات بينه وبين غيره. وإنه حتى في الموازنات القليلة التي عقدتها بينه وبين غيره، لم يقف طويلاً ليبيّن فضل أبي الطيب، ومقدار سموه في الناحية التي اتجه إليها، ولكنه كان يلمس ذلك لمسات مسرعة.<sup>٣</sup>

هذا والجرجاني اتّخذَ منهج قياس الأشباه والنظائر للدفاع عن المتنبي وهذا ما سماه أحد النقاد العرب بـ"قياس الأخطاء بالأخطاء" أو "قياس العيوب بالعيوب"<sup>٤</sup> وليس من المعقول أن نتمشى مع الجرجاني في منهجه هذا، إذ إنه بهذه القاعدة النقدية يصرّح أن من حق المتنبي أن يُعطي كما أخطأ قبله من الشعراء المحدثين وهذا ليس مبرراً لشاعر كالمنبي ليقع في الأخطاء، إذ إنه من الطبيعي أن يتعلم الإنسان من أخطاء السابقين ولا يقع فيها ومن حقنا كبشر أن نتمثل بالحسن ونبعد عن القبيح.

### النقد الموضوعي والمتاخذ على المتنبي

إلى هنا لم نجد نقداً حقيقياً أو وساطة عند الجرجاني بل كلّه دفاع عن المتنبي بطريقة سالبة<sup>٥</sup>، فهو لم يناقش مأخذ الخصوم على المتنبي، ولكنه سلم بها وردد عليهم بأن كبار الشعراء وقعوا فيما وقع المتنبي من أخطاء.

١ انظر: على بن عبدالعزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٥٢.

٢ انظر: المصدر السابق ص ٤٤٣.

٣ القاضي الجرجاني ص ٧٤.

٤ مصطفى عمر في النقد الأدبي القاسم ص ١٥١.

٥ محمود السمرة القاضي الجرجاني الأديب الناقد ص ١١٣.

وفي الضرب الثالث لدفاع الجرجاني عن المتنبي يجد مؤلف الوساطة ناقداً موضوعياً ومدافعاً عادلاً، ذلك لأن الناقد يتناول فيه ما عيب على أبي الطيب في شعره وما أخذ عليه العلماء من مأخذ، يناقشه ويحلله ويفصل القول فيه. "وهذا الجزء

الذي يجد فيه النقد الموضوعي الدقيق، وربما كان خيراً مما في الكتاب".<sup>١</sup>

وأول ما يلفت النظر في هذا الباب هو قضية السرقات، لأنها من أكبر المأخذ على المتنبي وأهم الوسائل لتجريحه ولذلك نرى الجرجاني قد خصّص صفحات كثيرة من الوساطة بقضية السرقات، إذ فصل فيها القول تفصيلاً يشمل التطرق إلى مبدأ السرقات وأنواعها وبعض النماذج عند الشعراء القدماء.

يرى الجرجاني أن السرق داء قديم، وأنه لم يخل منه شاعر قديم أو حديث، ويستعرض شواهد للشعر قديمة ومحدثة ونماذج من سرقات الشعراء وينخلص لأبي نواس والبحترى وأبي قحافة، ثم يناقش سرقات المتنبي.

وفي تقسيم السرقات سار على ما سبق أن قال به الآمدي في السرقات من حيث: أولاً: هناك معانٍ مُسْتَدِرَّة مبتدلة لا يصح أن تكون لشاعر دون آخر.

ثانياً: هناك معانٍ اختارها الشعراء السابقون، وأصبحت من حقهم، لأنهم ابتدعواها وهي التي يمكن أن تكون من البديع المخترع.

ثالثاً: هناك معانٍ محورة، مجدد، قد تمت إلى معانٍ شعراء سابقين أو إلى معانٍ مبتدلة ولكن يكون للشاعر حق تحويرها أو تجديدها.<sup>٢</sup>

والسرقة لا تعد سرقة إلا إذا أخذ الشاعر المعنى البديع وحده دون تغيير أو تعديل، وجعل الجرجاني للسرقة درجات، أقلّها سرقة الألفاظ، وأقصاها سرقة المعنى، "وقد تدق ولا يتبيّنها سوى الخبر العارف بأسرار الشعر ومواظنه".<sup>٣</sup>

وقد ذكر القاضي بعض المصطلحات التي لها صلة بالسرقات الشعرية مثل توارد الخواطر، والسرق، والغضب والإغارة والاحتلاس والإلمام والملاحظة والت المناسب واحتذاء المثال والقلب، و... الخ. ولكنه

١ محمد متدور النقد المنهجي عند العرب ص ٢٧٧.

٢ محمد زغلول سلام تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ص ٢٣٤.

٣ على بن عبدالعزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وحصمه ص ٣٢٥.

يتحذن في دفاعه عن سرقات شاعره نفس المنهج الذي اتبعه في كتابه للدفاع عن المتنبي ونعني به قياس الأشباه والنظائر وبذلك يعترض بسرقة المتنبي بعض المعاني من السابقين الأولين مما يدلّ على عدله في الحكم وانحيازه في المنهج أحياناً.

### الأخطاء المعنوية واللغوية للمتنبي

وبعد معالجة أهام المتنبي بسرقة بعض الأفكار والمعاني من السابقين يناقش ما عاشه النقاد على المتنبي بغية الدفاع عنه.

ومما عاشه النقاد على المتنبي هو التعقيد والغموض، والجرجاني يبدأ بمناقشة هذا الموضوع بإتخاذ منهج الأشباه والنظائر ويرى أن أبي قحافة قد بلغ ما لم يبلغه المتنبي ومع هذا لم يسقط ذلك شعره. كما يعتقد أن من يرى الألفاظ المخالفة والتعقيد المفرد [في شعر المتنبي] فيشك أن وراءها كثراً من الحكمة وأن في طيبها الغنية الباردة حتى إذا فتشتها وكشف عن سترها... فما هذا من المعاني يضيع لها حلاوة اللفظ ووهاء الطبع ورونق الاستهلال ويُسْعَح عليها حتى يهلهل لأجلها النسج ويفسد النظم<sup>١</sup>.

ومن مأخذ النقاد على المتنبي هو الإفراط، ويرى الجرجاني أنه "منذهب عام في المحدثين وموجود كثير في الأوائل والناس فيه مختلفون... والباب واحد ولكن له درجات ومراتب"<sup>٢</sup> ويرى أن الإفراط قد يؤدي إلى النقص.

ويتحذن منهج المقارنة كعادته، ويورد بعض الآيات كأمثلة على الإفراط من الشعراء المحدثين من أمثال أبي قحافة ولكن "محمد مندور" يعتقد أن ما ذكره الجرجاني كأمثلة على الإفراط من شعر أبي قحافة يعتبر من أجود الشعر وأن الجرجاني مخطئ في تسليمه بعيتها.<sup>٣</sup>

وكنالك الاستعارة تعدّ ما أخذت على المتنبي، وفكرة الصدق لدى صاحب الوساطة ترتد إلى موافقة العقل والمنطق عليها، وإذا جاءت الاستعارة منافية لفهم العقل ومخالفة لمنطق الأشياء، انتفت فكرة الصدق منها، فعندما يقول المتنبي:

مسرة في قلوب الطيب مفرقعها وحسرة في قلوب البهتان والليل

١ على بن عبدالعزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصوصمه ص ٧٥.

٢ المصدر السابق ص ٤٢٢.

٣ محمد مندور النقد المنهجي عند العرب ص ٢٩٧.

يعيب الجرجاني المتنبي الذي جعل للطيب والبيض واليلب والزمان فرادةً، ويقول: "وهذه استعارة لم تجد على شبه قريب ولا بعيد وإنما تصح الاستعارة على وجه من المناسبة، وطرف من الشبه والمقاربة"<sup>١</sup> ولكن سرعان ما يعود إلى منهجه المفضل ويساوي بين سخف أبي الطيب في هذا البيت وبين قول الكميت "إن الدهر قلب ظهره على بطنه كالمتمسك" وقول أبي رميلة "هم ساعد الدهر"، وحاجته في ذلك أن "هؤلاء قد جعلوا الدهر شخصاً متكاملاً الأعضاء تاماً الجوارح؛ فكيف أنكرت على أبي الطيب أن جعل له فرادةً؟"

وموضع الضعف عند الجرجاني في هذه المحاجة هو منهجه الذي يعتمد على المنطق والقياس، وهو يفعل ذلك بالرغم من أنه قد عثر على المقياس الصحيح عندما قال: "إن المميز هنا هو قبول النفس وتغورها والنفس لا تقبل ولا تنفر جرياً وراء قياس..."<sup>٣</sup>

وأخيراً يناقش "ما وقع الطعن عليه من جهة الإعراب ولكنه في ناحية الزلل في اللغة، وما الحق بذلك من النقص الظاهر والإحالة المبنية والتقصير الفاحش، فلا بدّ من تحديده والحكم على كلّ واحد بعينه لاختلاف مأخذ حججه، وتشعب القول في قوله أو رده".<sup>٤</sup>

ويقسم المعارضين على المتنبي قسمين: القسم الأول هم من اللغويين وال نحويين والآخر من أصحاب المعانى بقوله: "إإن المعارضين عليه أحد رجلين، إما نحوى لعوى لا بصر له بصناعة الشعر، فهو يتعرض من انتقاد المعانى لما يدل على نقصه، ويكشف عن استحكام جهله" و القسم الآخر هو "معنوي مدقق لا علم له بالإعراب، ولا اتساع له في اللغة، فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقم الأمر البين".<sup>٦</sup>

ويضرب أمثلة كثيرة لأنخطاء المتنبي التي يمكن أن يتلمس له عنر فيها أو يختتم له وجه في صحتها، ثم يقول: " وأبيات أبي الطيب عندي غير مستقرة في قسم الجواز، وقد بلغ هذا الحاجج منه مبلغاً، غير أن أبا الطيب عندي غير معنور بتراكه الأمر القوي الصحيح إلى المشكل الضعيف الواهي لغير ضرورة داعية، ولا حاجة ماسة".<sup>٧</sup>

١ على بن عبد العزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصوصه ص ٤٢٩.

٢ المصدر السابق ص ٤٣٠.

٣ محمد مت دور النقد المنهجي عند العرب ص ٣٠١.

٤ على بن عبد العزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصوصه ص ٤٣٤.

٥ على بن عبد العزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصوصه ص ٤٣٤.

٦ المصدر السابق.

٧ المصدر السابق ص ٤٧٢.

إذن، يرى الجرجاني أن كل فريق من عاب على المتنبي بهتم بالجانب الذي يخصه دون غيره، فتكون النتيجة أن يقع التحويون واللغويون في وهم المعاني ويقع المعنويون في وهم اللغة.

ولا يخرج دفاع الجرجاني عن أخطاء المتنبي في اللغة عن أهام اللغويين بالتحيز، أو بأن أصحاب المعاني لا يتقنون اللغة، أو بأن اللغة لا يمكن حصرها، فما وقع العالم أو جماعة من العلماء ليس كل اللغة، ويضرب الأمثال لعبارات وألفاظ وتراتيب صحيحة رويت في بعض كتب اللغة وليس شائعة، واعتمدها المتنبي.

فالجرجاني وجه اهتمامه الأكبر إلى سرقات المتنبي، ثم إلى أخطائه في اللغة والمعاني، وأما البديع فكان حظ أخطائه أقل ولذلك لم يتطرق القاضي إليه كثيراً.

ومهما يكن من أمر، فإن مناقشات الجرجاني تدلّ على سعة علمه وبحره في معرفة المعاني التي أوردها الشعراً قدر تمكنه من اللغة وقواعدها.

### الدفاع غير المباشر

وأشرنا في بداية هذه الدراسة أن القاضي الجرجاني جعل دفاعه عن المتنبي ألواناً ثلاثة ولكته في طيات كتابه يدافع عن المتنبي بشكل غير مباشر أي دون تصريح، وكذلك يدافع عن المتنبي ب الدفاع عن المحدثين ويرى أن الشعر المحدث أقرب إلى طباع أهل العصر "والنفس تألف ما جانسها وتقبل الأقرب فالأقرب إليها"<sup>١</sup>. ثم يقول إن الشاعر المحدث يُتهم بالسرقة ولكن الإنصاف يقتضي أن نعذر في ذلك، لأن المعاني قد استغرقها المتقدمون.<sup>٢</sup> ويبدو كأن دفاع الجرجاني عن المحدثين والتعاطف معهم هو في الحقيقة تمهد لإنصاف أبي الطيب<sup>٣</sup>. فالجرجاني لا ينافق الموضوع لإثبات شاعرية المتنبي وحده، ولا ليقرر شيئاً يتعلق به خاصة، وإنما "يناقشهم ليدعم الكيان الأدبي للشعراء المحدثين عامه"<sup>٤</sup>.

والمنهج الآخر الذي اتخذه الجرجاني للدفاع عن المتنبي بشكل غير مباشر هو وضع الشروط لعمود الشعر، إذ يرى أن عمود الشعر ذو أركان محددة، وهي:

#### ١. شرف المعنى وصحنته.

١ على بن عبد العزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٢٩.

٢ المصدر السابق ص ٤١٧.

٣ إحسان عباس تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ص ٣٣٣.

٤ عبد العزيز قليبة النقد الأدبي عند القاضي الجرجاني ص ٢٧٩.

٦. جزالة اللفظ واستقامته.
٤. إصابة الوصف.
٣. المقاربة في التشبيه.
٥. الغزاراة في البديهة.
٦. كثرة الأمثل السائد والأبيات الشاردة.

فابلجرجاني لم يصرّح عن رأيه في صلة المتنبي بعمود الشعر، "غير أنك تلمع من طرف خفيّ أن الشروط التي وضعها تنطبق على المتنبي تماماً، فإذا طالعته يعني مستكره أو وصف غير مصيّب أو استعارة مفرطة، دعاك إلى أن لا تحكم بيت على أبيات، وبشاذ مفرد على مستوى غالب"<sup>١</sup>.

وكذلك يذكر الجرجاني أن "الشاعر الحاذق من يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة. لأنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء"<sup>٢</sup>.

ويسوق الجرجاني في هذا المقام جملة من مطالع المتنبي التي حازت رضاه واستوفت في نظره شرائط الحسن.<sup>٣</sup>

وهكذا يُنهي القاضي الجرجاني دفاعه عن المتنبي.

## الخاتمة

وبعد هذا العرض الموجز لنُهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنبي نخرج بالنتائج التالية:

١. حدد القاضي الجرجاني خصوم المتنبي وقسمهم إلى قسمين: الذين يرفضون شعر المحدثين برمته والذين يؤمّنون بالحدثين لكنهم يرفضون شعر المتنبي وشاعريته.
٢. جعل الجرجاني دفاعه عن المتنبي ألواناً ثلاثة وهي: وزن الحسانات بالسيّارات، قياس المتنبي بغيره من الشعراء، والتماس الأعذار فيما أخطأ في أبو الطيب.
٣. لم يكن الجرجاني في دفاعه عن المتنبي محاباً كما يدّعي في كتابه ورأيناه منحازاً في كثير من أحكامه إلى المتنبي، إذ لم يبرّ بعض أحكامه.

<sup>١</sup> احسان عباس تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري ص ٣٢٣.

<sup>٢</sup> على بن عبد العزيز الجرجاني الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٢٧.

<sup>٣</sup> محمد عبدالحمّن شعيب المتنبي بين ناقديه (في القديم والحديث) ص ١٤٤.

٤. اخذ صاحب الوساطة منهج "قياس الأشباه والنظائر" للدفاع عن المتنى منهجاً غالباً في تناول القضايا.
  ٥. يعرض الجرجاني في دفاعه عن المتنى أبياته بلا تحليل كما يتناول ما عاشه النقاد على المتنى بغیر مناقشة علمية ودون برهان علمي في كثير من الأحيان.
  ٦. إن منهج قياس الأشباه والنظائر للدفاع عن المتنى لا يبدو منطقياً، إذ إنه قياس الأخطاء بالأخطاء أو قياس العيوب بالعيوب.
  ٧. استخدم الجرجاني أسلوب التمهيد والحديث العام عن المواضيع المطروحة بغية إنصاف المتنى والدفاع عنه بهدف التظير لإقناع المتلقى / القاريء والسير به إلى ما يريد.
  ٨. دافع الجرجاني عن شعر المتنى دون تصريح أحياناً وذلك بالتعاطف مع المحدثين.
  ٩. وضع القاضي بعض الشروط لعمود الشعر وللشاعر الجيد وجعلها تنطبق على شعر المتنى وشاعريته ليدافع عنه دون أن يصرّح بذلك.
  ١٠. اكتفى القاضي الجرجاني بالدفاع المنطقي عن أبي الطيب ولكنه لم يوفق دائماً في نظراته وهو أميل إلى المنطق والقياس منه إلى تحكيم النونق والحسن الفني.
  ١١. إن منهج القاضي الجرجاني في الدفاع عن المتنى مع كل ما يؤخذ عليه، يعدّ رائداً للمناهج النقدية في الأدب العربي، إذ فتح آفاقاً واسعة أمام النقاد المتأخرین.
- ### المصادر والمراجع
- ١ عباس إحسان تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ط٢ بيروت: دار الثقافة د.ت.
  - ٢ زغلول سلام محمد تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري القاهرة: دار المعارف ١٩٦٤ م.
  - ٣ عمر مصطفى في النقد الأدبي القديم ط٣ القاهرة دار المعارف ١٩٩٢ م.
  - ٤ السمرة محمود القاضي الجرجاني الأديب الناقد بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر د.ت.
  - ٥ بدوي أحمد القاضي الجرجاني ط١ القاهرة: دار المعارف ١٩٦٤ م.

- 
- ٦ عبد الرحمن شعيب محمد المتبني بين ناقدية (في القدس والحديث) ط١ القاهرة: دار المعارف القاهرة ١٩٦٤م.
  - ٧ فلقيلة عبد العزيز النقد الأدبي عند القاضي الحرجاني ط٢ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦م.
  - ٨ مندور محمد النقد المنهجي عند العرب ط١ القاهرة: مطبعة الفكرة ١٩٤٨م.
  - ٩ الحرجاني علي بن عبد العزيز (القاضي) الوساطة بين المتبني وخصومه القاهرة: دار إحياء الكتب العربية د.ت.

## آليات النص وفاعليات ما قبل التناص

\* الدكتور وفيق سليمانين

### الملخص

يعكف البحث المزمع إنجازه على دراسة نص متخيّر من شعر "ابن ملิก الحموي" في العصر المملوكي، ويهدف إلى الوقوف على الآليات النصيّة العاملة فيه، وتحديد أنواعها، ودرجات تفعيلها في بنائه وإنّاج دلالاته الممكّنة.

ومن ثم يعرض لأشكال التوظيف والاستخدام التي يتولّها النص، من خلال اشتباكه بالنصوص الأخرى التي يستحضرها وتحيل عليها. ويخلص البحث إلى تبيّان أهميّة هذه الممارسة ومناقشة أشكال التوظيف المعتمدة فيها بين حضور المرجع ومفهوم التناص.

**كلمات مفتاحية:** آليات النص، فاعليات، ما قبل التناص.

### المقدمة

لم يعد العرض التاريخي النظري كافياً لإحراز معرفة بالنصوص الأدبية، وطائق تشكّلها، وآليات تشغيلها؛ لذلك بات من الضروري تجاوز ذلك إلى اختبار النصوص بالتحليل الرامي إلى استكناه دوالحها وإخضاعها إلى الفحص الدقيق. ويأتي ذلك استكمالاً للدرس النظري وعميقاً له. وفي هذا المنحى لا تبقى النصوص المختلفة مجرد ثائق لغوية للعرض والاستشهاد، أو لتدعم فكرة وإبراز مقصد أو آخر، بل تغدو هي نفسها مملاً لتحليل علمي عميق، يهدف إلى الكشف عن أنظمتها الذاتية، وأساليب انتظامها وإنّاجيتها التي ترد بالضرورة على الدرس النظري التاريخي، وتتكامل معه على أساس علمي ومنهجي ينبع تقدلاً نوعياً في ميدان الدراسات الإنسانية.

أهمية البحث والمدّفون منه: تتأتى أهمية البحث من عكوفه على النص لإنتاج معرفة به، من خلال الكشف عن الآليات العامة التي تحكم بناءه، وتؤمن اشتغاله، وتعزّز إنتاجيته. وإذاً يتولّ العمل إبراز هذه الآليات، فإنه ينصرف، في الوقت نفسه، إلى الحفر في الطبقات النصيّة العميقـة، للوقوف على أشكال التوظيف والاستخدام التي يتولّها النص، وينتج نفسه من خاللها.

\* أستاذ منشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

وإذا كان من شأن ذلك أن يضيء علاقة النص بتراثه الخاص، فإنه يسهم، أيضاً، في تحديد استراتيجية النص الخاصة بتفعيل خطابه، من خلال اشتباكه بالنصوص التراثية، التي ينبعض عليها، ويقتوي بها، عبر استجابته للنسق المؤسس، ومحاكاته له، وامثاله لسلطته المرجعية. وفي ذلك ما يشير، على نحو ما، إلى الملوونة التي ينتمي إليها النص، ويعمل في إطارها.

منهج البحث: يقوم البحث على منهج التحليل اللغوي والأسلوبى، فينطلق من رصد المكونات الداخلية وسبل ترابطها، ليذهب، من ثمّ، إلى فحص علاقتها وتميز أشكال انتظامها. وهنا يأتي المسعى الأسلوبى الخاص بالكشف عن طرائق البناء والتشغيل، القائمة على التوالى والتكرار من جهة، وعلى التوصل بأساليب خاصة بالنصوص التراثية التي يستعملها النص المملوكى لأغراض محددة، تتصل بدعمه وإطلاق فاعليته، بنيةً وخطاباً، في آن معاً.

يتصلّى هذا البحث لأنوذج من شعر العصر المملوكى، فيعمل على تحليله، للكشف عن الآليات التي يقوم عليها بنائه من جهة، والتي يتوصّل بها لتفعيل خطابه من جهة أخرى. ولا شك في أن مواجهة النصوص الأدبية تردد حصيلة الجهد التطبيقي على النظرية، في الوقت الذي تتخذ منها منطلقاً تستهدي به في عملها على معاينة النصوص والحرف فيها، بقصد استجلاء الأنماط التي تتطوّر عليها، فتتماسك على أساسها، وتغدو موجّهة لها من الداخل.

ربما كانت أهمية هذا التوجّه تتأتّى، أولاً، من الانصراف عن التناول المحيطي للأدب، وعن الكلام على نصوصه من خارجهما، للتعقّل في سير المكونات النصيّة، وإصاعة سبل ترابطها، وإبراز آليات اشتغالها وإفضائياتها الدلالي على نحو أو آخر. وهذا ما يتعيّن الاعتبار المقلّم هنا لقول "ابن مليك الحموي" <sup>١</sup> في ذمّ أهل زمانه:

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| أذمُ إلى الزمانِ أهيل سوءٍ | يرون الغيّ من سبل الرشادِ |
| لئامُ يسلقونكَ حين تعشو    | لتارِهمُ بأسنةِ حدادِ     |

<sup>١</sup> هو علي بن محمد بن علي المعروف بابن مليك، ولد في حماة سنة (٨٤٠ هـ)، وتوفى على تحصيل علوم عصره في اللغة والأدب، توفي سنة (٩١٧ هـ).

ينظر في ترجمته: نجم الدين الغزى الكواكب المسائية بأعيان اللغة العاشرة ج ١ ص ٣٦١ - شهاب الدين الخفاجي ريحانة الألب رزهرة الحياة الدنيا ج ١ ص ١٨٨.

<sup>٢</sup> ابن مليك الحموي الديوان ص ٢٠٨، ٢٠٩ نقاً عن عمر موسى باشا الأدب العربي في العصر المملوكى والعصر العثماني ج ١ ص ٣٢٢.

على الشيء الملفف بالنجاد  
 إلى يوم القيمة والتنادي  
 ومضطجعاً على شوك القناد  
 وأن البخل من شيم الجياد  
 جياد في جياد في جياد.  
 تراهم من أشد الناس حرضاً  
 فيدخلونه قوتاً وزاداً  
 بيت نزيلهم غرثان يطوي  
 يرون الجود منقصةً وذلاً  
 فأكرهم وأندفهم بغاث

١— من الملاحظ أن بناء هذه الأبيات يقوم، أساساً، على الجملة الافتتاحية؛ جملة النم الخبرية، التي يمكن أن نشير إليها بـ "الجملة المركبة" أو "الجملة النواة"، من حيث إنها تشكل حجر الزاوية في هذا المبني. أما بقية الجمل فتتوالى متابعةً في صدورها عن الجملة النواة وارتباطها بها؛ فهي تلزم عنها، وتتنشد إليها بقرينة منطقية.

تنظم الأبيات السابقة، إذاً، من حيث هي جملة واحدة، تتفرع وتتطاول، دون أن تكون متتابعةً شعرياً. ومعنى ذلك أن الجملة النواة يجري تقطيعها، وتكرار دوائرها، على نحو أو آخر، في الأبيات اللاحقة. ويمكننا أن نميز ضرباً من التكرار المشار إليه، على النحو الآتي:

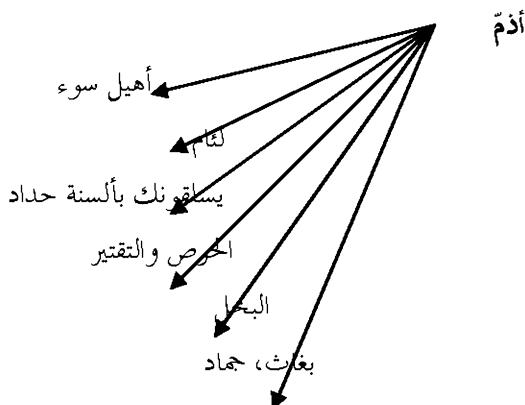
### أ— التكرار الملفظي

يتبدىء هذا الضرب من التكرار، على نحو واضح، في البيت الأخير، الذي يتكرر فيه لفظ "الجماد" ثلاث مرات. وإذا كان في طبقات الجماد المضاعفة نفي لكل معنى إنساني، فإن ذلك يتباين مع صيغة التضييف في لفظ "الملفف" في البيت الثالث، من حيث إن التضييف ضرب من التكرار الملفظي. وهذا الاقتران بين الجانبيين يتحدد باعتماد التكثير الملفظي للدلال المفرد. ويأتي ذلك على شكل طبقات متراصّة تُغلّفُ واحدتها الأخرى وتكررها، فيعاد إنتاج اللفظ نفسه، وتتراكم المكونات الصوتية نفسها، ويجري الإلحاح على تأكيدها، بالمعاودة، وعلى قرع الأسماع بها مرةً بعد أخرى.

### ب— التكرار المعنوي

وهو ما يتأتى من تكرار معنى جملة النم في دوائر الأبيات المتفرعة منها. فكل ما يأتي بعد هذه النواة النصيّة يقدم، من نفسه، تأكيداً لها، ويرهاناً عليها. وبناء على ذلك يتواتر معنى النم ويتشتت مع التقليد الخطّي في القراءة، فيكون تغاير الدوال، من الجهة الأخرى، اجتماعاً على وحدة المدلول، وتعزيزاً للمعنى المركزي الذي تقضي به الجملة النواة. ومع وجوب ذلك تراكم الحمولة المعنوية، وتحتشد الرقعة النصيّة بصور التنويع الملفظي المنعقد عليها، فتتوالى الأوصاف الراشحة معنى النم التي تردّ على تأكيد

مركز القول، وتشكل جوهر الإقناع به. وعلى هذا الوفاق يكون تتابع الدوال ابغاً متكرراً لفعل "الذم"، ونطقاً متجدداً به، على نحو ما يظهر في الخطاطة التوضيحية الآتية:



تنجلي هذه المحاور الصادرة عن المركز من حيث هي تجليات معنوية، تستدعي طيفاً واسعاً لفعل "الذم"، يكرره كل منها، على نحو أو آخر، في الدواائر القولية، بحركة راجعة تقتضي ترسيخه وتعويق أثره. وفي ذلك ما يشد اللحمة النصية، بعضها إلى بعض، ويندي عن خاصية التماسك وانسجام الخطاب.

### ج- تكرار الأبنية النحوية

وهذا ضرب آخر من التكرار، يخص منطق العبارة ونظام التركيب. ومعنى ذلك أنه يركز على مفهوم "العلاقة"، الذي يتجاوز الوحدات المفردة، في استقلالها اللغظي والمعنوي، إلى العناية بطريقة ضم بعضها إلى بعض، والتأليف فيما بينها على نحو مخصوص. وعلى أساس من ذلك يتم ثبيت الوصف، ومضاعفة الأثر، وتوكييد الرسالة.

نلاحظ، في هذا المستوى، تكرار البناء النحوي، الذي يأتي برهاناً على جملة الذم، وحملًا على الإقناع بها، كما هو المثال النصي: "يرون الغي من سبل الرشاد"، وهو المثال الذي يتعدد في عدد من الأبيات، محتفظاً بصورة الثابتة على هذا النحو، الذي يستغرق البيت السادس خاصة:

يرون الجود منقصةً وذلاً  
وأن البخل من شيم الحياة

ومن بين أثنا نستطيع القيام بإعادة تضييد مكوناته التركيبية، التي يتولى نظامها على النحو الآتي:

١ - يرون الجود منقصةً

٢ - يرون الحود ذلاً.

٣ - يرون البخل من شيم الجياد.

إن إعادة تفصيل مكونات البيت، على هذا الغرار، يسّوغها حرف العطف في شطري البيت كليهما. فهو ينتصب علامة دالة تقضي إعادة التركيب نفسه، والاحتفاظ بنظام البناء الموحد مع كل ظهور جديد له. وإذا ما تأملنا في شكل انتظام هذا البناء فسنجد له مكوناً، على الترتيب، من: الفعل + الفاعل + المفعول به الأول + المفعول به الثاني، أو ما يقوم مقامه، ويترتب متلبه، كما هو الحال مع شبه الجملة. وهو ما وقفتنا على مثاله، الذي يشكل سابقة لهذا الحضور المتكرر، في الشطر الثاني من البيت الأول: "يرون الغيّ من سبل الرشاد"، وكذلك في الشطر الأول من البيت الثالث: "تراهم من أشد الناس حرضاً".

نخلص من ذلك إلى القول: إن صور هذا البناء النحووي الثابت يتजاوب بعضها مع بعض، ويردد بعضها على بعض، في تدعيم الترابط التأليفي، وشدّ أواصر النسبيّ النصيّ، وكذلك في تعزيز فحوى جملة النّـ الافتتاحية، وضمان الاستجابة لها، بفعل تراكم الأثر، الذي تقضي به وترسخه آلية التكرار المشار إليها، ولا سيما أن هذا البناء يعتمد، لتحقيق أثره المرتجي، أسلوباً خاصاً في التركيب، يقوم على قلب منطق العلاقة الطبيعية بين الأشياء أو العناصر والأطراف، وهو ما سنتشير إليه، لاحقاً، في موضوع آخر من هذا التحليل.

٢" - من النص الحاضر إلى النصوص الغائية: "أشكال التوظيف والاستخدام"

ينبني نصّ الشاعر المملوكي، الحاضر أمامنا، على ضرب أو آخر من ضروب استقادام نصوص التراث الغائية وتوظيفها فيه. ومن هذا المنطلق يمكن أن نذهب إلى تغيير طرائق اشتباكه بتلك النصوص، اعتماداً على منطق المحاكاة، وفاعليات الانقطاع والتضمين والاقتباس، التي نقف على اختلاف نسب حضورها فيه، وعلى تفاوت قوى تأثيرها في إنشائه من جهة، وفي تفعيل خطابه من جهة أخرى.

و قبل الخوض في هذا المنهج، سنعمد إلى مواجهة قول "ابن ملิก" ، الذي نتناوله الآن بالدرس والتحليل، بأبيات "المتنبي" التي يقول فيها<sup>١</sup>:

|   |   |
|---|---|
| فأعلمهم فَدْمٌ وَأَحْرَمُهُمْ وَغَدْ        | أَذْمٌ إِلَى هَذَا الزَّرْمَانِ أُهْلَهُ            |
| وَأَسْهَدُهُمْ فَهَدْ وَأَشْجَعُهُمْ فَرْدْ | وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٌ           |
| علوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بَدْ.      | وَمِنْ نَكَدِ الدِّينِيَا عَلَى الْحَرَّ أَنْ يَرِي |

بمقابلة الشاهدين أحدهما بالآخر، نلاحظ أن نصّ الشاعر المملوكي يحيل على نصّ المتنى السابق، ويشتبك به في أكثر من موضع، بحيث يبدو استعادة له، واقطاعاً منه، وتضميناً لبعض أجزائه، كما في شطر البيت الأول الذي يبلغ فيه التناقض حدّ المطابقة بين الجانبين:

أ - (ابن مليك): أذم إلى الزمان أهيل سوءٍ.

ب - (المتنى): أذم إلى هذا الزمان أهيله.

إذا كان الأول (أ) يجري على مثال الثاني (ب)، لفظاً وتركيباً، على النحو الذي يكون فيه فول الشاعر المملوكي إعادة تحين لقول المتنى، وابتاعاً جديداً له في زمن آخر، هو زمن الحاضر المملوكي، الذي يمثله قول "ابن مليك الحموي"، فإن هناك ضرباً آخر من علاقات التشابك والتقاطع النصي بينهما يظهر في آلية البناء، أو في نظام التركيب، الذي يشدّ البيت الأخير من الشاهد المسوق لـ "ابن مليك" إلى البيت الثاني من قول "المتنى" الذي تواجهه به:

ج - "ابن مليك": فأكرمهم وأندفهم بغاث....

د - "المتنى": وأكرمهم كلب وأبصرهم عمٍ...

إن آلية البناء - كما هو واضح في المثالين - تقوم على استئمار العلاقة الطباقيّة التي تولّف بين حديّ التقابل الضدي. وإذا ما تجاوزنا الحضور المباشر لهذه العلاقة في مثل هذا الموضع، فإن عقدورنا أن نلاحظ اعتمادها الوظيفي العام، الذي يسمِّي الأنموذج المتخيّر من الشعر المملوكي، ورؤسسه عليهما. وهو ما سبق أن أشرنا إليه بـ "آلية قلب منطق العلاقة الطبيعية"؛ هذا القلب الذي يستمدّ الشاعر المملوكي من لدن "المتنى"، ويوسّع دائرة توظيفه في مختلف الأبيات التي توقفنا عندها من هذا الأنموذج المتعذر مادة للتحليل، بدليل ما تقدّم التوجيه إليه سابقاً من قوله:

"يرون الغيَّ رشاداً" ، "يرون الجودَ منقصةً" ... إلخ.

فضلاً عن المثال الذي عرضنا له من شعر "المتنى" ، يتبيّن لنا، بشيء من إمعان النظر، أن نصّ "ابن مليك" يحيل، ضمناً، على نماذج مختلفة من تراث الشعر العربي، فيعقد معها نسبةً، و يجعل بينه وبينها أواصرَ تقوي من اشتباكه بها وصوره عنها، على نحو ما يكشف عنه ازدواج الإحالّة في علاقات اللفظ والمعنى. ونقدّم بين يدي ذلك، على سبيل المثال، ضروب التعالق والالتحام الآتية:

أ - (ابن مليك): لنام يسلقونك حين تعشو لنارهم بألسنة حداد

ب - (الخطبنة): متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خيراً نارٍ عندها خيرٌ موقدٌ<sup>١</sup>

- أ - "ابن ملِيك": يبَيِّتُ نَزِيلَهُمْ غَرَثَانٌ يَطْوِي وَمَضْطَجِعًا عَلَى شَوَّكِ الْقَنَادِ  
 ب - "الأعشى": تَبَيَّنُونَ فِي الْمَشِينِ مَلَاءً بَطْوَنَكُمْ وَجَارَاتَكُمْ غَرَثَى يَبْيَنُ حَمَائِصًا<sup>١</sup>  
 أ - "ابن ملِيك": يبَيِّتُ نَزِيلَهُمْ غَرَثَانٌ يَطْوِي

ب - (عترة): ولقد أبَيْتَ عَلَى الطَّوْيِ وَأَظْلَهُ حَتَّى أَنْالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكُلِ<sup>٢</sup>  
 لَا شَكَ فِي أَنَّ هَذِهِ الصُّورَ الْمَقْدَمَةُ هُنَّا، تَكَشِّفُ عَنِ التَّحَامِ نَصِّ الشَّاعِرِ الْمَمْلوُكِيِّ بِمَدْرُونَةِ الشِّعْرِ  
 الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ، وَانْفَرَاعُهُ مِنْهَا، وَإِحْالَتِهِ عَلَيْهَا، فِي عَلَاقَاتِ النَّظَمِ، وَسُبُّلِ التَّعْبِيرِ وَتَأْسِيسِ الْمَعْنَى، عَلَى  
 الرَّغْمِ مَا تَسْفَرُ عَنْهُ كُلُّ مِنْهَا مِنْ الْخَرَافِ طَرِيقَةِ التَّشْكِيلِ، وَتَقَوْلَتْ نَسْبَ الْمَطَابِقَةِ وَالْمُخْتَلَافَ فِي  
 دَرَجَاتِ اِنْزِيَاحِ الْقَوْلِ عَنِ أَصْوَلِهِ الْمُفْتَرَضَةِ الَّتِي تَقْدِمُ، مِنْ نَفْسِهَا، شَاهِدًا عَلَى السُّنْنِ وَالْمَعيَارِ.

● ● ●

يَتَعَمَّقُ طَابِعُ اِمْتِيَاجِ الشَّاعِرِ الْمَمْلوُكِيِّ مِنِ التَّرَاثِ، مِنْ خَلَالِ شَبَكِ نَصِّهِ بِالنَّصِّ الْمَقْدَسِ، وَهُوَ مَا  
 يَبْتَدَىءُ فِي اِسْتِقْدَامِ بَعْضِ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبِئْثَاهُ فِي نَسِيجِ النَّصِّ الْجَدِيدِ، وَالْتَّوْسِيلِ بِهَا، بِنَائِيَاً وَأَسْلُوبِيَاً،  
 عَلَى نَحْوِ مَا نَلَاحَظُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي:

لَئَامِ يَسْلُقُونَكَ حِينَ تَعْشُوا      لَنَارِهِمْ بِالسَّنَةِ حِدَادِ

ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ يُحْفِرُ الْمَحْرِيَ النَّصِّيِّ، وَيَفْعَلُ مَنْحَاهُ، وَيَعْضُدُ تَوْجِهَهُ، وَيُؤَسِّسُ قَرَانَهُ، بِشَدَّـ  
 عَلَاقَاتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ، بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، مِنْ خَلَالِ تَوْظِيفِ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ: "إِنَّ ذَهَبَ الْخَوْفِ سَلَقَوْكَمْ  
 بِالسَّنَةِ حِدَادٍ"<sup>٣</sup>. هَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّوْظِيفِ، الَّذِي يَخْصُّ الْعَلَاقَةَ بِالنَّصِّ الْمَقْدَسِ، هُوَ مَا يَشِيرُ إِلَيْهِ  
 مَصْطَلِحُ "الْاقْبَاسِ" فِي الْبِلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَقَابِلًا لِمَصْطَلِحِ "التَّضَمِينِ" الَّذِي يَخْصُّ عَلَاقَةَ الشِّعْرِ بِالشِّعْرِ. وَ  
 فِي مَثَلِ هَذَا الْبَيْتِ نَقْعُ عَلَى ضَرِبِيِّ التَّوْظِيفِ الْمَشَارِ إِلَيْهِمَا، أَوْ لَنْقُلُ إِنَّ خَاصِيَّتِهِ التَّرْكِيَّةَ تَقْوِيمَ عَلَى  
 اِزْدَوَاجِ إِلَّاَهَةِ، مِنْ خَلَالِ اِسْتِحْضَارِ لِغَةِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ وَسَنَتِهِ التَّعْبِيرِيِّ الْمُورُوثِ فِي صُورَةِ "مَنْ  
 يَعْشُ إِلَى النَّارِ"، وَلِغَةِ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ ذَاتِ الْكَثَافَةِ الْإِيمَانِيَّةِ الْمُرْكَّزةِ فِي نَظَامِ الْعَبَارَةِ الْقَائِمِ عَلَى اِعْتِمَادِ  
 فَعْلِ "الْسَّلْقِ" وَآلِتَّهِ، وَإِدْرَاجِهِمَا فِي هَذَا الْمَنْحَى الْقَوْلِيِّ، الَّذِي تَضَافَرُ فِيهِ مَكَوْنَاتُ السَّيَاقِ، وَتَعْمَلُ،  
 مَعًا، عَلَى إِنْتَاجِ طَاقَتِهِ، وَإِطْلَاقِ شَحْنَتِهِ، وَمَضَاعِفَةِ أُثْرِهِ.

١ الأعشى الكبير الديوان ص ١٨٥ .

٢ عترة الديوان ص ٢٤٩ .

٣ القرآن الكريم سورة الأحزاب الآية ١٩ .

ومن الواضح أن ذلك لا يتأتي من المعنى الثابتة، أو من الدلالة الأحادية للمفردات المعروفة، أو المقيدة، التي تصرف معها عبارة "سلقوكم بأسنة حداد" إلى معنى الإيذاء بالكلام الجارح والصوت الراجر، وإنما يحصل ذلك من علاقة النظم، ومن نشاط السياق، الذي يقرن فاعلية الاختيار بفاعلية التأليف، فيكون مدار التفاعل والإنتاجية متوقفاً على اختيار الفعل "سلق" دون غيره، وكذلك شأن المفردات الأخرى: "تعشو" و "النار" و "أسنة حداد"، وتقييد الفعل يسلقونك بالظرف "حين" إلخ، ومن ثم تأتي علاقات التأليف لعقد الصلة الخاصة بين هذه الآhad المختارة من السلسلة الكلامية، بحيث يكون مخصوصها متأتياً من علاقات النظم، وطراائق النسج، التي يتفاعل فيها محورا الاختيار والتركيب.

خلاصة ما سبق بإضاحه أن نص الشاعر المملوكي يستوي بناؤه على ركيزتين أساسيتين هما: التراث الشعري العربي، مثلاً بأعلامه الكبار ونصوصه الباذخة، والنصل القرآني المقدس، الذي يعدّ مصدراً أعلى للبلاغة وسحر البيان. ومن هذين المصادرين يمتحن نص الشاعر المملوكي، ويحرص على إظهار انتسابه إليهما، وتقديم نفسه في إطار من العلاقة البينة بهما؛ لأن ذلك أدعى إلى إنفاذ أمره في المتلقى؛ إذ يردد على نفسه من عظمة هذين المصادرين من خلال اشتباكه بهما، فيحوز، بحكم العلاقة، أثراً من النص المقدس من جهة، ويصل نفسه بمنابع الشعر العربي القديم، التي شكلت الوجدان الجماعي، واضطاعت بتأسيس ذاكرة الثقافة العربية، وغدت مرجعاً الأعلى الذي هو محل العظمة والإجلال من جهة أخرى.

### ٣- نظام الإحالات: "بين سلطة المرجع ومقوله الناص"

رأينا أن نص الشاعر المملوكي، كما هو في هذا المثال، يحيط إحالاته مباشرة على نصوص أخرى؛ ذلك أن الأجزاء، أو العبارات المأخذة منها، وحدات بنائية ودلالية، تظهر فيه، بصورةها الثابتة نسبياً، وتبدو معالم بارزة، أو بقعاً نافرة في نسيجه. ويعني ذلك أنها لا تحول فيه، ولا تarry نحوها المضروب في الصياغات السابقة، فتبقى حضوراً سافراً لها في النص الجديد، أو أكثر مما تحول في كيانه، أو تندوب في محمله، وتندمع، عميقاً، فيه.

وإذا كان من شأن هذا الاستحضار لنصوص التراث، عبر الانقطاع من لغتها وشهادتها، أن يقوّي سلطة المرجع بمحاراته والاحتکام إليه، أو بإخضاع النص الجديد له من جهة، وإخضاع المتلقى للسين الثقافی المشترك، الذي يحمله النص القديم ويصدر عنه من جهة أخرى، فإن في ذلك كله ما يمدُّ النص الحاضر الجديد؛ أي نص الشاعر المملوكي هذا بأسباب القوة والتأثير، المتأتية من لوازمه بسلطة الماضي،

ومن خصوصية للنarrت المؤسّس وقيمته المشتركة التي يوجّه إليها، من خلال الاستمداد من مصادرها، أو الاشتباك بها والنقاطع معها.

من الملاحظ، إذًا، أن توظيف عبارات النصوص الأخرى، لا يحملها على الانصهار في تشكّل النص الجديد، ولا يقوم بتذويتها وتحويل سياقها القديمة. ولذلك يبقى هذا الشكل من التوظيف دون مستوى التناص، الذي يفترض أثراً موجّحاً من العلاقة النصيّة يضطلع فيها النص الحاضر بامتصاص النصوص الغائية وتحويلها فيه، بحيث لم تعد هي ما كانت عليه من قبل، بحكم التفاعل الجديد، وبقوة الحوار التناصي المحدث لها بالتشرب والهضم والتعديل. وهذه الفاعلية تؤسس، في عمق النسيج النصي، ضرورة الاختلاف بين النص المتناص والنـص الغائب. وهي اختلافات لفظية ومعنىـة وسياقـية، تقنـع من إنشـاء المطابقة بين الجانـين، خلاـفاً لما نجـده هنا في عمـليات التضـمين والاقـتبـاس، التي تحـفظ طبيـعة النـص المـرجـعي، وتـقوم بإـدراج جـزء أو آخر منه على صـورـته المـتعـيـنة في النـص المـسـتـدـعـي، أو المـعـاد تحـيـيـنه من جـديـد.

على أساس ما سبق، يتبيّن أن فاعلية التوظيف، في النص المملوكي المتناول هنا، تقوم على الاستقدام، والمحاكاة، والتثبتـ. وهي عمـليـات تـحوـلـ بالـتـشـكـلـ النـصـيـ الجـديـدـ نحوـ اـحـتـذاـءـ الأـثـراـمـ السـابـقـ، وـتـخـضـعـ لهـ، فـتـكـفـهـ عنـ بـلوـغـ مـسـتـوىـ الـحـوارـ التـناـصـيـ، الـذـيـ يـلـغـ فـيـ التـفـاعـلـ مـسـتـوىـ أـعـلـىـ، يـنـهـضـ عـلـىـ أـفـعـالـ الـهـدـمـ، وـالـنـقـضـ، وـالـامـتـصـاصـ، وـالـتـحـوـيلـ، وـإـعادـةـ التـشـكـلـ الـنوـعـيـ فـيـ صـورـ الـمـغـاـيـرـةـ. فالـتـناـصـ هوـ توـظـيفـ عـضـويـ، تـصـبـعـ النـصـوـصـ الـغـائـيـةـ مـعـهـ جـزـءـاـ مـنـ السـيـاقـ الجـديـدـ.

أما ضرورة التوظيف ما قبل التناصي، التي كشفنا عنها هنا، فهي التي تعلو، وتتكلـمـ، وتخـضـعـ البنـيةـ النـصـيـةـ الجـديـدةـ لهاـ - كما رأـيناـ - وـتـشـدـهاـ إـلـىـ مـطـابـقـةـ سـلـطـةـ المرـجـعـ، الـذـيـ تـسـتـدـعـيـهـ، وـتـشـكـلـ نـفـسـهاـ عـلـىـ وـقـنـ مـقتـضـاهـ.

## الخاتمة

يخلص البحث، باعتماد الإجراءات السابقة، إلى تبيّن بعض الخصائص والمقومات التي ينهض عليها مثال الشعر المملوكي المتخدـ هناـ أثراً موجـحاًـ للـتـحلـيلـ. ومن ذلك أنه يقف على تميز عـلاقـاتهـ الدـاخـلـيـةـ، وأـسـاليـيـهـ الـبـنـائـيـةـ، وـطـرـائقـ تـفعـيلـ خطـابـهـ. وـذـلـكـ ماـ يـتـبـيـنـ عـبرـ تـدعـيمـ صـورـ التـرـابـطـ التـالـيـفيـ الـتـشـفـ عنـ التـماـسـ وـالـانـسـجـامـ، وـمـاـ يـفـضـيـانـ إـلـيـهـ مـنـ مـراـكـمةـ الـأـثـرـ وـضـمانـ الـاسـتـجـابـةـ إـلـيـهـ مـنـ جـهـةـ، وـعـبرـ شـبـكـ النـصـ بـالـنـصـوـصـ التـرـاثـيـةـ، وـإـحلـالـ بـعـضـ مـنـهـ فـيـ نـسـيـجـهـ الـخـاصـ، عـلـىـ النـحـوـ الـذـيـ يـوـجـيـ

بالانتساب إليها، أو بنقل مركز النقل النصي إلى النص المملوكي الحاضر. لكن التحليل يكشف، عمقياً، عن بقاء أشكال التوظيف المتّبعة دون مستوى الحوار التناصي، مما يعني خضوع النص المملوكي للبنية النصية القديمة، وامتثاله لسلطتها المرجعية التي تهيمن عليه، وتشدّه إلى دائرةها الخاصة، دون أن يبلغها، ودون أن يقوى على إحداث التحوّل بها، أو القطع معها.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- ١ - الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) الديوان شرح وتعليق محمد محمد حسين ط٢ بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة ١٩٦٨ م.
- ٢ - الخطيبية الديوان من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني شرح أبي سعيد السكري بيروت لبنان: دار صادر د. ت.
- ٣ - الحموي ابن مليك الديوان نقاًلاً عن عمر موسى باشا الأدب العربي في العصر المملوكي والعصر العثماني دمشق: مطبوعات جامعة دمشق المطبعة الجديدة ١٩٨٥-١٩٨٦ م.
- ٤ - الخفاجي شهاب الدين ريحانة الألبان وزهرة الحياة الدنيا تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٧ م.
- ٥ - عنترة الديوان تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي ط٣ الرياض السعودية: دار عالم الكتب ١٩٩٦ م.
- ٦ - الغزي نجم الدين الكواكب السائرة بأعيان الملة العاشرة تحقيق: جبرائيل سليمان جبور ط٢ بيروت لبنان: دار الآفاق الجديدة ١٩٧٩ .
- ٧ - المتنبي الديوان بشرح العكبري ضبط نصوصه وأعد فهارسه وقدم له عمر فاروق الطباطباع بيروت لبنان: دار الأرقام ١٩٩٧ م.

## في رحاب الاستشهاد الأدبي بأشعار الكميٰت

\* الدكتور السيد حيدر الشيرازي

### الملخص

إنّ المقالة يتناول موضوع شخصيّة الكميٰت الأدبية، (الشاعر الشيعي المعروف في عصر بين أميّة) ودعم حجيّة الاستشهاد بأشعاره ودحض ما أثير حوله من الشبهات في عدم حجيّته، فعلى ذلك طرقنا فيه أمّهات الكتب الأدبية لندرس فيها مدى اعتبار الكميٰت وكيفية الاستشهاد بأشعاره في مختلف الفنون كاللغة والنحو والصرف والبلاغة وغير ذلك مما يرتبط به من الفقه والتفسير وشرح الحديث والأمثال. وقمنا فيه أحياناً بإحصاء ما أنشدت في تلك المصادر من الشواهد للكميٰت والتمثيل بعضها على سبيل الإلماع. والذي ينبغي ذكره هنا أنّ الكميٰت رغم بعض المجممات القارفة عليه والتقصيات الموجّهة إليه - في حياته وما بعده - كثُر الاهتمام بشخصيّته وأدبه والاستشهاد بشعره من قبل الأدباء والمفكريين ما جعله من المعتمدين عليه خاصة في اللغة أكثر منها من العلوم الأدبية الأخرى.

**كلمات مفتاحية:** الكميٰت، الاستشهاد بالشعر، اللغة، الشواهد، الشعر

### المقدمة

لا شك أنّ الشعر من أهم مصادر الاستشهاد عند علماء العربية وغيرهم من الفقهاء والمفسرين والمحظيين وكان ابن عباس يقول: «إذا أشكل عليكم القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه ديوان العرب». وقد عني علماء العربية بالشعر إلى جانب عنايتهم بالقرآن الكريم، فأعتمدوا عليه في بناء الكثير من القواعد وإصدار العديد من الأحكام، وخلأوا إليه في شرح غرائب اللغة وتوضيحها، وإحکام أصولها.

وقد اختلف موقف علماء العربية من الشعراء الذين يتحجّج بشعرهم، فقسموهم إلى أربع طبقات من الجاهلين والمخضرمين والإسلاميين والمولدين ذكرهم البغدادي في الخزانة.<sup>١</sup> وأجمع علماء العربية على صحة الاستشهاد بشعر الطبقة الأولى والثانية واحتلّفوا في الثالثة. وأما الرابعة فقال البغدادي: «

\* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران.

تاریخ الرصوٰل: ٨٩/٩/٥

٨٩/٧/٣

١. السمعاني ج ٦ ص ٢٨٩.

٢. راجع: البغدادي ج ١ ص ٢٩.

فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً<sup>١</sup> وكان الكميـت في زمرة الطبقة الثالثة من الذين تضاربت الآراء حوله من رافض ومؤيد. وأمّا معاصروه فإنّ بعضهم عده من المؤلّفين كما في الخزانة أنه: «كان أبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن أبي إسحاق، والحسن البصري يلحّنون الفرزدق والكميـت وذا الرمة... وكانتوا يدعون من المؤلّفين لأنّهم كانوا في عصرهم ومعاصرة حجاج». <sup>٢</sup> وقد لمح ابن رشيق إلى مسألة اللجاجة أحياناً في الاستشهاد بالمعاصرين مما مسّ الكميـت شيء منها وهو أنّ أبا عمرو وأصحابه كالأصمـعي وابن الأعرابـي كانوا يقدّمون من قبلهم «وليس ذلك الشيء إلا حاجتهم في الشعر إلى الشاهـد، وقلة ثقـته بما يأتي به المؤلّفون، ثم صارت لجاجة».<sup>٣</sup> فطعنوا الكميـت بعدم حجـيـته في أشعاره لجاجة أو حسداً أو غيظاً لأسباب دينية وسياسية فجعلـوه مرّة قرّواياً لا يستشهد بشـعره ومرّة حضرـياً يُبطلـ الاحتجاج بشـعره وأخرى مؤلـداً لا يعتـد به مما أفضـى بـنا ذلك إلى أنـ تتناول الموضـع بدراسة أدقـاً لـينـدـحـضـ بها ما ظـنـنـاـ به سـوءـاً وـثـبـتـ حـجـيـتهـ فيـ أـشـعـارـهـ بـكـثـرـةـ الشـوـاهـدـ الأـدـيـةـ المـرـوـيـةـ لهـ وهيـ مـتـنـاثـرـةـ فيـ تـضـاعـيفـ مجلـدـاتـ ضـخـمـةـ منـ أـمـهـاتـ الـكـتـبـ الـأـدـيـةـ حيثـ تـعـزـزـ ثـرـقـهاـ إـلـىـ مـنـ يـلـمـ شـعـثـهاـ لـيـلـدـ بـهاـ عـلـىـ أـعـلـمـيـةـ الـكـمـيـتـ الـأـدـيـةـ وـشـهـرـتـهـ الـلـغـوـيـةـ إـلـىـ جـانـبـ معـطـيـاتـ الـكـلامـيـةـ وـالـعـقـيـدـيـةـ فيـ مـطـاوـيـ قـصـائـدـ الـوـلـاـئـيـةـ الـبـحـثـةـ.

### الطعن على الكميـت في حـجـيـةـ أوـ عـدـمـ حـجـيـةـ فيـ أـشـعـارـهـ

ما لا مشـاحـحةـ فيهـ أنـ الكـمـيـتـ كانـ منـ فـطـاحـلـ الشـعـرـاءـ فيـ عـصـرـهـ، فـعـنـ أـبـيـ عـكـرـمـةـ الضـبـيـ عنـ أـبـيهـ قالـ: «كانـ يـقـالـ: ما جـمـعـ أحدـ منـ عـلـمـ الـعـرـبـ وـمـنـاقـبـهـ وـمـعـرـفـةـ أـنسـابـهـ ما جـمـعـ الـكـمـيـتـ، فـمـنـ صـحـحـ الـكـمـيـتـ نـسـبـهـ صـحـ وـمـنـ طـعـنـ فـيـ وـهـنـ».<sup>٤</sup> وـأـنـهـ: «لـوـلاـ شـعـرـ الـكـمـيـتـ لـمـ يـكـنـ لـلـغـةـ تـرـجـمـانـ وـلـاـ لـلـبـيـانـ

<sup>١</sup> البـعـدـادـيـ جـ ١ صـ ٣٠ـ . وـقـبـلـ بـسـتـهـدـ بـكـلـامـ منـ بـوـنـقـ بـهـ مـنـهـمـ وـاخـتـارـهـ الـزـمـخـشـرـيـ وـتـبعـهـ الشـارـحـ الـحـقـقـ فـإـنـهـ استـشـهـدـ بـشـعـرـ أـبـيـ ثـمـامـ ...ـ . للـمزـيدـ رـاجـعـ: البـعـدـادـيـ جـ ١ صـ ٣٣ــ٢٩ـ .

<sup>٢</sup> المصـدرـ السـابـقـ؛ قالـ ابنـ رـشـيقـ فيـ العمـدةـ: «كـلـ قـدـيمـ منـ الشـعـرـاءـ فـهـوـ مـحـدـثـ فيـ زـمـانـهـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ مـنـ كـانـ قـبـلـهـ وـكـانـ أـبـوـ عـمـروـ يـقـولـ: لـقـدـ أـحـسـنـ هـذـاـ الـمـوـلـدـ حـتـىـ لـقـدـ هـمـتـ أـنـ آمـرـ صـبـيـانـاـ بـرـوـاـبـةـ شـعـرـهـ بـعـنـيـ بـذـلـكـ شـعـرـ جـرـبـرـ وـالـفـرـزـدقـ فـحـلـعـهـ مـوـلـداـ بـالـاضـافـةـ إـلـىـ شـعـرـالـجـاهـلـةـ وـالـمـخـضـرـمـينـ ...ـ .» للـمزـيدـ رـاجـعـ: ابنـ رـشـيقـ الـقـبـرـوـانـيـ بـابـ فـيـ الـقـدـماءـ وـالـمـحـدـنـيـنـ جـ ١ صـ ٢٦ـ .

<sup>٣</sup> ابنـ رـشـيقـ جـ ١ صـ ٢٦ـ .

<sup>٤</sup> الذـهـيـ جـ ٨ صـ ٢١٣ـ .

لسان»<sup>١</sup> وعن معاذ المراء أَنَّه: «أشعر الأوَّلِينَ وَالآخْرِينَ». وقال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميٰت لكتفاهما، حبَّبُهُمْ إِلَى النَّاسِ، وَأَبْقَى لَهُمْ ذَكْرًا<sup>٢</sup> «وكان عالماً بآداب العرب ولغتها وأخبارها وأنسابها ، ثقة في علمه،...».٣ ونقل ابن عقدة (عن اليشكري الكوفي) قال: «نظرت في التراويات من شعر الكميٰت فما رأيت أعلم منه بالأنساب»، قال واستعنت بشعره على تصنيف كتابي هذا.<sup>٤</sup> ويقول عنه ما قال أبو الفرج من الصفات البارزة فيه أَنَّه: «كان شاعراً مقدعاً عالماً بلغات العرب، خبيراً بأسمائها، وأنه كان راوية للشعر وللحديث. وبلغ من مقدرته أنه كان يحفظ شعر نصيٰب أكثر منه، وأنه تنازع وحماد الرواية العلم بأيام العرب ورواية الشعر فأفحمه، وأنه كان عالماً بالنجوم وقد مارس التعليم في جامع الكوفة الكبير»<sup>٥</sup>. وفضائل أخرى مذكورة في المطولات.

أمّا ما يلفت النظر فهو أَنَّه إلى جانب الإشادات بشخصيٰته الأدبية الفذة من قبل البعض، حسد البعض باستبطان الغيظ له لأسباب دينية وسياسية فشتوا في ذلك هجمات قارفة عليه مستهدفين فيها النقطة المميزة لكل أديب شاعر وهي «الحججة» التي كان الحكم بها «أمراً مهماً جداً لرواية الشعر والاهتمام والاستشهاد به أيضاً»<sup>٦</sup>. والكميٰت لهذا كانت له معرفة بما يجري حوله من الشتآن الموجب لهم بأن لا يعلموا في حقه، وهو العالم بأن كل ذي نعمة محسود. يقول في بعض أشعاره:

قبلني من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا  
ومات أكثرنا غيظاً بما يجد  
لا أرتقي صلراً عنها ولا أرد<sup>٧</sup>  
أسر عندي من اللائي له الود<sup>٨</sup>

إن يحسدوني فإني لا ألوهمهم  
فدام لي ولهم ما يبي وما بهم  
أنا الذي يحسدوني في حلوقهم  
لا ينقص الله حُسَّادي فإليهم

١ البغدادي ج ١ ص ١٥٤.

٢ المصدر السابق ص ٥٣.

٣ الزركلي ج ٥ ص ٢٣٣.

٤ ابن حجر ج ١ ص ٥٤ - والصفدي ج ٦ ص ١٩١.

٥ الأمين ج ١ ص ١٥٦.

٦ المصدر السابق ص ١٥٦.

٧ مثل البيت قوله المتنى:

وأسعـتـ كـلـمـانيـ منـ بـهـ صـمـمـ

أـنـاـ الـذـيـ نـظـرـ الـأـعـمـىـ إـلـىـ أـدـبـ

٨ السيد المرتضى ج ٢ ص ٧٢ - الكميٰت ص ٤٠٣.

وأمامـاً تلك الهجمـات فاتـسـعـ نـطـاقـهاـ حيثـ تـناـولـتـ التـشـويـهـ بـهـ باـتهـامـهـ بـالـانـحرـافـ عنـ بـيـنـ أـمـيـةـ وـبـالـسرـقةـ،ـ وـالـتعـصـبـ الـغـالـيـ وـالـنـفـرـقـةـ وـغـيـرـ ذـلـكـ<sup>١</sup>ـ،ـ وـعـلـىـ رـأـسـ تـلـكـ المـزـاعـمـ وـالـأـهـمـاتـ الـيـ ظـلـمـ منـ أـجـلـهـ الـكمـيـتـ مـاـ قـيلـ فـيـهـ:ـ آـنـهـ مـوـلـدـ وـلـيـسـ بـحـجـةـ.ـ قـالـ الـأـصـمـعـيـ:ـ «ـالـكمـيـتـ بـنـ زـيـدـ لـيـسـ بـحـجـةـ لـأـنـهـ مـوـلـدـ وـكـذـلـكـ الـطـرـماـحـ ...ـ»ـ.ـ وـقـالـ:ـ «ـوـعـمـرـ بـنـ أـبـيـ رـبـيـعـةـ مـوـلـدـ وـهـوـ حـجـةـ.ـ سـمعـتـ أـبـاـ عـمـرـ بـنـ الـعـلـاءـ يـحـتـجـ فيـ النـحـوـ بـشـعـرـهـ وـيـقـولـ هوـ حـجـةـ...ـ»ـ.ـ وـكـانـ الـمـفـضـلـ يـقـولـ:ـ «ـلـاـ يـعـتـدـ بـالـكـمـيـتـ فـيـ الشـعـرـ»ـ.<sup>٢</sup>ـ وـلـمـ يـسـلـمـ مـنـ تـأـيـيـرـ هـذـهـ الـحـمـلـاتـ الدـعـائـيـةـ مـؤـرـخـوـ الـأـدـبـ وـعـلـمـاءـ مـتـأـخـرـوـنـ وـمـعـاصـرـوـنـ مـنـهـمـ أـحـدـ الـمـسـتـشـرـقـينـ وـهـوـ دـيـ جـوـيـ فـيـ مـقـالـ لـهـ عـنـ الـكـمـيـتـ:ـ «ـإـنـ قـيمـةـ شـعـرـ الـكـمـيـتـ الـأـدـبـيـةـ أـقـلـ مـنـ قـيمـةـ السـيـاسـيـةـ وـالتـارـيخـيـةـ»ـ.<sup>٣</sup>ـ وـكـذـاـ:ـ «ـالـمـرـبـانـيـ فـيـ كـتـابـهـ الـمـوـشـحـ تـحدـثـ عـنـ شـيـءـ مـنـ التـفـصـيلـ مـرـكـزاـ عـلـىـ موـاطـنـ الـحـسـنـ أـوـ الـقـبـحـ فـيـ شـعـرـ الـكـمـيـتـ كـمـاـ رـأـهـ النـقـادـ الـقـدـامـيـ،ـ وـأـعـلـبـ الـآـراءـ فـيـهـ تـتـنـاـولـ النـاحـيـةـ الـلـغـوـيـةـ وـالـنـاحـيـةـ التـحـوـيـةـ»ـ.<sup>٤</sup>ـ وـقـالـ الـخـفـاجـيـ:ـ «ـوـأـبـطـلـ الـرـوـاـةـ الـاحـتـجاجـ بـشـعـرـ الـكـمـيـتـ بـنـ زـيـدـ وـ الـطـرـماـحـ لـأـنـهـمـاـ كـانـاـ حـضـرـيـنـ ...ـ»ـ.<sup>٥</sup>

وـكـانـ الـأـصـمـعـيـ<sup>٦</sup>ـ كـمـاـ سـبـقــ.ـ مـنـ أـولـتـكـ الـنـقـادـ الـقـدـماءـ الـذـيـنـ تـعـرـضـوـ لـنـقـدـ الـكـمـيـتـ حـتـىـ آـنـهـ آـتـهـمـهـ مـنـ غـيـرـ حـقـّـ بـعـدـ حـجـيـةـ كـلـامـهـ فـيـ عـلـمـ النـحـوـ مـاـ يـنـمـ ذـلـكـ عـنـ شـيـءـ مـنـ توـغـلـ الـعـلـلـ وـالـحـسـدـ فـيـ صـدـورـ أـمـثالـهـ مـنـ مـنـافـسـيـهـ.ـ يـقـولـ الـأـصـمـعـيـ:ـ «ـالـكـمـيـتـ تـعـلـمـ النـحـوـ وـلـيـسـ بـحـجـةـ،ـ وـكـذـلـكـ الـطـرـماـحـ،ـ

<sup>١</sup> لل Mizbāh راجع: مستدر كاتب أعيان الشيعة الأمين ج ١ ص ١٥٦.

<sup>٢</sup> الأمين ج ١ ص ١٥٦.

<sup>٣</sup> المرزباني ص ٢٢٨.

<sup>٤</sup> نجيب عطري ص ٩ تفاصلاً عن اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني ص ٣٧٦.

<sup>٥</sup> نجيب عطري ص ٩.

<sup>٦</sup> ابن سنان الخفاجي ج ١ ص ٢٨٣.

<sup>٧</sup> هو أبو سعيد عبد الملك بن قریب بن عبد الملك بن علي بن أصم اللغوي البصري الملقب بالأصمعي أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والملح والتوادر وكان معاصرًا لأبي عبيدة اللغوي وأبي زيد ومن مشايخ الرياشي التحوي وأبي عبيدة وكثير من المقدمين على طبقه ابن دريد وعلى بن المغيرة أبي الحسن الأئمـرةـ المعـرـوـفـ بـصـاحـبـ الـلـغـةـ مـصـنـفـ كتابـ غـربـ الحديثـ وـغـيرـهـ وـكـانـ مـلـكـ أـقـالـيمـ النـظـمـ وـالـشـرـ وـفـاقـ أـدـيـاءـ أـهـلـ عـصـرـهـ بـحـيـثـ ذـكـرـ فـيـ حـقـهـ الإـمامـ الشـافـعـيـ فـيـماـ نـقـلـ عـنـهـ آـنـهـ مـاـ عـبـرـ أـحـدـ مـنـ الـعـرـبـ بـأـحـسـنـ مـنـ عـبـارـةـ الـأـصـمـعـيـ،ـ ...ـ تـوـفـيـ سـنـةـ سـتـ أـوـ خـمـسـ عـشـرـةـ وـمـائـةـ وـعـمـرـ نـحوـ ٨٨ـ سـنـةـ.ـ (المخلسي ج ١٠٤ ص ٨١)

وكانا يقولان ما قد سمعاه ولا يفهمانه». <sup>١</sup> ولكن الأمر ليس كما ذهب إليه الأصمعي وغيره فيما أدعوا، إذ أن هناك أشعار أدبية نحوية استشهد بها النحاة في ثبيت القواعد التحوية مما لا غبار عليه مثل سيبويه، وابن هشام، وابن عقيل، وابن عصفور، وابن حاجب، وابو حيان، وابن جنّي وغيرهم. وهناك أمثلة غير قليلة تشهد للكميٍّ وتدل دلالة واضحة على قوّة الكميٍّ الأدبية في إثبات الحجة بكلامه. كما أورد ابن منظور في لفظ الصرام<sup>٢</sup> معنى من المعاني ذكره الأصمعي ثم رجح قوله مُحتَجاً بقول الكميٍّ. يقول الأصمعي: «الصرام اسْمُ مِنْ أَسْمَاءِ الْحَرْبِ وَالْدَّاهِيَّةِ، وَأَنْشَدَ الْلَّهِيَّانِ لِلْكَمِيٍّ:

ما شيرُ ما كَانَ الرَّخَاءُ، حُسَافَةٌ      إِذَا الْحَرْبُ سَاهَا صُرَامَ الْمُلْقَبِ

ثم قال ابن منظور: «ويقوّي قول الأصمعي قول الكميٍّ: إذا الحرب ساهَا...»<sup>٣</sup>

ومن الحالات الدعائية عليه ترشيق الكميٍّ بشخصيته بكونه قرويًّا لا يحتاج بقوله في مثل ما قال أبو حاتم: «قلت للأصمعي: أتجيز: إنك لتُبُرِّقَ لي وترُعِدَ فقال: لا إنما هو تُبُرُّقُ وترُعُدُ. فقلت له: فقد قال الكميٍّ:

أَبْرَقَ وَأَرْعَدَ يَا يَزِيدَ      فَمَا وَعَدْتُكَ لِبِضَائِرٍ

قال: هذا جُرمُقانٌ من أهل الموصل ولا آخذُ بلغته. فسألت عنها أبا زيد الأننصاري فأجازها.» كما أجازها البغداديون: «أَبْرَقَ وَأَرْعَدَ في هذا المعنى...». <sup>٤</sup> وكذا في شرح النهج الحديدي في شرح قوله(ع): «وقد أرعدوا وأبرقوا... وكلام أمير المؤمنين (ع) حجة على بطلان قول الأصمعي». <sup>٥</sup>

ومن المواقع المتنازع عليها التي ردَّ فيها ما رأى الأصمعي مستدلاً بـشعر الكميٍّ قول ابن قتيبة في ترجيح رأي المفضل على الأصمعي في معنى الصافر، ففي الأمالي: «وبلغني عن المفضل أنه كان يقول في قول الناس أجيئ من صافر أَنَّه الرَّجُل يصفر للفاجرة فهو يخاف كل شيء وأما الأصمعي فإنه كان

١ المرزيبي ص ٢٢٧.

٢ قال الجوهري: الصرام، بالضم، آخر اللين بعد التغريب إذا احتاج إليه الرجل حلبه ضرورة ، وقال بنشر: ألا أبلغ بني سعد ، رسولًا ، ومولاهم، فقد حللت صرام بقول: بلغ العذر آخره، وهو مثل». (ابن منظور، ج ١٢، ص ٣٣٧).

٣ ابن منظور ج ١٢ ص ٣٣٧ الكميٍّ ص ٤٩ . والماشير: جمع المششار بالهمز، وهو المششار بالتون أي ما يقطع به الخشب. وتفسير البيت قال: يقول لهم ماشير ما كانوا في رحاء وخصب ، وهم حسافة ما كانوا في حرب ، والحسافة

ما تناول من النمر الفاسد. (راجع: ابن منظور ج ٤ ص ٢١ وج ١٢ ص ٣٣٧).

٤ الكميٍّ ص ١٣٢.

٥ ابن دريد ج ١ ص ٤٩٧.

٦ الأمين ج ٩ ص ٣٧.

يقول الصافر ما يصفر من الطير وإنما وصف بالجبن لأنه ليس من الجوارح. وقال ابن قتيبة ولا أرى القول إلا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكمبت بن زيد الأ Rossi:

أرجو لكم أن تكونوا في إخائكم  
كلياً كورهاءَ تقلّي كلَّ صَفَارٍ  
لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آيَهَا  
مِنْ قَابِسٍ شَيْطَ الْوَجْعَاءَ بِالنَّارِ<sup>١</sup>

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتحيه فتمثل زوجها به وصفر لها فأته فشيطها يسم فلما أعاد الصفير قالت قد قيلنا كل صفار تريد أنا قد عفتنا وأطرحتنا كل فاجر.<sup>٢</sup>

وبالإضافة إلى ذلك، إنه قد دخل بعض علماءنا السلف نقاشاً حول حجية كلام الكمبت مفصلاً فيه بالتأييد له والرد على متبرئ الشبهات فيه، منهم الشيخ المفيد(٣٣٦ - ٤١٣) حيث تناول الموضوع في مواضع متعددة من كتاباته: «أقسام المولى»<sup>٣</sup> و«رسالة في المولى». فمما قاله المفيد في الأربعين ردًّا على من أثار شبهات في الكمبت وعدم حجية كلامه أنه: «لو لم يكن الحاجة فيه، كسائر الشعراء، فإنه لا حجّة فيها على حال، ولو جاز هذا الاحتمال على الكمبت لجاز على غيره من الشعراء الكبار، كحرير، والفرزدق، والأختعل، بل على ليدي، وزهير، وامرئ القيس، حق لا يصح الاستشهاد بشيء من أشعارهم على غريب القرآن، ولا على لغة، ولا على إعراب ... لأنّه يؤدّي إلى سد باب اللغة، وبالتالي إلى انقطاع الصلة بالتراث، وفي ذلك وأدّ الحضارة!»<sup>٤</sup> ويضيف الشيخ المفيد في موضع آخر قائلاً: «وهذا الكمبت بن زيد الأ Rossi رحمة الله عليه، وإن لم يكن الحاجة به في اللغة كحسان وقيس بن سعد، فإنه لا حجّة فيها على حال. وقد أجمع أهل العلم بالعربية على فضلهم، وتقنه بينها وبين خليلها إذا جاء برؤيتها. والوجهاء: الاست؛ وشيط: يقولون شيط فلان اللحم إذا دخنه بالنار ولم ينضجه وشيط الطاهي الرأس والكراع إذا أشعل فيهما النار حتى يتشبّط ما عليهما من الشعر والصوف ومنهم من يقول شوط». (السيد المرتضى ج ٢ الهمامش ص ١٠٨)

<sup>١</sup> وروي في ديوانه تحقيق الطربفي في المشرع الأول: «أن تكونوا في موذنكم»، وفي البيت الثاني: «كان آيَهَا». (الكمبت، ص ٢١٣) والورهاء: المرأة الحمقاء؛ وتقلّي: نكّره وتبغض؛ وآيَهَا: أي علامتها. يريد أن ذلك كان علامه بينها وبين خليلها إذا جاء برؤيتها. والوجهاء: الاست؛ وشيط: يقولون شيط فلان اللحم إذا دخنه بالنار ولم ينضجه وشيط الطاهي الرأس والكراع إذا أشعل فيهما النار حتى يتشبّط ما عليهما من الشعر والصوف ومنهم من يقول شوط. (السيد المرتضى ج ٢ الهمامش ص ١٠٨).

<sup>٢</sup> راجع: أقسام المولى الشيخ المفيد ص ٩٧ - ٤٠، ٤١.

<sup>٤</sup> الشيخ المفيد رسالة في معنى المولى ص ٩.

<sup>٥</sup> السابق ص ٤٠.

بشعره في كتاب الله عز وجل، وفاق في النظم شعر أهل عصره ، وبلغ في الفصاحة الرتبة التي لم يجدها على أحد من أهل الأدب...»<sup>١</sup>

والذي ينبغي الإمام به في هذه المسألة الاحتجاجية أن الكميـت رغم كثرة التكـرات المصـابـ بها حـازـ الشـهـرـةـ والأـعـلـمـةـ والإـزـدـهـارـ والـحـيـوـيـةـ لـكـثـرـةـ ماـ اـسـتـشـهـدـ بـأـشـعـارـهـ فيـ الـفـنـونـ الـمـخـلـفـةـ الـأـدـيـةـ بـالـأـخـصـ فـيـ مـجـالـ الـلـغـةـ.

### الاستشهاد اللغوي بأشعار الكميـت

إذا استقصينا شواهد كتب اللغة بشأن الكميـت وجدنا له فيها من المكانة الأدبية المرموقة المعتدةـ بها ما يفحـمـ المنـكـرـينـ وـيـقـعـنـ المرـتـابـينـ فيـ اـمـرـ حـجـيـةـ كـلـامـهـ وـبـيـانـ لـسـانـهـ لـاسـيـماـ فـيـماـ نـوـاجـهـ مـنـ غـزـارـةـ الشـوـاهـدـ وـالـمـسـتـشـهـدـيـنـ هـاـ فـيـهـ قـدـ اـكـتـظـتـ أـشـعـارـ الـكمـيـتـ بـلـغـاتـ خـالـصـةـ الـعـرـوـبـةـ مـتـاـ جـعـلـ الـلـغـوـيـيـنـ يـعـتمـدـونـ عـلـيـهـاـ وـيـسـتـعـيـنـونـ هـاـ فـيـ تـصـانـيـفـهـمـ.ـ فـمـنـ تـلـكـ الـمـعـاجـمـ الـمـعـتـدـةـ هـاـ فـيـ عـلـمـ الـلـغـةـ «ـكـتـابـ الـعـيـنـ»ـ وـهـوـ أـوـلـ مـعـجمـ لـغـوـيـ فـيـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ أـلـفـهـ خـلـيلـ بـنـ أـمـدـ الـفـراـهـيـدـ الـذـيـ عـاصـرـ الـكمـيـتـ حـوـالـيـ عـشـرـيـنـ سـنـةـ مـنـ أـخـرـيـاتـ عمرـهـ مـنـ سـنـةـ وـلـادـةـ الـخـلـيلـ (ـ١٧٥ـ١٠٠ـقـ)ـ إـلـىـ سـنـةـ اـسـتـشـهـادـ الـكمـيـتـ (ـ١٢٠ـقـ).ـ وـأـحـصـيـنـاـ الـاستـشـهـادـاتـ الـلـغـوـيـةـ بـأـشـعـارـ الـكمـيـتـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ فـوـجـدـنـاـ فـيـهـ ماـ يـقـارـبـ سـتـينـ بـيـتاـ مـنـ الـأـبـيـاتـ الـقـيـمـةـ الـعـالـيـةـ الـلـغـوـيـةـ لـأـلـفـهـ خـلـيلـ فـيـ دـيـوانـهـ إـذـ دـلـّـ عـلـىـ كـثـرـتـهـ أـصـحـابـ الـكـتـبـ وـالتـارـيـخـ كـمـاـ عـنـ أـبـيـ عـيـدةـ فـيـهـ بـكـثـيرـ مـاـ جـمـعـ وـسـجـلـ فـيـ دـيـوانـهـ إـذـ دـلـّـ عـلـىـ كـثـرـتـهـ أـصـحـابـ الـكـتـبـ وـالتـارـيـخـ كـمـاـ عـنـ أـبـيـ عـيـدةـ فـيـهـ بـعـدـ ذـكـرـهـ الـكمـيـتـ فـيـ الـشـعـرـاءـ الـثـلـاثـةـ يـقـولـ:ـ «ـوـالـثـالـثـ كـمـيـتـ بـنـ زـيدـ وـهـوـ أـكـثـرـهـمـ شـعـرـاـ وـأـشـهـرـهـمـ ذـكـرـاـ»ـ.ـ وـفـيـ كـشـفـ الـطـنـونـ:ـ «ـأـنـ شـعـرـهـ بـلـغـ أـكـثـرـ مـنـ خـمـسـةـ آـلـافـ قـصـيـدةـ»ـ.ـ وـأـمـاـ مـاـ يـخـصـ أـسـبـابـ عـدـمـ الـاحـفـاظـ بـتـلـكـ الـقـصـائـدـ الـهـائلـةـ وـعـدـمـ تـسـجـيلـهـاـ فـيـ التـارـيـخـ فـيـهـ مـدـرـوـسـ مـنـ قـبـلـ الـدـارـسـيـنـ أـعـلـيهـ يـتـوـبـ إـلـىـ أـغـرـاضـ سـيـاسـيـةـ وـدـينـيـةـ يـذـكـرـهـاـ الـبعـضـ فـيـ أـلـهـ:ـ «ـرـوـاـيـةـ شـعـرـ الـكمـيـتـ مـنـ السـهـلـةـ بـمـكـانـ،ـ فـهـوـ وـئـيقـةـ عـلـيـهـاـ كـثـيرـ مـنـ الـمـآـخذـ الـسـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ،ـ فـيـهـ نـصـوصـ لـاـ تـرـضـيـهـاـ الـيـمـنـ وـلـاـ تـرـضـيـهـاـ

١. السابق ص ٤٢٩؛ وص ٦٠، ٨٠.

٢. ابن حجر ج ٥ ص ٤٨٥.

٣. حاجي حلبي ج ١ ص ٨٠٨.

المصرية، وفيها شعر لا يرتضيه الأمويون ولا يرتضيه الهاشميون، ورغم أن للكمبت راوية خاصّاً به، إلا أنّ قسماً كبيراً من شعره أُهيل أو ضاع بعضه في حياته.<sup>١</sup>

وأمّا بالنسبة للشواهد الشعرية المسجّلة في كتاب العين والتي تدلّ على ضياع قصائدها فقد راجعنا دراسة بعض المحققين في الإحالات فرأينا أنّه ثمة أبيات شعرية ليست قليلة - للكمبت مستشهد بها لغوياً صرّح في نسبتها إلى الكمبت مما لم يُعثّر عليه في ديوانه أو إذا وُجد ورد في معاجم أخرى تلته مثل التهذيب والنسان و... فمن تلك الأبيات على سبيل الإلحاح ما ورد في ذيل معنى كلمة «القاطب» بمعنى المازج، قال الكمبت:

وَلَا أَعْدُ كَائِنَيْ كَتْ شَارِبَه مَا صَرَفَ الشَّارِبُونَ الْخَمْرَ أَوْ قَطْبُوا<sup>٢</sup>

ورد في الهاشم: لم أجده في مجموع «شعر الكمبت»<sup>٣</sup> كما في ذيل كلمة «الكبدنة» بمعنى «الستان» في قول الكمبت:

لَمْ تُغِنِ كِيدَنْتُهَا الْأَيْقَارُ زَامِلَهُ وَلَا وَطَابُ لَبُونَ الْحَيِّ وَالْعَلَبُ<sup>٤</sup>

وفي الهاشم: لم نقف على بيت الكمبت في مجموع شعره، ولا في المظان التي بين أيدينا ...<sup>٥</sup> وفي ذيل كلمة «أجم»، حيث ورد في الهاشم: «لم نقف على بيت الكمبت فيما تيسر لنا من مظان».<sup>٦</sup> وفي ذيل معنى كلمة «التوقع» حيث ورد في الهاشم: «ليس في مجموع شعر الكمبت»<sup>٧</sup> وفي ذيل كلمة «معر» حيث ورد في الهاشم: «ليس في مجموعة أشعاره، ولا فيما بين أيدينا من مصادر»<sup>٨</sup> وجاء في ذيل كلمة: «القتوعة» حيث ورد في الهاشم: «لم يفتدى إليه في شعر الكمبت».<sup>٩</sup> وفي ذيل كلمة: «يا

<sup>١</sup> محبي الدين الجنان ص ١٦٢ - ثمة أسباب أخرى لم تذكرها للاختصار فللمرزيد راجع: محبي الدين الجنان ص ١٦٢ - ونجيب عطوي ص ٥٢٠.

<sup>٢</sup> لم نعثر عليه في ديوانه تحقيق الطريفي.  
<sup>٣</sup> الفراهيدى تحقيق: المخزومي و السامرائي ج ٥ ص ١٠٧ .

<sup>٤</sup> البيت في ديوانه تحقيق: الطريفي وفي هامشه: «البيت للكمبت في كتاب العين ج ٥ ص ٣٢١ «كَدَن» وهو ساقط من طبعة ديوانه.» والزاملة: هو البعير الذي يحمل عليه الطعام والمانع كأنما فاعلة من الزمل الحمل. ابن منظور ج ١١ ص ٣١٠ .

<sup>٥</sup> الفراهيدى ج ٥ ص ٣٣٠ - ٣٣١ .  
<sup>٦</sup> المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٤ .

<sup>٧</sup> المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٧ .  
<sup>٨</sup> المصدر السابق ص ١٣٩ .  
<sup>٩</sup> المصدر السابق ص ٢٩٢ .

ناء العرب» ورد في الهامش: «ليس في مجموع شعر الكميّت، ولكنه في التهذيب ٢١٨/٣، واللسان (نعي)»<sup>١</sup> وفي ذيل الكلمة: «الرهق» جاء في الهامش: «ليس في مجموع شعره المطبوع. والبيت في التهذيب ٣٩٩/٥، واللسان (رهن) غير منسوب»<sup>٢</sup> وقس على هذا في البقية. هذا و «قد شهد القرنان الثاني والثالث إقبالاً عظيماً على التأليف في غريب القرآن»<sup>٣</sup> و «صنف في الغريب فريق كبير من اللغريين والمفسرين والمحدثين تربوا قائمة مؤلفاهم على الخمسين كتاباً كما ذكرها معاجم الكتب والرجال»<sup>٤</sup> ويقال: «إنَّ أبا عبيداً القاسم بن سلام (١٥٤ - ٢٢٤ ق) هو أول من صنف في غريب الحديث».<sup>٥</sup> ففي مثل هذا الكتاب الذي قمنا باستقصاء ما فيه من الشواهد المنشدة للكميّت عثرنا فيه على ما ينهر<sup>٦</sup> شاهداً متمثلاً بما للكميّت من الأشعار. وكذا في جمهرة اللغة لابن دريد ما يزيد عن خمسة شواهد.

ثمّ من بعده «تهذيب اللغة» للأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ ق) وغرض الأزهري من تأليف هذا المعجم كما جاء في مقدمته هو إثبات ما سمعه بنفسه من الأعراب وتصحيح أو تهذيب ما دخل اللغة من أخطاء وتصحيفات ولهذا سُمِّيَ تهذيب اللغة. وإنَّ الأسس التي اعتمد عليها في الصحة والتهذيب هي: رد السماع من العرب الرواية عن الثقات والنقل عن كتب العلماء بشرط موافقتها لمعرفته<sup>٧</sup> والأزهري في كتابه هذا كما ييلو من نفته للكميّت في معرفته اللغوية البالغة اعتمد بكثرة على أشعاره في تفسير وتبين معاني الكلمات حيث بلغ من مثلاطته به ما يزيد عن ٢٠٠ شاهداً. وفي «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (توفي ٣٩٥ ق) حوالي ٥٠ شاهداً. وفي «الصحاح للجوهري» تزيد الشواهد فيه للكميّت عن ٢٣٠ شاهداً.

وفي «المخصص» لابن سيده ما يقارب ٢٠ شاهداً. «وما أنَّ المؤلَّفَ كان نحوياً بارعاً من كبار النحاة في عصره نجد صبغة نحوية صرفية في أكثر أبواب الكتاب.»<sup>٨</sup> فلذلك له شواهد شعرية ينشدها للكميّت، معظمها في مجال القواعد الصرفية مثل التأنيث والتذكير والتصريف وجمع التكسير والأفعال

١ المصدر السابق ص ٢٥٦

٢ الفراهidi ج ٣ ص ٣٦٦

٣ الفراهidi ج ١ ص ٦

٤ الطرجي تفسير غريب القرآن ص ٦

٥ ابن حلkan ج ٤ ص ٦١

٦ فاتحي نزاد ص ٨٩

٧ المصدر السابق ص ٩٣

المشتقة من العدد وما إلى ذلك. وكذا في «**المحكم والمحيط الأعظم**» لابن سيده الكتاب الذي فاق المعاجم السابقة لأنّه «اعتنى عناية باللغة بالقواعد الصرفية».١ وفيه ما يتجاوز عن ٩٠ شاهداً. وفي «**أساس البلاغة**» للزمخشري(٤٦٧ - ٥٣٨)، حيث تزيد الشواهد فيه عن ١١٠ شاهداً. وامتاز هذا المعجم «بالملاواد البلاغية التي وردت في طياته. فهو يعالج المعانى الحقيقية للفظة ويدرك مجموعه من الصيغ المشتقة ثم ينتقل إلى المعانى الجازية. فإذاً أساس البلاغة هو المعجم الوحيد في العربية الذي يهتم بالجوانب البلاغية. وسرّ اهتمام الزمخشري بالجائز هو اشتهرار هذا العلم وانتشاره الواسع في القرن الخامس الهجري.»٢ وسنواتيكم بأمثلة من الشواهد البلاغية منه في قسم الاستشهادات البلاغية.

وفي «**تاج العروس**» تبلغ الشواهد ٣٩٠ شاهداً. وفي «**العياب الراخر**» للصاغاني ما يقارب ٧٠ شاهداً. وفي «**لسان العرب**» لابن منظور ما يزيد عن ٤٥٠ شاهداً. ووجدنا ما يقارب ١٠٠ شاهد من أشعار الكمبت في كتاب: «**المعاني الكبير**» لابن قتيبة الدينوري. وهلم جرّاً في المصادر الأخرى اللغوية والتفسيرية التي تغنى قليلاً عنها كثیرها.

والذى يجلد الانتباه إليه هنا أنه قد يجتمع أكثر من شاهد في بيت شعري للكمبت في مواضع غير قليلة نكتفي فيها كنموذج باليت التالي حيث اجتمعت فيه ثلاثة شواهد وردت في مثل التهذيب والصحاح واللسان وتاج العروس وغير ذلك:

كما خامرَتْ في حِضنِهَا أُمُّ عَامِرٍ لِذِي الْحِبْلِ حَتَّى عَالَ أُوسُ عِيَالَهَا<sup>٣</sup>

الشاهد الأول: «**حضرن الضبع: وجاره**».٤ قال ابن بري: حضنها: الموضع الذي تصاد فيه.٥ والشاهد الثاني في الأوس: «قال أبو عبيد: يقال للذئب: هذا أوس عاديا. ... وأوس: اسم الذئب، جاء مصرياً مثل الكمبت واللجن».٦ والشاهد الثالث في عال: «عال عياله يعولهم عولاً وعيالة، أي قاهم وأنفق عليهم. يقال: علتة شهرأ ، إذا كفيته معاشه.»٧

١ فتحي نزاد ص ٩٥.

٢ المصدر السابق ص ٩٧.

٣ الكمبت ص ٢٧٠ وروي «غال أوس» بالمعنى أهي أكل جراءها.(ابن منظور ج ٦ ص ١٧؛ وج ١٣ ص ١٢٢)

٤ الجوهري ج ٥ ص ٢١٠٢؛ وراجع: (ابن منظور ج ١٣ ص ١٢٢)؛ (الربيدي ج ١٨ ص ١٥٣)

٥ الجوهري ج ٥ ص ٢١٠٢

٦ المصدر السابق ج ٦ ص ١٧ - ١٨

٧ الجوهري ج ٥ ص ١٧٧؛ وراجع: (ابن منظور ج ١١ ص ٤٨٦)؛ (ابن منظور ج ٥ ص ٣٢٦)؛ (الربيدي ج ١٥

ص ٥٢٩)

وأمثال الأمثال العربية فإنها كذلك لم تستغن عن الكلمة في أن يُضرب بعض أبياتها مثلاً وأن يستمتع بفنه الشعري كشواهد يعود عليها في تأويل وتفسير مثل عريقة في ثقافة المجتمع. فقد ذكر داود سلوم في «فهرس أمثال وأقوال العرب» من الجزء الثالث من كتابه ما يناظر ما يناظر ٦٠ مثلاً<sup>١</sup>. وفي «جمع الأمثال» يتراءى لنا أن له آثار تكشف عن قوّة أدبه ولغته وعلى الأقل نجد له ما يتجاوز عن ١٥ شاهداً أوردها الميداني في كتابه كتأويله في تطبيق هذا المثل: «إِنَّهُ لَنَكِدُ الْحَظِيرَةَ»، وقال الكلمة

رَزَّكْتَ بِهِ أَنْفُ الرَّيْبِ

عَ (الربع) وزايلت نُكْدَ الْحَظَائِرِ<sup>٢</sup>

وفي تطبيق هذا المثل «أَجْوَعَ مِنْ كَلْبَةَ حَوْمَلَ» قال الكلمة يذكر بين أمية ويدرك أن رعايتها للأمة كرعايا حَوْمَلٌ<sup>٣</sup> لكتبتها:

لَكَلْبَتِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ حَوْمَلٌ  
وَغَنِمَا وَتَجْوِيعًا ضَلَالُ مَضْلِلٍ<sup>٤</sup>

كَمَا رَضِيَتْ جُوعًا وَسُوءَ رِعَايَا  
لَبَاحًا إِذَا مَا الَّلِيلُ أَظْلَمَ دَوَّهَا<sup>٥</sup>

هذا وفي «شرح كتاب الأمثال» للبكري، ما يناظر عشرة شواهد، وكذلك في «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري، أو كتاب «الأمثال» لابن سلام، حيث أنسد فيها للكلمة من شواهد، أحياناً غير معادة كقول الكلمة في قوله: «كَالْحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعْرٌ»:

وَأُسْرَتُهُ حَادٍ وَلَيْسَ لَهُ إِبْلٌ<sup>٦</sup>

فَصَرِّتُ كَائِي وَامْتَدَاجِي خَالِدًا<sup>٧</sup>

١ داود سلوم ج ٣ ص ٢٠٥-٢٠٨

٢ الكلمة ص ١٤٦ وراجع : (الميداني ج ١ ص ٤٧)؛ (ابو هلال العسكري ج ١ ص ٤٧٧)؛ (أبو عبد البكري ج ١ ص ٤٣)؛ (أبو عبد ابن سلام ج ١ ص ٥٨)؛ والنكـد : قوله الخبر يقال: نكـدت الركـبة إذا قـل مـاؤها وـجـع النـكـد انـكـاد وـنـكـد.

٣ هذه امرأة من العرب كانت تُحبـي كلـبة لها وهي تخـرسـها فـكـانت تـربـطـها بالـليل للحرـاسـة وـتـطرـدـها بالـنهار وـتـفـولـ: التـئـسي لـفـسـكـ لا مـلـئـسـ لكـ فـلـما طـالـ ذلك عـلـبـها أـكـلتـ ذـبـها منـ المـوـعـ.

٤ الميداني ج ١ ص ٨٦؛ وروي في ديوانه تحـقيقـ الطـرـيفـيـ في المـصـرـ الثـانـيـ منـ الـبـيـتـ الأوـلـ: «بـكـلـبـتهاـ فيـ أوـلـ الـدـهـرـ حـوـمـلـ» وفيـ الـبـيـتـ الثـانـيـ: «وـضـرـباـ وـتـجـوـيـعـاـ عـبـالـ مـخـبـلـ». (الكلمة ص ٥٩٨)

٥ أبو عبد البكري ج ١ ص ٣٠٣؛ وروي في ديوانه تحـقيقـ الطـرـيفـيـ :

إن الكميّت كما اعتمد عليه اللغويون في مجال اللغة فقد تبعهم الفقهاء والمفسرون على ذلك حسب الاقضيّات اللغوريّة المرتبطة بال موضوع فتركته لعدم الإطالة واحتصاراً للبحث.<sup>١</sup>

## الاستشهاد النحوى والصرف

كما سبق أنه أُنْهِمَ الكميٰت على ما زعموا بعدم حجّيّة كلامه في الاستشهاد النحوي  
بأشعاره وسنورد شواهد نحوية وصرافية تكشف عن بطلان ذلك. وقد استشهد بأبيات الكميٰت  
الشعرية نحاة كبار منذ القرون الأولى نذكر منهم سيبويه النحوي المعروف (م ١٨٠ق)<sup>٢</sup> الذي استشهد  
في كتابه نحوياً وصرفيًا بأبيات كثيرة واتبعه آخرون من بعده بالاعتماد عليها أو بإضافة شواهد أخرى  
إليها لم يذكرها سيبويه. فمن تلك الشواهد على سبيل الاختصار - إعمال «تقول» عمل «تظن»،  
ونصبه مفعولين. يقول سيبويه: «إِنْ قَلْتَ: أَنْتَ تَقُولُ زِيداً مُنْطَلِقاً رَفِعتَ، لَأَنَّهُ فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَرْفِ  
الاسْتِفَهَامِ، كَمَا فَصَلَ فِي قَوْلِكَ: أَنْتَ زِيداً مَرِرتَ بِهِ، فَصَارَتْ بِمِثْلَةِ أَخْوَاهَا، وَصَارَتْ عَلَى الْأَصْلِ.  
قال الكميٰت:

وقد فصل بين الاستفهام والفعل بعامل الفعل «جهلاً»؛ الواقع مفعولاً ثانياً للفعل؛ وحكم الفصل بين الاستفهام والفعل بعامل الفعل حائز في هذا الباب.<sup>١</sup>

فإني ونداحي بزبد وحالداً ضلاًّ لکلحادي ولبس له إبل

(الكمية ص ٢٩١)

١ مثل ما وردت استنبطات لغوية بأشعاره في باب «ميراث الحمبل» وفي باب «الطلاف»، وفي باب «الخضانة»، وفي باب «التفقة» وما إلى ذلك فللمربي راجع: الشيخ الصدوق ج ٣ ص ٢٧٣؛ ابن ادريس الحلبي في السرائر ج ٣ ص ٢٨٤؛ على أصغر المرواريد في البنایف الفقهية ج ٢٢ ص ٣٥٤؛ الزاهر في الأزهري ج ١ ص ٣٩٥؛ ابن سیده في الحكم ج ٢ ص ٤٥؛ مركز المعجم الفقهي ص ٨٣٩ وص ١٨٦٥؛ الشيخ ناصر مكارم ج ١ ص ٤١٦ - ٤١٧؛ التوری ج ١٨ ص ٣٢٣ وج ١٧ ص ٩٨.

٢ «إنه لما رجع إلى البصرة بعد وفاة الخليل - على ما يظهر - عكف على تصنيف «الكتاب» وسرعان ما ذاع صيته

<sup>١٠٨</sup> لا في البصرة فحسب بل أيضاً في بغداد مفرّ الحكم فرحل إلّاها في خلافة الرشيد.» (فانخي نزاد ص ١٠٨)

٣ سببواه ح ٢٦ المكمب ص ٣٩٥ . بمح فيه الشاعر مضر ويفضلهم على أهل اليمن، بني لؤي براد هم قربشاء؛  
ولؤي: من اجداد النبي (ص).

واستشهد سيبويه بشعر الكميٰت في «باب ثنية المستثنى»<sup>١</sup> وفي ثبيٰت نون الجمع من الكلمة «ذو» عند عدم الإضافة أورد سيبويه شاهداً من شعر الكميٰت قائلاً: «وسائلُ الخليل عن رجلٍ سَمِّيَ بأولي من قوله: نحن أولو فَوْةٌ وَأولو بَأْسٍ شديد، أو بنوي، فقال: أقول هذا ذوون، وهذا ألون، لأنَّ لِمَ أَضَفَ، وإنما ذهبت النون في الإضافة. وقال الكميٰت:

فَلَا أَعْنِي بِنَذْكَرِ أَسْـفَلِكُمْ      وَلَكِنِّي أَرِيدُ بِهِ الْـنَّـوـيـنـاـ

وورد ذلك في شرح الرضيٰ على الكافية: «أنَّ قطعه عن الإضافة، وإدخال اللام عليه في قوله: «...ولكني أريد به النونينا»، شاذان، وذلك لإجرائه مجرى صاحب.»<sup>٢</sup>

وورد الاستشهاد به في «الكتاب» لسيبوٰيٰه في حرّ «دوادي» وعدم إعلال لامه ضرورةٌ في الشعر في مثل ما قال الكميٰت:

خَرَيْغُ دَوَادِيُّ فِي مَلَعَبٍ  
تَأَرَّزُ طَوْرًا وَتُلْقِي إِلَزَارًا  
فَجَعَلَهُ حِينَ اضْطَرَّ مِجْرَوْمًا مِنَ الْأَصْلِ.»<sup>٣</sup>

والشاهد الآخر من شواهد سيبويه البٰيت التالي الذي أنشده للكميٰت وقال فيه: «وأجروه حين بنوه للجمع كما أجرى في الواحد ليكون كفراً علٰى حين أجري مثل فاعل قال الكميٰت:

شُمُّ مَهَاوِينُ أَبْدَانَ الْجَرْزُورِ مَخَا

١ عبد الله الأنصاري ج ١ ص ٢١٣؛ للمزيد راجع: الأسترابادي ج ٤ ص ١٧٨؛ وتوضيح المفاصد ج ١ ص ٥٦٩؛ و ابن عفیل المداني الشاهداني ج ١٣٥٥ ح ١ ص ٣٩٧.

٢ راجع: سيبويه ج ١ ص ٥٩.

٣ سيبويه ج ١ ص ٢٣٦؛ والأسترابادي ج ٤ ص ١٧٨.

٤ الكميٰت ص ٤٦٦.

٥ الأسترابادي ج ٢ ص ٢٧٥.

٦ الكميٰت ص ١٥٠.

٧ سيبويه ج ١ ص ٢٤٤؛ في لسان العرب أنه: «أخرج دوادي على الأصل ضرورة ، لأنَّه لو أعلَّ لامه فحذفها فقال دواد لانكسـرـ البـيـتـ» (ابن منظور ج ١٤ ص ٢٧٨) الخربع: البنية المعاطف. والدوادي: موضع نسلن الصبيان ولعبهم، واحدتها دودة. و قوله: تأَرَّزُ طَوْرًا وَتُلْقِي إِلَزَارًا، أي: لا تبالي لصغرِ سُنْتها كيف تصرف لاعبة». (الكميٰت الخامس ص ١٥٠) وفي اللسان: الدودة: الأرجوحة. والدوادة: أثر الأرجوحة وهي فعلة» (ابن منظور ج ١٤ ص ٢٧٨).

٨ سيبويه ج ١ ص ٢٤.

وجعل فيه موضع الشاهد «مهاوين»<sup>١</sup> واستشهد به من جهتين: الأولى: «أن مهاوين جمع مهوان من أهان وبناء مفعال من أفعال قليل نادر والكثير من فعل»<sup>٢</sup> والثانية: ما أورده الزمخشري في المفصل على أن ما جمع من اسم الفاعل يعمل عمل المفرد»<sup>٣</sup> وفيه أنه: «جعه ومتناه كمفرده في العمل، وما ثني من ذلك وجمع مصححاً أو مكسرًا يعمل عمل المفرد قال الكمبت: شم مهاوين أبدان الجزور...»<sup>٤</sup> وقال الأعلم: الشاهد فيه نصب أبدان الجزور بقوله: مهاوين لأنه جمع مهوان ومهوان تكثير مهين كما كان منحرار ومضراب تكثير ناحر وضارب فعمل الجمع على واحدة. يريد أنهم يهينون للأضياف والمساكين أبدان الجزور».<sup>٥</sup>

وفيما ينوب المصدر مناب الفعل في العمل تمثّل سيبويه بكلمة «نعماء» كاسم الفعل على وزن فعال من شعر الكمبت وقال: «ما جعل بدلاً من اللفظ بالفعل قوله: الخنزير الخنزير، والنجاء النجاء، وضرباً ضرباً. فإنما انتصب هذا على الرم الخنزير، وعليك النجاء، ولكنهم حذفوا لأنه صار بمثابة افعل. ودخول الرم وعليك على افعل محال. وقال الكمبت:

نعماء جداماً غير موتٍ ولا قتلٍ ولكن فراقًا للدعائم والأصلٌ<sup>٦</sup>

كما أن ابن الأئباري ذكره شاهداً في كتابه «الإنصاف» في أن يستدلّ على بناء ما يأتي على وزن فعال من أسماء الأفعال لنيابته مناب الفعل، فيقول: «ومنهم من تسكت بأن قال الدليل على أنه مبني أنا أجمعنا على أن ما كان على وزن فعال من أسماء الأفعال كترال وتراتك ومناع ونوع وحدار ونظرار مبني لأنه ناب عن فعل الأمر فترال ناب عن انزل... ونعماء ناب عن انع... وقال الكمبت: (نعماء جداماً...)، (أراد انع جداماً)». وهكذا نجد لابن الأئباري شواهد نحوية في «الإنصاف» ينشدتها للكمبت كما في تقدير المنادي محلوفاً فيقول: «أن المنادي إنما يقدر محلوفاً إذا ولـى حرف النداء فعل أمر وما جرى

١ الكمبت ص ٣٨٨.

٢ واستشهد به ابن منظور استشهاداً لغويًا في تفسير قوله تعالى: «الَّذِينَ يَمْسُطُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا» الفرقان/٦٣ فائلاً فيه: «قال عكرمة ومحاذد: بالسكبنة والوقار، وقال الكمبت: شم مهاوين ...» (ابن منظور ج ١٣ ص ٤٣٩).

٣ البغدادي ج ٨ ص ١٥٢؛ والزبيدي ج ١٨ ص ٥٩٣.

٤ البغدادي ج ٨ ص ١٥٢.

٥ الزمخشري المفصل ج ١ ص ٢٨٩.

٦ البغدادي ج ٨ ص ١٥٤؛ والأستراباذي ج ٣ ص ٤٢١.

٧ سيبويه ج ١ ص ٥٦ الكمبت ص ٣٩٧.

٨ الأئباري ج ٢ ص ٥٣٥.

محراه كقراءة الكسائي وأبي جعفر المدري ويعقوب الحضرمي وأبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري وحميد الأعرج (ألا يا اسجدوا لله) أراد يا هؤلاء اسجدوا<sup>١</sup> وقال الآخر وهو الكمي:

ألا يا اسلامي يا تربَ أسماء من تربٍ      ألا يا اسلامي حيّتَ عني وعن صحيٍ<sup>٢</sup>

وورد الاستشهاد بأشعار أخرى للكمي في شرح الرضي على الكافية للأسترابادي، منه ما جاء فعال في باب العدد من عشرة في قول الكمي<sup>٣</sup>:

ولم يَسْتَرِيشُوكْ حَتَّى رَمَيْتَ      فوق الرجال خِصَالاً عَشَاراً<sup>٤</sup>

وهكذا استشهد ابن قبيبة في انصراف وزن فعال من العدد بقول الكمي و هو يقول: «ويقال (أحاد) (وثناء) (وثلث) (ورباع) كل ذلك لا ينصرف ولم نسمع فيماجاوز ذلك شيئاً على هذا البناء غير قول الكمي: (... خِصَالاً عَشَاراً...)<sup>٥</sup>

وفي حذف صلة الموصول الاسمي ورد الاستشهاد به في شرح الرضي حيث يقول: «ويجوز قليلاً حذف صلة الموصول الاسمي غير الألف واللام ، إذا علمت ، قال الكمي:

وفي المفصل للزمخشيри شواهد شعرية أنسدتها للكمي في مثل الأمثلة التالية: قال الزمخشيري في

فَإِنْ أَدْعُ اللَّوَاتِي مِنْ أَنْسٍ      أَصْنَاعُهُنَّ لَا أَدْعُ الّذِينَ<sup>٦</sup>

«أى» يعني كيف: (و)كيف جار بحرى الظروف. ومعناه السؤال عن الحال. تقول كيف زيد؟ أى على أي حال هو. وفي معناه أى قال الله تعالى: «فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَيْ شَيْئُم». وقال الكمي:

أَى وَمَنْ أَيْنَ آبَكَ الطَّرَبُ<sup>٧</sup>      مِنْ حِيثُ لَا صَبُوةُ وَلَا رِيَبُ<sup>٨</sup>

١. الأنباري ج ١ ص ٩٩.

٢. المصدر السابق ص ١٠١ الكمي ص ٨٠.

٣. الأسترابادي ج ١ ص ١١٤.

٤. الكمي ص ١٥٢.

٥. ابن قبيبة ج ١ ص ٤٥٨.

٦. الاسترابادي ج ٣ ص ٧٠ الكمي ص ٤٦٦.

٧. وراجع: الفراهيدى ج ٨ ص ٣٩٩؛ وابن منظور ج ١٥ ص ٤٣٨؛ واستشهد به لغويًا في مثل الكلمة «آبك»، قال ابن فارس: (و)المات المرجع قال أبو زيد أبت القوم أى إلى القوم. قال: أى ومن أين آبك الطرب (ابن فارس ج ١ ص ٥٣).

٨. الزمخشيри المفصل ج ١ ص ٢١٧ الكمي ص ٦٣.

وأورده ابن حاچب في باب الإمالة: «على أنّ: «أَنِّي» فيه للاستفهام... والجملة المستفهم عنها محنوفة، للدلالة ما بعده عليها، والتقدير «أَنِّي آتَكَ»، ومن أين آتَكَ فحذف للعلم به، وواكفى بالثاني.»<sup>١</sup>

واشتهد به النحاس في تفسير قوله تعالى: «قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنِّي لَكُهُ هَذَا» آل عمران/٣٧ على أنه: «قال أبو عبيدة: المعنى من أين لك؟ وهذا القول فيه تساهل لأنّ «أين» سؤال عن الموضع و «أني» سؤال عن المذاهب والجهات، والمعنى: من أي المذاهب ومن أي الجهات لك هذا؟ وقد فرق الكمبت بينهما فقال: «أَنِّي» ومن «أين» آتَكَ الظرف ... ». وأورده الزجاج في تفسيره عند قوله تعالى: (أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَامٌ) على أنّ أَنِّي فيهما معنى كيف» (الاسترابادي، ٤ / ٣١١)

وكذا استشهاده بكلمة «غيرات» في جمع «غير» على أنّ حكم المؤنث مما لا تاء فيه كالذى فيه تاء، كقول الكمبت:

عَيْرَاتُ الْفَعَالِ وَالْحَسَبِ      العُودُ إِلَيْهِمْ مُحْطَوْطَةُ الْأَعْكَامِ<sup>٢</sup>

١ الاسترابادي ج ٤ ص ٣١٠

٢ النحاس ج ١ ص ٣٨٩؛ والقرطبي ج ٤ ص ٧١ - ٧٢.

٣ الزمخشري المفصل ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩؛ والزمخشري الفائق ج ١ ص ٤٩ الكمبت ص ٣٩٠.

وكذا الشاهد في : «من بين أثرى وأقترا» في البيت التالي للكمي:

لِكُمْ مَسْجِداً اللَّهُ الْمَزُورُ إِنَّ وَالْحَصَى لِكُمْ قِبْصَةٌ مِّنْ بَيْنِ أَثْرَى وَأَقْتَرًا<sup>١</sup>

حيث حذف المنعوت وأبقى النعت، والتقدير: من بين من أثرى وبين من أقترا، أي من بين رجل أثرى ورجل أقترا، فحذف منعوتين؛ «من» الأولى و«من» الثانية<sup>٢</sup>. وفي التوكيد الفظي بإعادة الأول بلفظه في هذا البيت للكمي:

فَتَلَكَ وَلَاهَ السَّوْءُ قَدْ طَالَ مَلَكَهُمْ وَحَتَّامَ حَتَّامَ الْعَنَاءِ الْمَطْوَلِ<sup>٣</sup>

واستشهد به ابن هشام في وجوب: «حذف ألف ما الاستفهمية إذا جرت وإبقاء الفتحة دليلاً عليها»<sup>٤</sup>، ممثلاً بـ«مَ» المجرورة بـ«حَتَّى» في البيت الآنف ذكره. وفي تقديم الخبر المخصوص بـ«إِلَّا» شذوذًا ورد الاستشهاد بـ«بَكَ النَّصْر»، وـ«عَلَيْكَ الْمَعْوَلُ» في الموضعين من البيت التالي للكمي:

فِي رَبِّ هَلْ إِلَّا بَكَ النَّصْرُ يُرْتَجِحُ عَلَيْهِمْ وَهُلْ إِلَّا عَلَيْكَ الْمَعْوَلُ<sup>٥</sup>

هذا ونفت النظر بأنّ التعويل على الأبيات الشعرية للكمي في الاستشهادات التحوية لا ينحصر فيما ذكرناه وإنما له مواضع تحدّر الإشارة إليها في دراسة أخرى لا يسعها هذا المختصر.

### الاستشهاد البلاغي

بالإضافة إلى ما ألحنا إليه من الاستشهادات اللغوية والفقهية والنحوية، ثمة مجال آخر في الأدب ينبغي الالتفات إليه وهو الاستشهاد بأبيات الكمي في مسائل بلاغية هامة خاصة فيما يختص تفسير

١. الكمي ص ١٥٥.

٢. نوضيح المقاصد ج ٢ ص ٩٦٦. أقول: وفي هذا البيت كذلك خمسة شواهد أخرى لغوية ذكرها أصحاب المعاجم وهي في: «مسجدًا»، و«الحصى»، و«قبصه»، و«أثرى»، و«أقترا». فللمزيد راجع: الرمخنري الفاين في غريب الحديث ج ٣ ص ٤١؛ والجوهري: ج ٢ ص ٧٨٤ ج ٣ ص ١٠٥٠ ج ٤ ص ٧٨٢؛ وابن فارس ج ٥ ص ٤٣٩؛ وابن منظور: ج ٢٠٥ ص ٧٠ - ٧١ وج ٦٨ ص ١١٠ - ١١١؛ والزبيدي: ج ٥ ص ٨ وج ٧ ص ٣٦٨ وج ٩ ص ٣٢٨ وج ١٩ ص ٢٤٦؛ والجوهري ج ٢ ص ٤٨٥؛ وابن السكبي الاهوازي ص ٣٥١؛ وابن سلام ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٦.

٣. نوضيح المقاصد ج ٢ ص ٩٧٩ الكمي ص ٣٤٠.

٤. ابن هشام ج ١ ص ٢٩٨.

٥. عبد الله الانصارى ج ١ ص ٢١٣؛ وابن عفیل ج ١ ص ٢٣٥؛ الكمي ص ٣٣٣.

الأحاديث النبوية عند ظهور الشروح اللغوية لغرائب الأحاديث في القرون الأولى حيث تطرق بعض الدارسين إلى تبيان الجهات البلاغية لبعض العبارات النبوية إلى جانب دراستهم اللغوية للبعثة. ولكن الذي لا يمكن غضُّ الطرف عنه أنَّ الخوض في مثل هذا المجال الأدبي لم يتمتع بعناية كثيرة لدى باحثي البلاغة في الاستشهاد بأشعار الكمبت بمختلف الجمِّ الغفير من تلك الشواهد اللغوية التي لمسناها في المعاجم وبنسبة أقلَّ في المجال التحوي ثمَّ الفقهي. وحصيلة ما بحثنا عنه أنه لم يجد استشهاداً بشعر الكمبت في «الإيضاح في علوم البلاغة» للفزويي<sup>١</sup>، ولا في «دلائل الإعجاز» للحرجاني، ولا في «مختصر المعاني» لسعد الدين التفتازاني، كما أنه لم يجد في «معاهد التصصيص على شواهد التلخيص» للعباسي من مثال إلَّا أقوال رواية عنه. ولكنَّ الرمخنثري في كتابه «أساس البلاغة» تناول في أكثر من موضع أشعاراً للكمبت استشهد بها في تفسيره البلاغي إلى جانب المعاني اللغوية، فأحصينا الشواهد البلاغية فوجدنا أنها تجاوزت<sup>٢</sup>، شاهداً بلاغياً كلَّها داخلة في المجاز من باب التوسيع اللغوي كقوله: «ومن المجاز: نغضوا إلى العدو: هضوا إليه. قال الكمبت:

حتى إذا نَعْضَ العَلَوْ<sup>٣</sup>      وَتَمَّ خَصَّكَ مِنْ تَخَاصُّكَ

وكتل قوله «ومن المجاز: توبَّ على مترلته، وتوبَّ على أخيه في أرضه: استولى عليها ظلماً. وقد وثب إلى الشرف وثبة». قال الكمبت:

ووَثِيَّةُكَ في الأَحْسَابِ بِالْغَةِ      كَذَاكَ إِنَّكَ في الْمَعْرُوفِ ذُو وَثَبَّ<sup>٤</sup>

والذي بلغنا في غير ذلك من الشواهد البلاغية قد تناول في بعض الكتب نحو «المجازات النبوية» للشريف الرضي وفيه ما يقرب عشرة أبيات شعرية استشهد بها الشريف لتفسير أحاديث للرسول (ص) استشهاداً بلاغياً معظمها في التشبيه والمجاز والاستعارة. فمن ذلك تفسيره في قوله عليه الصلاة والسلام: «قد أناخت بكم الشرُّ الجنون». يعني الفتنة المتوقعة. وهذا القول مجاز لأنَّه عليه الصلاة والسلام شبه الفتنة بالنرق المنسنات، بخلاف خطبها واستفحال أمرها وجعلها جوناً، وهي السود

<sup>١</sup> اللهم إلَّا في هامش الإيضاح تحقيق عبد المنعم الحفاجي وهذا سند ذكره فيما بعد.

<sup>٢</sup> الرمخنثري ٤٨٢/١، الكمبت ص ٢٦١

<sup>٣</sup> الرمخنثري أساس البلاغة ج ٢، ص ٧، الكمبت ص ٧٦

ها هنا، لظلام منهاجها والتباش مخرجها. والشرف جمع شارف: وهي الناقة المسنة، وهم يشبهون الحرب بها<sup>١</sup>، قال الكميت الأستدي يصف حرباً:

مبسورة شارفاً مصرمةٌ  
ملوها الصاب٢ حين تحليه٣

وهكذا في الأمثلة المتبقية التي وقعت موضع استشهاد الشريف الرضي وغيره من الباحثين في مجال الأحاديث النبوية حيث يتطلب ذلك دراسة مستقلة ندعه بوقته. وأماماً في مؤلفات أخرى لغيره فمثل هذا البيت الشاهد للكميـت:

كلام النبيـن المـهـادـة كلامـنا  
وأفعالـ أهـلـ الجـاهـلـيـةـ نـفـعـلـ٤

في تشبيه كلامـهم بكلامـ النبيـن المـهـادـةـ، لا العـكـسـ. ومـثـلـ الاستـشـهـادـ بـكلـمـةـ «إـصـغـاءـ الإـلـانـاءـ»ـ عـلـىـ آـنـهـ  
مجـازـ، في تـفـسـيرـ حـدـيـثـ الـهـرـةـ. قـالـ ابنـ الأـئـمـةـ فـيـ النـهـاـيـةـ: «ـفـيـ حـدـيـثـ الـهـرـةـ إـنـهـ كـانـ يـصـغـيـ لـهـ إـلـانـاءـ أـيـ  
يـمـيـلـهـ لـيـسـهـلـ عـلـيـهـ الشـرـبـ مـنـهـ. أـقـولـ: هـذـاـ هـوـ الـعـنـيـ الـحـقـيقـيـ لـلـكـلـمـةـ وـأـمـاـ مـعـنـاهـاـ الـجـاهـيـ فـهـوـ مـاـ قـالـ  
الـرـمـخـشـريـ فـيـ أـسـاسـ الـبـلـاغـةـ: وـمـنـ الـجـاهـ: فـلـانـ يـصـغـيـ إـنـاءـ فـلـانـ إـذـاـ نـقـصـهـ وـوـقـعـ فـيـهـ، وـأـصـغـيـ حـقـهـ نـقـصـهـ  
... قالـ الـكـمـيـتـ:ـ

فـإـنـ تـصـنـعـ كـفـأـهـ الـعـدـاـةـ إـنـاءـنـاـ  
وـتـسـمـعـ لـنـاـ أـقـوـالـ أـعـدـائـنـاـ تـخـلـ٥

والاستشهاد بعدم وجود الجهة الجامحة بين مسندين كـ: «ـالـدـلـ وـالـشـنـبـ»ـ فـيـ مـثـلـ ماـ قـالـ الـكـمـيـتـ:

١ قال ابن قبيـةـ: قـالـ الـكـمـيـتـ وـذـكـرـ الـحـرـبـ وـشـبـهـاـ بـنـاقـهـ: «ـمـنـ الـمـسـرـحـ»ـ، مـبـسـورـةـ شـارـفـاـ مـصـرـمـةـ،...ـ(ـابـنـ قـبـيـةـ  
غـرـبـ الـحـدـيـثـ جـ ٢ـ صـ ٢٦٨ـ)

٢ التوضـيـحـ: بـقـالـ بـسـرـتـ النـاقـةـ وـابـسـرـتـ إـذـاـ حـمـلـ عـلـيـهـ الـفـحـلـ. وـلـمـ تـضـبـعـ. الـمـصـرـمـةـ: الـمـفـطـعـةـ وـهـيـ الـقـطـعـةـ أـنـدـأـهـاـ  
حـقـنـ لـأـنـ تـرـضـعـ فـتـضـعـ فـتـضـعـ بـالـرـضـاعـ. الـصـابـ: شـعـرـ مـرـ، أـيـ عـصـارـهـ هـذـاـ الشـعـرـ الـمـرـ إـذـاـ حـلـبـ. ضـبـعـ النـاقـةـ تـضـبـعـ: مـنـ  
بـابـ فـرـحـ إـذـاـ اـشـهـتـ الـفـحـلـ، فـمـعـنـ قولـ الشـرـيفـ إـذـاـ حـمـلـ عـلـيـهـ الـفـحـلـ وـلـمـ تـضـبـعـ: وـهـيـ غـيرـ طـالـبـهـ لـهـ وـجـبـتـ لـاـ بـكـونـ  
لـفـاحـ فـائـدـةـ لـأـنـاـ لـأـنـ حـمـلـ حـبـيـنـ، وـمـرـادـ أـنـ هـذـهـ الـحـرـبـ كـالـنـاقـةـ الـنـيـ بـأـنـهـاـ فـحـلـهـ وـهـيـ غـيرـ رـاغـبـةـ فـيـ إـنـانـهـ فـنـكـونـ نـافـرةـ  
هـائـجـ، وـهـذـهـ الـحـرـبـ نـافـرةـ هـائـجـ، تـصـبـبـ النـاسـ بـشـرـهـاـ مـنـ غـيرـ رـحـمـةـ وـلـاـ بـصـرـ.

٣ الشـرـيفـ الرـضـيـ صـ ٤٤ـ لـمـ نـعـنـرـ عـلـيـهـ فـيـ الـدـيـوـانـ.

٤ الـكـمـيـتـ صـ ٥٨٨ـ.

٥ ابنـ عـفـلـ جـ ١ـ الـهـامـشـ صـ ٢٣٣ـ.

٦ النـقـفيـ جـ ٢ـ الـهـامـشـ صـ ٥٧ـ، الـكـمـيـتـ صـ ٢٦١ـ. مـنـ بـسـمـعـ بـخـلـ: أـيـ بـظـنـ وـبـنـهـمـ، بـقـوـلـهـ الرـجـلـ إـذـاـ بـلـغـ شـبـيـاـ عـنـ رـجـلـ  
فـأـقـمـهـ، وـقـيلـ: إـنـ مـعـنـاهـ أـنـ مـنـ بـسـمـعـ أـخـبـارـ النـاسـ وـمـعـائـهـمـ بـقـعـ فـيـ نـفـسـ الـمـكـروـهـ عـلـيـهـمـ.ـ(ـالـكـمـيـتـ هـامـشـ صـ ٢٦١ـ)

أَمْ هَلْ ظَعَانُ بِالْعَلَيَاءِ رَافِعٌ  
وَإِنْ تَكَامِلَ فِيهَا الدَّلْلُ وَالشَّنَبُ<sup>١</sup>

وقال صاحب سر الفصاحة في التشبيه ممثلاً بشعر الكمبت: «وما يحتاج إليه التشبيه أن يكون الأمر المشبه به واقعاً مشاهداً معروفاً غير مستنكر ليوافق ذلك المقصود بالتشبيه والتلميل من الإيصال والبيان وهذا عاب نصيب على الكمبت قوله:

كَأَنَّ الْغُطَامِطَ مِنْ عَلَيْهَا  
أَرَاجِيزُ أَسْلَمَ تَجْحُوا غِفارًا<sup>٢</sup>

وقال له أخطئ ما هجت أسلم غفاراً فقط وأراد نصيب من الكمبت أن يكون شبه بشيء واقع معروف وهذا كما يقال كأن مناقضة فلان وفلان مناقضة حرير والفرزدق فيكون هذا الكلام صحيحاً ولو قيل كأن مناقضتها مناقضة الأحوص وعمر بن أبي ربيعة لم يكن ذلك التشبيه صحيحاً إذ كان المشبه به لم يقع وعلى هذا أكره قول علقة بن عبدة.»<sup>٣</sup> وفيما يخل بفصاحة الكلمة ما استشهد به ابن سنان الخفاجي في قول الكمبت:

وَأَدَئَنَ الْبَرُودَ عَلَى خَلْوَدٍ  
يُرَزِّئُنَ الْفَدَاغَمَ بِالْأَسْلَيلٍ<sup>٤</sup>

وقال: «فإن الفداغم كلمة رديئة كما ترى»<sup>٥</sup>. وأما بالنسبة إلى الاستشهادات البديعية والعروضية فقد وردت عدّة أبيات شعرية أنشدها البعض للكمبت شواهد في مثل التعجيز والتجنيس والتفریغ وغير ذلك. ففي التجنيس، قال ابن المعتر في الباب

الابصري في علوم البلاغة الخطيب الفزوي م ٧٣٩، تحقيق عبد المنعم الخفاجي، الطبعة الثالثة، هامش. « فإنه قال له أين الدل من الشنب إنا يكون الدل مع الغنج ونحوه والشنب مع اللعن أو ما جرى مجرأه من أوصاف النغر والفن فكان الدل والشنب في قول الكمبت عبياً لأهما لفظنان لا يتناسبان بتقارب معانيهما ولا بتضادهما» (سر الفصاحة، ج ١، ص ٢٠)؛ وروي في الديوان تحقيق الطربيفي:

وَقَدْ رَأَيْنَا هَمَا حُورَاً مُّنْعَمَةً  
يَضَّا تَكَامِلَ فِيهَا الدَّلْلُ وَالشَّنَبُ<sup>٦</sup>

(الكمبт، ص ٣٦)

٢ الكمبت ص ١٥٩. والغطامط: صوت غليان موج البحر. (ابن منظور ج ٧ ص ٣٦٣)

٣ ابن سنان الخفاجي ج ١ ص ٢٥٣.

٤ الفداغم جمع فدم وهو الخد الحسن الممتلى والأسليل الأملس بمعنى الوجه.

٥ الكمبت ص ٣٦٩.

٦ ابن سنان الخفاجي ج ١ ص ٧٠.

الثاني من البديع: «فمنه ما تكون الكلمة تُجанс أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشق منها... قال الكميٰت من الطويل:

وَنَحْنُ طَمَحْنَا لِأَمْرِهِ الْقَيْسَ بَعْدَ مَا رَجَاهُ الْمُلْكَ بِالظَّمَاحِ نَكِبًا عَلَى نَكِبٍ<sup>١</sup>

وأَمَّا التَّعْجِيزُ فِإِلَهٌ وَرَدَ فِي تَعْرِيفِهِ وَالْمُثَمِّلُ بِهِ فِي الْلِّسَانِ: «عَجَزُ الشَّاعِرُ»: جَاءَ بِعَجَزِ الْبَيْتِ. وَفِي الْخِيرِ: أَنَّ الْكُمِيٰتَ لَمَّا افْتَحَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْلَاهَا: «أَلَا حَيَّيْتَ عَنَّا يَا مَدِينَنَا»، أَقَامَ بُرْهَةً لَا يَدْرِي بِمَا يُعَجِّزُ عَلَى هَذَا الصَّدَرِ إِلَيْهِ أَنْ دَخُلَ حَمَاماً وَسَعَ إِنْسَانًا دَخْلَهُ، فَسَلَمَ عَلَى آخَرَ فِيهِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَانْتَصَرَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ لِهِ قَوْلَهُ: وَهُلْ بِأَسْ بِقُولِ الْمُسْلِمِينَ؟ فَاهْتَبِلَهَا الْكُمِيٰتُ فَقَالَ: «وَهُلْ بِأَسْ بِقُولِ مُسْلِمِيَّنَا؟» وَكَذَا «الْتَّقْرِيبُ» فِي مَثَلِ قَوْلِ «الْكُمِيٰتُ» يَمْدُحُ آلَ الْبَيْتِ:

أَحَلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دَمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ<sup>٢</sup>

فَفَرَّعَ عَلَى الْحُكْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي جَاءَ فِي الشَّطَرِ الْأَوَّلِ، الْحُكْمُ الَّذِي جَاءَ فِي الشَّطَرِ الثَّانِي.<sup>٣</sup> وَالَّذِي يَنْبَغِي القَوْلُ فِيهِ أَخْيَرًا أَنَّ الْكُمِيٰتَ وَشَخْصِيَّتَهُ الْأَدَيْبِيَّةَ فِي مَحَالِ الْأَعْتَمَادِ عَلَيْهِ فِي أَشْعَارِهِ وَالْمَحْوَضِ فِي مِبَاحَثِ أَعْمَقٍ وَأَكْثَرَ تَائِمَّلًا فِي أَدْبِهِ يَسْتَدِعِي مَجَالًا أَوْسَعَ خَارِجَ عَنْهُ نَطَاقَ هَذَا الْبَحْثِ.

## الخاتمة

إِنَّ النَّتَائِجَ الَّتِي وَصَلَنَا إِلَيْهَا فِي هَذَا الْبَحْثِ يُمْكِنُ تَلْخِيصُهَا فِي الْمَوَارِدِ التَّالِيَّةِ:

- مِنَ الْمَلَاحِظِ أَنَّ الْإِسْتِشَهَادَاتِ بِشِعْرِ الْكُمِيٰتِ تَتَقَنَّنُ مِنْ جَهَةِ أَدَيْبِيَّةٍ فَنِيَّةٍ إِلَى جَهَةِ أَخْيَرِيَّةٍ. وَقَدْ تَجْتَمِعُ شَوَاهِدُهُ مُدْعَةً مِنْ جَهَةِ وَاحِدَةٍ كَالْلُّغَةِ مُثَلًا فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، أَوْ تَخْتَلِفُ الشَّوَاهِدُ مِنْ لُغَةٍ وَنَحْوٍ وَبِلَاغَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مُلْتَمِمٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ.
- كَثَافَةُ الْإِسْتِشَهَادَاتِ وَضَرُوبِهِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَدَيْبِيَّةِ بِشِعْرِ الْكُمِيٰتِ تَدْحِضُ مَا أُثْبِرَتْ حَوْلَهُ مِنْ شَبَهَاتٍ فِي عَدَمِ حَجَيَّةِ كَلَامِهِ وَتَوْرِيدِ القَوْلِ بِفَصَاحَتِهِ وَبِرَاعَتِهِ الْفَنِيَّةِ وَالْلُّغَوِيَّةِ عَلَى رَغْمِ مَا رَمِيَ إِلَيْهِ مِنْ كُونِهِ حَضْرِيًّا.

١ الْبَدِيعُ ابْنُ الْمَعْنَى ج ١ ص؛ الْكُمِيٰتُ ص ٩٣.

٢ الْبَحْثُ الْعَرْوَضِيُّ وَالْبِلَاغِيُّ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ ج ١ ص ١٢٧؛ وَج ١ ص ٦١.

٣ رُوِيَ فِي دِبْوَانِهِ تَحْقِيقُ الْطَّرْبِيِّ: «بُشَفَى هَا الْكَلْبُ» (الْكُمِيٰتُ ص ١٩).

٤ ابْنُ الْمَعْنَى ج ١ ص ٧٨٨.

- إنّ ما أنسد له من الشواهد الشعرية يحوز الغالبية في اللغة ثمّ في النحو والصرف ثمّ في البلاغة وما إلى ذلك.
- كثرة الشواهد الأدبية المنفردة بشعر الكمبت وعدم استيفاءها في قصائدها وتعدّل العثور على تلك القصائد في ديوانه تدل على ضياع حجم كبير من قصائده الشعرية التي لم تنته إليها أيدينا.
- إنه لا يمكن بسهولة الحكم بعد الشواهد الشعرية للكمبت كما لا يمكن مقارنته بالشعراء الآخرين من حيث الاستشهاد الأدبي إلا بدراسة مفصلة أخرى في غير هذا المقال وقد أحصينا على سبيل المثال في بحث آخر عدد الشواهد في قصيّته البابية من هاشميّاته «طربت وما شوقاً إلى ....» فتجاوز عددها ٦٠ شاهداً موزعة على يقرب من ٥٠ بيتاً من هذه القصيدة فحسب.
- ### المصادر والمراجع
- ١ - ابن إدريس الحلبي(٥٩٨ق) السرائر تحقيق: لجنة التحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقلم المشرفة الثانية ١٤١٠ .
  - ٢ - ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحوين البصريين والковزيين الأنباري دمشق: دار الفكر.
  - ٣ - ابن جي أبي الفتح الخصاخص تحقيق: محمد علي النجار بيروت: عالم الكتب.
  - ٤ - ابن حجر الإصابة تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معرض بيروت: دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٥ق.
  - ٥ - ابن حجر(٨٥٢ق) لسان الميزان ط٢ بيروت لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٣٩٠ - ١٩٧١م.
  - ٦ - ابن خلkan(٦٨١ق) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الرمان تحقيق: إحسان عباس بيروت لبنان: دار الثقافة.
  - ٧ - ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الاستيقاظ تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ط٢ القاهرة: مصر مكتبة الحاجي.
  - ٨ - ابن رشيق القميرواني الازدي أبو علي الحسن العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده (٤٥٦م) تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد ط١ القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع ٢٠٠٦ .

- ٩ - ابن سنان الخفاجي الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد(٤٦٦ق) سر الفصاحة بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨٢ م.
- ١٠ - ابن السكين الاهوازي(٢٤٤ق) ترتيب إصلاح المنطق ترتيب وتقديم وتعليق: الشيخ محمد حسن بكائي مشهد ايران مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة جمعم البحوث الإسلامية الأولى ١٤١٢ .
- ١١ - ابن سلام(٢٢٤ق) غريب الحديث تحقيق: محمد عبد المعيد خان بيروت: دار الكتاب العربي الأولى ١٣٨٤ .
- ١٢ - ابن سيده(٤٥٨م) أبو الحسن علي بن إسماعيل الحكم والمحيط الأعظم ج ١١ تحقيق عبد الحميد هنداوي بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ٢٠٠٠ .
- ١٣ - ابن سيده أبوالحسن علي بن إسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى المختص تحقيق: خليل إبراهيم جفال دار إحياء التراث العربى الأولى ١٤١٧ - ١٩٩٦ .
- ١٤ - ابن عطية الأندلسى المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزير تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد لبنان: دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٣ - ١٩٩٣ .
- ١٥ - ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي المهدانى المصرى (٧٦٩م) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة: دار التراث العشرون ١٤٠٠ - ١٩٨٠ .
- ١٦ - ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٣٩٩ - ١٩٧٩ .
- ١٧ - ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(٣٩٥ق) معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون مكتبة الإعلام الإسلامي ٤ .
- ١٨ - ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروي أدب الكاتب تحقيق: محمد محى الدين عبدالحميد الدينوري ط٤ مصر: المكتبة التجارية ١٩٦٣ .
- ١٩ - ابن قتيبة(٢٧٦ق) غريب الحديث تحقيق: دكتور عبد الله الجبورى قم: دار الكتب العلمية الأولى ١٤٠٨ .
- ٢٠ - ابن منظور محمد بن منظور الافريقي المصري لسان العرب ط١ بيروت: دار الصادر.

- ٢١ - ابن هشام الأنباري (٧٦١ق) معنى النبي، تحقيق وفصل وضبط: محمد محيي الدين عبد الحميد ايران قم: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى . ١٤٠٤
- ٢٢ - أبو هلال العسكري كتاب جمهرة الأمثال تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد الجيد قطامش ط ٢ دار الفكر ١٩٨٨ م.
- ٢٣ - الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد تمهيد اللغة تحقيق: محمد عوض مرعب بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي الأولى ٢٠٠١ م.
- ٢٤ - الأزهري المروي أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الزاهر في غريب ألفاظ الشافعى تحقيق: محمد جبر الألفي ط ١ كويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ١٣٩٩
- ٢٥ - الأستراباذى رضي الدين (٦٨٦ق) شرح الرضي على الكافية تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر طهران: مؤسسة الصادق جامعة قار بونس ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.
- ٢٦ - الأستراباذى رضي الدين (٦٨٦ق) شرح شافية ابن الحاجب تحقيق وضبط وشرح: محمد نور الحسن محمد الزرفاف محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت لبنان: دار الكتب العلمية ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م.
- ٢٧ - الأنباري جمال الدين عبد الله (٧٦١ق) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك دراسة وتحقيق: يوسف الشیخ محمد البقاعی دار الفكر للطباعة والنشر والتوزیع.
- ٢٨ - المرادي المالکی بدر الدین أبو محمد حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي (م ٧٤٩ق) توسيع المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر ط ١ دار الفكر العربي ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٢٩ - البغدادي (م ١٩٩٨) خزانة الأدب تحقيق: محمد نبيل طريفی وإمیل بدیع یعقوب بيروت: دار الكتب العلمية الأولى.
- ٣٠ - البكري أبو عبيد فصل المقال في شرح كتاب الأمثال تحقيق: إحسان عباس و عبد الجيد عابدين ط ٣ بيروت ١٩٨٣ م.
- ٣١ - الشعالي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الإعجاز والإيجاز بيروت لبنان: دار الغصون الثالثة ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م.
- ٣٢ - الثقفي إبراهيم بن محمد (٢٨٣ق) الغارات تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث طبع على طريقة أوفست في مطبع بكمن.

- ٣٢- الحاكم الحسکانی(٥٥م) شواهد التزیر تحقیق: الشیخ محمد باقر الحمودی طهران: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي وقم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية الأولى ١٤١١ - ١٩٩٠م.
- ٣٤- الجوھری(٣٩٣م) الصھاح تحقیق: احمد عبد الغفور العطار ط٤ بیروت لبنان: دار العلم للملائین ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م الأولى ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، القاهرۃ.
- ٣٥- الجوھری إسماعیل بن حماد الصھاح تاج اللغة وصھاح العربیة تحقیق: احمد عبد الغفور عطار بیروت: دار العلم للملائین، الرابعة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.
- ٣٦- حاجی خلیفۃ(٦٠١٩ق) کشف الظنون تحقیق: تصحیح وتعليق: محمد شرف الدین يالتقیا رفعت بیلگه الكلیسی بیروت Lebanon: دار إحياء التراث العربي.
- ٣٧- الخطیب القروینی(٧٣٩ق) الإیضاح فی علوم البلاغة دراسة وتحقیق: محمد عبد المنعم خفاجی ط٣ بیروت: دار الجیل.
- ٣٨- داود سلوم شعر الکمیت بن زید الأسلی ببغداد (شارع المتنی) مکتبة الأندرس مطبعة النعمان فی النجف. ١٩٦٩.
- ٣٩- الذہبی(٧٤٨ق) تاریخ الإسلام تحقیق: عمر عبد السلام تدمیری بیروت Lebanon: دار الكتاب العربي الأولى ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.
- ٤٠- الریبیدی(١٢٠٥م) تاج العروس بیروت Lebanon: دار الفكر للطبعۃ والنشر والتوزیع ١٤١٤ - ١٩٩٤.
- ٤١- الزرکلی خیر الدین الأعلام بیروت Lebanon: دار العلم للملائین الخامسة ایار - مايو ١٩٨٠.
- ٤٢- الرمخنثی جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (٥٣٨م) المفصل فی صنعة الإعراب تحقیق: علی بوملحہ ط١ بیروت: مکتبة الهلال ١٩٩٣م.
- ٤٣- الرمخنثی جار الله الفایق فی غریب الحديث بیروت: دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٧ - ١٩٩٦ م.
- ٤٤- السمعانی(٤٨٩م) تفسیر السمعانی تحقیق: یاسر بن ابراهیم و غنیم بن عباس بن غنیم الرياض: دار الوطن الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٧ م.
- ٤٥- السيد محسن الأمین أعيان الشیعة تحقیق وتخذیح: حسن الأمین بیروت Lebanon: دار التعارف للمطبوعات ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.

- ٤٦ - السيد المرتضى(٤٣٦ق) الأمالي السيد المرتضى تصحيح وتعليق: السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلى منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى الأولى ١٣٢٥ - ١٩٠٧ م.
- ٤٧ - الشريف الرضي(٤٠٦ق)، المجازات النبوية، تحقيق وشرح: طه محمد الزبيق، قم، منشورات مكتبة بصيرقى.
- ٤٨ - الشنقيطي(١٣٩٣ق) أصوات البيان تحقيق: مكتب البحوث والدراسات بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
- ٤٩ - الشيخ الصدوق(٣٨١ق) معانى الأخبار تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفارى مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسین بقم المشرفة ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش.
- ٥٠ - الشيخ عباس القمي(١٣٥٩ق) الكفى والألقاب طهران: مكتبة الصدر.
- ٥١ - الشيخ المفید(٤١٣ق) رسالة في معنى المولى تحقيق: الشيخ مهدي نجف بيروت لبنان: دار المفید للطباعة والنشر والتوزيع طبعت موافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفید الثانية ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.
- ٥٢ - الشيخ المفید الإفصاح تحقيق: مؤسسة البعثة، بيروت لبنان: دار المفید للطباعة والنشر والتوزيع طبعت موافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفید الثانية ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.
- ٥٣ - الشيخ المفید(٤١٣ق) أقسام المولى تحقيق: الشيخ مهدي نجف بيروت لبنان: دار المفید للطباعة والنشر والتوزيع طبعت موافقة اللجنة الخاصة المشرفة على المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفید الثانية ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.
- ٥٤ - الشيخ ناصر مكارم القواعد الفقهية مدرسة الإمام أمير المؤمنين (ع) الثالثة رمضان المبارك ١٤١١.
- ٥٥ - الصفدي(٧٦٤م) الراوی بالوفیات تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفی بيروت: دار إحياء التراث ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ م.
- ٥٦ - الطريحي فخر الدين(١٠٨٥م) تفسیر غریب القرآن تحقيق وتعليق: محمد کاظم الطريحي قم: انتشارات زاهدی.
- ٥٧ - عامر مهدي صالح البحث العروضي والبلاغي في لسان العرب مع معجم المصطلحات العروض والبلاغة.

- ٥٨ - علي أصغر مرواريد الينابيع الفقهية بيروت لبنان: دار التراث الدار الإسلامية فقه شيعه بعد از قرن هشتم الأولى ١٤١٠ - ١٩٩٠ م.
- ٥٩ - فاتحى نژاد عنایت الله، أمهات المصادر العربية: في الشعر والأدب واللغة والجغرافية طهران: سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاهها(سمت) چاپ اوّل هار ۱۳۷۷ ش.
- ٦٠ - الفراهيدى، (١٧٠ق) كتاب العين تحقيق: الدكتور مهدى المخزومي إبراهيم السامرائي مؤسسة دار الهجرة الثانية ١٤٠٩.
- ٦١ - القرطبي تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن) تحقيق: مصطفى السقا بيروت لبنان دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م.
- ٦٢ - الكميٰ بن زيد الأَسْدِيِّ ديوان الكميٰ بن زيد الأَسْدِيِّ جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريفي ط١ بيروت لبنان: دار صادر ٢٠٠٠ م.
- ٦٣ - المجلسى (١١١١) بحار الأنوار تحقيق: السيد هداية الله المسترحمى بيروت لبنان: مؤسسة الوفاء الثانية المصححة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.
- ٦٤ - مركز المعجم الفقهى المصطلحات.
- ٦٥ - المرزايانى أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى(م٣٨٤ق) الموسوعة في مآخذ العلماء على الشعرا ت تحقيق وتقديم: محمد حسين شمس الدين ط١ بيروت لبنان: دارالكتب العلمية ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
- ٦٦ - الميداني النيسابوري أبو الفضل أحمد بن محمد مجتمع الأمثال تحقيق: محمد مجى الدين عبد الحميد بيروت: دار المعرفة.
- ٦٧ - محى الدين الجنان مأمون الكميٰ بن زيد الأَسْدِيِّ الشاعر السياسي، ط١ بيروت لبنان: دارالكتب العلمية ١٤١٤ - ١٩٩٤ م.
- ٦٨ - نجيب عطوي علي الكميٰ بن زيد الأَسْدِيِّ بين العقيدة والسياسة ط١ بيروت لبنان: دار الأصواء ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م.
- ٦٩ - النحاس(٣٣٨ق) معانٰ القرآن تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني المملكة العربية السعودية جامعة أم القرى الأولى ١٤٠٩.
- ٧٠ - نوري ميرزا حسين مستدرک الوسائل ط١ قم: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث.

٧١ - النووي (٦٧٦ق) محيي الدين المجموع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع التكميلة الثانية.

### **المصادر الالكترونية**

٧٢ - ابن سلام ابو عبيد الامثال موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

٧٣ - ابن قتيبة الدينوري المعاني الكبير موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

٧٤ - ابن المعتر البديع موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>

٧٥ - الزمخشري حار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

٧٦ - سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الكتاب موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

٧٧ - الصاغاني العباب الزراجر موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

٧٨ - الفراهي عبد الحميد بن عبدالكريم الأنصارى (١٣٤٩ هـ ) مفردات القرآن شبكة التفسير

[www.tafsir.org](http://www.tafsir.org) و الدراسات القرآنية

## وقفات مع مذكرات بحّار محمد الفايز

\*الدكتور شاكر العامري

### الملخص

لإزال الشعر الكويتي المعاصر - بكثير من تفاصيله وخصوصياته - خافياً على كثير من العرب، فضلاً عن غيرهم. وما هذه المقالة إلا جانب من الجوانب الكثيرة للشعر الكويتي المعاصر الذي استطاع أن يخترق الحدود ويسافر إلى أنحاء كثيرة في المعمورة، بشكل عام، وفي البلاد العربية، بشكل خاص. تتناول المقالة قصيدة طويلة، أو بالأحرى، ملحمة شعرية، ولكنها غنائية، وهي (مذكرات بحّار)، لواحد من شعراء الكويت المعاصرين والمقترين، ألا وهو الشاعر محمد الفايز. تتناول المقالة تلك المذكرات بالعرض والتحليل فتفق في عدة مواضع ثم تتعرض لبعض الجوانب النقدية فيها فتناصر الفايز حيناً وتعارضه أحياناً وذلك في أسلوب يقوم على رصد المعاني واستقراء الأفكار.

الموضوع الذي تركّز عليه المذكرات هو الحياة اليومية للبحّار القديم الذي كان البحر مصدر رزقه فكان عليه أن يصارع أهواه. فقد ساير الفايزُ البحّارَ في رحلاته لصيد الأسماك بالغوص عليها ووصف أحاسيسه اتجاه مصاعب البحر وأخطاره وعاد معه إلى بيته فعرفنا بحالة عائلته المزرية والفقر الذي كانت تعانيه، فيما هو يحمل الترر والعيان للاخرين، الذين كانت عائلته أحقّ منهم بها.

المذكرات هي تجربة شعورية عامة حاول الفايز تحويلها إلى تجربة ذاتية عندما تقمص شخصية البحّار وكان الرواи لمذكراته، وظهرت معاناة الشاعر للتتجربة من خلال العروض التي قدمها الفايز لأحوال البحّار المختلفة بتفاصيلها الدقيقة. وقد استطاع الفايز توظيف العنصر العاطفي على أحسن وجه فنرى صدق العاطفة وقوّتها، إذ استعان بالعواطف الإنسانية العامة التي أكسبت مذكراته بعداً عالمياً وامتداداً بلا حدود، فليس في المذكرات عواطف أو مشاعر قومية أو إقليمية أو وطنية. وقد أكثر الفايز، من أجل رسم الصور المناسبة القرية من ذهن القارئ، أكثر من استعمال الأساليب البيانية، وخاصة الاستعارة المكنية والتشبّه المرسل والتشبّه البليغ. كما استعمل صيغ المتكلّم كثيراً في الأفعال والضمائر، لأنّه كان البحّار الرواي ولم يستعمل صيغ الغيبة إلا في مواضع نادرة.

**كلمات مفتاحية:** البحر، البحّار، السفينة، الأدب المعاصر، النقد، الفايز، الكويت.

\* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان، إيران.

لقيت المذكرات العشرون التي كتبها الشاعر الكويتي المرحوم محمد الفايز اهتماماً من قبل قراء الشعر ونقاده والمهتمين بالأدب. فقد خصّ صلاح دبشه كتابه "أحاديث المذكرة" : محمد الفايز .. الرؤية والممکن" لتحليل المذكرات ونقدها، كما كتب بعض المقالات حولها في الصحف والمحلات وشبكة الإنترنت. وقد انقسم النقاد إلى مؤيد للفايز مثمن على مذكراته وئالب منتقض منها ومتهما له بنحل بعض أفكارها. وما أتني لم أعتبر على المذكرات في كتاب ما لذا جئت إلى الإنترنت.

ولد الشاعر محمد الفايز العلي في الكويت عام ١٩٣٨م<sup>١</sup> ، أو عام ١٩٣٢م<sup>٢</sup> ، أو في العراق عام ١٩٣٨م<sup>٣</sup>. بدأ حياته العلمية من خلال (الملا) يتعلم القرآن الكريم والقراءة، وبدأ حياته الأدبية بكتابه القصة القصيرة، ثم انتقل إلى كتابة الشعر. وفي مطلع السبعينيات أصدر ديوانه الأول (مذكرات بحار) تحت اسم (سيزيف)، وعندما لاقى هذا الديوان إعجاب الكثير من الناس قام بنشره مرة أخرى باسمه الحقيقي (محمد الفايز)، حيث نال الشهرة الكبيرة والانتشار في الدول العربية، كما تُرجم إلى اللغة الفرنسية. عمل محرراً في مجلة الكويت، ومراقباً للتصوّص التمثيلي في التلفزيون، ومراقباً للتصوّص الأدبي في الإذاعة الكويتية، وأخيراً متفرغاً للبحث والقراءة والتراجم الشعرية. حاز على شهادة الإبداع الشعري والأدبي لجائزة (عبد العزيز البابطين) التي أقيمت في القاهرة، وقد نال المركز الأول فيها.

خلف الفايز أحد عشر ديواناً امتدت على مدى سبع وعشرين سنة، هي: مذكرات بحار - صدر عام ١٩٦٢ في طبعتين؛ النور من الداخل - صدر عام ١٩٦٤م؛ الطين والشمس - صدر في مايو ١٩٧٠م؛ رسوم النغم المفكـر - صدر عام ١٩٧٣م؛ بقايا الألواح - صدر عام ١٩٨٠م؛ ذاكرة الآفاق - صدر عام ١٩٨١م؛ لبنان والنواحي الأخرى - صدر عام ١٩٨١م؛ حداء الهودج - صدر عام ١٩٨٢م؛ خلانيبل فیروز - صدر عام ١٩٨٦م؛ الجموعة الشعرية - صدر عام ١٩٨٦م؛ تسقط الحرب - صدر عام ١٩٨٩م<sup>٤</sup>. وعلى الرغم من كل إبداعاته .. لم يتلفت إليه - على ما أعتقد - سوى اثنين .. الإعلامي الكويتي المحتجب عبدالله الحيلان صاحب البرنامج التلفزيوني والإذاعية في السبعينيات إلى بدايات الثمانينيات .. وذلك عندما استدعاه وصوّره وهو يلقي جزءاً من أشعاره على

١ صالح لبلي محمد أدباء وأديبات الكويت رابطة الأدباء في الكويت.

٢ مصطفى عطية جمعة موقع جريدة الرؤية: الثلاثاء. <http://www.arrouiah.com/node/94306>

٣ موقع تاريخ الكويت: <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٤ صالح لبلي محمد المصدر السابق ص ١٠٧ - ١٠٨ .

ضفاف شواطئ الكويت والفنانين عبدالعزيز المفرج (شادي الخليج) و سناء الخراز عندما غنّيا مجتمعين في أوبيريت يحمل إسم "مذكرات بحار" .. غنّيا فيه مقاطع من مذكّرته الأولى<sup>١</sup>. توفي الفاييز في ٢٧ / ٢ / ١٩٩١.

**هدف المقالة والفرضية:** تهدف هذه المقالة إلى تسلیط الضوء على بعض النقاط التي أثیرت حول مذکرات الفاییز محاولةً، مع قلة المصادر، أن تكون موضوعية في إصدار الأحكام ومفترضة أن المذکرات العشرين كانت عملاً شعرياً عما يرقى إلى الملحم الشعرية رغم الطعون التي قد توجه إليه، فهل كان حقاً كذلك؟

### التجربة الشعورية في المذکرات

لقد صور محمد الفاييز الإنسان في حياة البخار وما كان يتعرض له من ظلم وحرمان أروع تصوير، بل صور استضعفاه وما يقابلها من استكباره. وهنا يبرز سؤال منطقى هو أنّ الفاييز عاش في عصر النفط، وكتب الشعر في عصر الرفاه الاقتصادي والرخاء، فلماذا هذه العودة إلى الوراء، إلى الماضي الذي قلّما يتذكره أحد، اللهم إلا الشيوخ من الناس؟ الأديب سالم عباس خداده له رأي، حيث يقول: «أصبح الحنين إلى الماضي نوعاً من الرفض لمعطيات الحاضر السلبية، كما بدا الماضي، بشقاشه وسعادته، ملجاً تفتياً ظلاله روح الشاعر المغتربة في هذه المدينة...»<sup>٢</sup>.

أما الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد فيعزّو ذلك إلى قلق الشاعر وشعوره بالغربة والفقد في مجتمعه، ثم يقسم ذلك القلق إلى قسمين: قلق إنساني غايتها البحث عن خلاص للجماعة التي ينتهي إليها، وقلق ذاتي يبحث عن الخلاص الفردي، ثم المربّي بنفسه من «هذه الحياة الجديدة، حياة المدينة وما فيها من زيف ورياء وغرق»<sup>٣</sup>. ولكن هل كان الفاييز، حقاً، في (مذکرات بحار) هارباً؟ لقد نظر الفاييز بعين الناشر الملتهم الذي همه كلّ صغيرة وكبيرة في وطنه، نظر إلى المجتمع وإلى فقدان قيمة مهمة من القيم الإنسانية ألا وهي المسؤولية الإنسانية التي تحظى للإنسان دوراً تجاه كل شيء في الحياة؛ تجاه مجتمعه وأبناء جنسه، تجاه الطبيعة، تجاه ما يحسّه من أمان وما يملّكه من عافية، تجاه العيش الحاضر. هذه المسؤولية لا ترى انقطاعاً بين الماضي والحاضر، بل إنّ الحاضر هو نتاج طبيعي للماضي

١ انظر: منتديات سارة السعودية. <http://www.ksasara.com/vb/showthread.php?t=22612>

٢ صالح لبلى محمد المصدر السابق ص ١٠٩ .

٣ المصدر السابق ص ١١٠ .

الذي لو لم يكن عظيماً لما كان الحاضر كذلك. إذن لا بد لإنسان الكويت الجديد أن يعرف موضع قدمه وأين يقف. فالفاير لم يكن هارباً من مجتمعه، بل كان مصلحاً يهمه مستقبل المجتمع الذي يعيش فيه فضلاً عن حاضره فوجد طريق الخلاص بالعودة إلى الماضي تذكراً وتذكيراً، حيث «إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب»<sup>١</sup> و«فذكْر إن نعمت الذكرى»<sup>٢</sup>.

ولو دققنا النظر في المذكريات لوجدنا أنها تجربة شعورية عامة حاول الفايير تحويلها إلى تجربة ذاتية عندما تقمص شخصية البحار ليعيش في داخله آلامه وأحلامه، وأفراحه وأتراحه، مجسداً في آن واحد شكوكه الصامتة وما كان يتعرض له من الظلم والغبن، وليسير معه إلى بيته ليصف عواطفه إن حضر وعواطف أهله اتجاهه إن غاب مصارعاً أهوال البحر وأخطاره مع أصحاب جمعتهم هموم مشتركة. فالفاير لم يكن راوياً يتحدث عن البحار، بل كان ناطقاً بلسانه، في أكثر الأحيان. فالشاعر هو البحار الراوي لذكرياته في جميع حالاته، لذلك يحسّ القارئ بالمذكريات بذلك الاتحاد فلا يرى شاعراً في المذكريات، بل بحّاراً يروي بقلبه ومشاعره ذكريات عزيزة. والبحار الذي يتحرك في عشرين مذكرة هو الفايير بعينه، يتحرك في تجربة الإنسانية ولكن بعنوان آخر. الواقع أنّ الفايير كان يعيش بروحه وبكلّ جوارحه وعواطفه مع البحار رغم تشوش الأفكار وازدحامها وتكرر المعاني. وقد استفاد الفايير من ضمير المتكلّم دائمًا، إلا في مواضع نادرة كالحديث عن زوجة البحار.

أما موضوع تلك التجربة فهو حياة البحار التي حاول الفايير أن يعرضها بتفاصيلها. وقد ظهرت معاناة الشاعر للتجلّي من خلال العروض التي قدمها الفايير لأحوال البحار المختلفة بتفاصيلها الدقيقة. أما العنصر العاطفي الذي نراه متجلّياً على طول المذكريات وعرضها فقد استطاع الفايير توظيفه على أحسن وجه، حيث نجح الشاعر في جعل القارئ، ليس متعاطفاً مع البحار فحسب، بل كان يرى نفسه من خلاله شاعراً بمشاعره وذلك لما يلمسه من صدق العاطفة وقوتها. ولم يلحد الفايير إلى العواطف المحدودة في مذكّراته، بل استعان بالعواطف الإنسانية العامة التي أكسبت مذكّراته بعداً عالمياً وامتداداً بلا حدود، فلستنا نرى في المذكريات عواطف أو مشاعر قومية أو إقليمية أو حتى وطنية. يقول في المذكرة الخامسة:

عندِي القلائد والأساور للجواري والنساء  
من يشتري أُفراحَ بحّارٍ يعود مع المساء

١ سورة الزمر الآية ٢١.

٢ سورة الأعلى الآية ١٨.

من يشتري كلّ المخار  
من يشتري كلّ البحار؟  
 فهو يريد أنْ يبيع كلّ ما يملك وما كان حاصل كده وتعبه بعد رحلة عمل مضنية، فماذا يشتري  
بدلله؟

بعيون "طيبة" يا بحّار؟<sup>١</sup>

نعم، إنّها الحبيبة الغالية التي يريد الجدرى أخذها منه، فيا مالُ من بعد "طيبة" هنْ وبعدها لا كتَّ  
ولا تكُنْ.

### الأفكار والمعاني

تميز المذكريات العشرين للفايز بكوفنا أول محاولة للرج مدّى مذكرات البحار، أو قُلُّ، التاريخ البحري  
للكويت خاصة، والخليج عامة، على شكل شعر. أمّا من ناحية الموضوع فهي مسبوقة بقصصين لقاء  
البحريني جاسم القطامي الذي نشر قصصيه في أربعة أعداد شهرية بحلقة البعثة عام ١٩٤٨م، كانت  
الأولى بعنوان (مذكّرات بحّار) والثانية بعنوان (يوميات بحّار). أمّا من الناحية الشعرية فتحن ليس بين  
أيديينا سوى قصيدة الشاعر البحريني أحمد الخليفة التي ضمّها ديوانه الصادر عام ١٩٥٥ تحت عنوان  
(أنشودة الغوص).<sup>٢</sup>

وإذا نظرنا إلى الأفكار والمعاني التي حاول الفايز إيصالها إلى القارئ في إطار عاطفي لوجدنها  
واسعة بسعة حياة البحّار، ولكنّ أبرز ما نلاحظه في هذا المجال هو شعور البحّار بالغبن والظلم الذي لا  
تکاد مذكّرة تخلو منه. يبدأ ذكر ذلك الشعور في المذكرة الأولى، حيث يستفيد من أسلوب الاستفهام  
الإنكاري متسلّلاً:

أمسكتَ "مقلقة" المخار

في الفجر مرتاحاً لتكتمل القلادة

في عنقِ جاريةٍ تناهُ على وسادة

ريشيةٍ في حضن سيدها .. ورائحة المخار

بازارك البحري تعبقُ .. والبحار

١ منتديات سارة السعودية <http://www.ksasara.com/vb/showthread.php?t=22612>

٢ انظر: دبشه صلاح أحاديث المذكريات: محمد الفايز الرؤبة والممكن ص ٣٢ - ٣٣.

ملوءة درا سيملكه سواى

كحقول تلك الأرض .. يا دنيا العذاب

ما ذاق مرّك مثل بحار تقاذفه العباب<sup>١</sup>

فالفقر والمرض على الأرض والأخطار في البحار كلها تطارد البحار المسكين ليتملكه، في أثناء ذلك،

شعر قوي بالغبن:

والجوع والحدري في الأرض الحزينة

وترصد الأسماك للبحار في غرق السفينة

والموت في غرق أجل من البقاء

في عالم فيه مكان لابن آوى والقروود

إلا أنا<sup>٢</sup>

ويقول في المذكرة الحادية عشرة:

وشعرت بالحقد اللذid على الحياة، على الجميع، على المدينة<sup>٣</sup>

وهو، طيلة رحلاته المتكررة، لا يفارقها الشعور بالغبن وبالحيف فينوه بذلك صارخًا:

أيام كنت أعيش في الأعماق أبحث عن مهار

لقلادة لسوار حسناء ثرية

في الهند، في باريس، في الأرض القصبة

أيام كنت بلا مدينة

وبلا يد تحنو علي ولا خدينه

إلا حبالي والشراح

وبيدي المقرحة الأصابع والضياع

والريح وأسماك في القاع الرهيب

غرئي تطاردي بعالمها الغريب<sup>٤</sup>

١ <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٢ الفابر، المذكرة الأولى <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٣ الفابر المذكرة الأولى <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٤ الفابر المذكرة الثانية <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

ويصل ذلك الشعور إلى ذروته في آخر مقطع من آخر مذكرة "العشرين"، حيث يقول:

كفرتُ بشمسِ تضيءُ الكهوف  
وبيتي ظلامٌ .. كفيفُ البصر  
كفرتُ بأرضٍ .. لغيري الغلال  
ولي الشوك من ريعها والسهـر  
سلامٌ على .. نفحاتُ الخليج  
وإنْ كانَ للغـيرِ .. منهُ الدرر  
سلامٌ على الرملِ عند الصفافـ  
كمخدعٍ فجرٍ .. عليهِ إنـتحر<sup>١</sup>

ويذكر الفايبر ثلاثة أنواع من سفن الغوص ويتحدث عن فقره ومعاناته على الأرض وأنواع

الأهواـل في البحر غير ناسٍ شعوره بالظلم والبغـنـ، يقول:

أركـبتَ مثـلي "البومَ" و "السـنـبـوكَ" و "الـشـوـعـي" الـكـبـيرـ  
أرـفـعتَ أـشـرـعـةً أـمـامـ الـرـبـحـ فـي الـلـيلـ الضـرـيرـ<sup>٢</sup>

إنـ الفـايـبرـ لمـ يـخـاـلـ وـصـفـ حـالـاتـ الـبـحـارـ الـمـخـلـفـةـ وـيـصـوـرـ حـيـاتـهـ كـنـاظـرـ مـنـ الـخـارـجـ، بلـ كـشـاهـدـ عـيـانـ يـعـيـشـ مـعـهـ بـقـلـبـهـ وـكـافـةـ جـوـارـحـهـ، يـشارـكـهـ أـفـرـاحـهـ وـأـتـرـاحـهـ وـيـصـفـ ضـمـيرـهـ الصـامتـ. فـيـتـحـدـثـ عـنـ أحـلـامـ وـأـحـلـامـ رـفـاقـهـ وـعـنـ القـصـورـ وـمـعـهـ وـلـذـائـذـهـ الـمـتـوـعـةـ، ذـاكـراـ شـهـرـزـادـ وـأـلـفـ لـيـلـةـ وـلـيـلـةـ الـيـ

يـعـرـفـهـاـ كـثـيرـ مـنـ عـامـةـ النـاسـ، غـيـرـ نـاسـ مـاـ هـوـ عـلـيـهـ:

عـنـديـ حـكـيـاـتـ لـهـ مـنـ (أـلـفـ لـيـلـةـ)

مـنـ «ـشـهـرـزـادـ» وـلـيـلـهـ الـمـخـمـورـ. لـيـلـ الـحـالـاتـ  
الـشـارـبـاتـ الـمـاءـ مـنـ شـطـ النـجـومـ

مـثـلـ الـيـ كـانـتـ تـغـيـيـرـ لـلـغـيـوـمـ  
فـتـصـيـرـ نـارـاـ ثـمـ ثـمـطـرـ وـالـحـيـاةـ  
مـلـوـعـةـ بـالـسـحـرـ، حـيـثـ السـاحـرـاتـ  
قـدـ كـنـّـ رـبـاتـ الـبـيـوتـ الـعـامـرـاتـ

<sup>١</sup> منتديات سارة السعودية، <http://www.ksasara.com/vb/showthread.php?t=22612>

<sup>٢</sup> الفايبر المذكورة الأولى <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

ونظرُ خلْمٌ بالقصورِ وبالدهاليزِ الطويلة  
تلك التي قد صورَها شهرزادُ بالفَرْ ليلة  
والدوْدُ في بطني يُشارِكني غذائي والوجار  
حالٌ بلا قدرٍ. وأسماكُ البحار  
أكلتْ ونامتْ. والصحاب

يتحدثُون عنِ الموائدِ في القصور  
وعنِ التي كانتْ تُعطرُ خدرَها المسحورَ منْ أشهى العطور  
وعنِ الضفائرِ عندما تُطوى علىْ نهْدٍ وجيدٍ<sup>١</sup>

إنَّ البحار الفقير المسكين هو الذي يزيّن صدورَ الفتيات وأعنافهن وجيدُ امرأته عاطلٌ ويدها خالية:  
وتظلُ زوجته هناك بلا سوار  
وبلا قلادة

في بيتها الطينيَّ حالمَةٌ وحيدةٌ<sup>٢</sup>

ولم يكن البحار، رغم معاناته الكثيرة، لم يكن سلبياً فانطاً، بل كان متفائلاً مسؤولاً. يقول في المذكرة العاشرة:

أني أحادر أن أموت

لما أفكِر أن لي بيتأ ولِي فيه عيال  
لما أحسنَ بآن في الدنيا جمالٌ

وعندما يصف القمر مشبهَا إياه بتُور بعيد تارة وبسفينة بيضاء عالية الشّرّاع تارةً أخرى، لا ينسى الفايزة معاناة البحار في البحر وخوفه من العواصف وما تحمله من أحطاط فيتنّص حاله وتحوّل أحلامه إلى واقع مرير فيرفع يديه المرتعشتين إلى الملك الأبدى متضرعاً سائلاً لا يُنزل المطر الذي هو نعمة على الأرض ومعاناة في البحر. يقول:

وعلى سفينتنا القمر

يَضوي ولا يُعطي كُتُورٍ بعيدٍ

١ الفايزة المذكرة الثالثة <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٢ المصدر السابق.

٣ منتديات سارة السعودية / <http://www.ksasara.com/vb/showthread.php?t=22612>

سفينة يضاء عالية الشراع

أو مثل شبابك مضاء

تحت السماء

ونروح نستوحيه كالشعراء نشكّيه الهيام

حتى ننام

يارب يا ملكاً تعالي في السماء

يا أيها الأبدى يا نوراً نراه ولا نراه

دعنا ننم، وبلا غيوم

ودع القمر

يضوّي علينا والنجوم بلا مطر

رباه لا تُمطر علينا فالزوايا والرياح

تأتي مع المطر الذي يروي الأفاح

والتين والريتون في أرض «الغجر»

رباه إن الأرض تُزهر بالمطر

لكتنا سنضيع نحن وينطفئ ضوء القمر<sup>١</sup>

وهذه معاناة أخرى تضاف إلى ما يعنيه الغواص والبحار تحت الماء من أحطمار في طريق كثيرة المشاق،

بل يعتبر ما يلاقيه من ظلم وغبن من قبل بحّار السفينة الجشعين أمضّ وآلم على قلبه:

ونروح نقرأ بعض آيات الكتاب

فالموت في غرق عذاب

لكن بحّار السفينة هؤلاء يفضلون

موتي وموت الآخرين

وفناء كل الأرض. كل العالمين

كل الوجود . ولا يرون

أموالهم ثمّي لقاع البحر . بحّار البحر

أقصى علينا من رياح البحر والحوت الكبير

ونروح نلعنهم كما لعن الكتاب  
 «كفار مكة» والذي سجَّ السحاب  
 أحني علينا من جميع الناس. ياقمر السماء  
 عيناك أقوى من عيونهم المريضة...<sup>١</sup>

ويدخل الفاعيز إلى باطن البحار وذهنه ليصف لنا شعوره وأحساسه تجاه ما يدور حوله، ولكنها أحاسيس مشوهة بالحزن:

البحرُ أجمل ما يكون  
 لولا شعوري بالضياع  
 لولا هروبي من جفاف مدیني الظماءِ وخوفي  
 أن أموت<sup>٢</sup>

ويوثق الفاعيز لرحلات البحار فيذكر أنها اثنتان: صيفية وشتوية:  
 ها نحن عدنا نشد "المولو" على ظهر السفينة  
 من رحلة الصيف الحزينة  
 ها نحن عدنا للمدينة  
 ولسوف نبحر حين تمطر في الشتاء  
 فإلى اللقاء<sup>٣</sup>

ويذكر بعض ما يتعلق بأدوات الغوص فيذكر سفن الغوص كالسنبوك والبوم والشوعي، ومن حيوانات البحر الخطيرة يذكر اللحمة وسمك القرش والرمادي كما يذكر مقلقة الحار لفتحها واستخراج اللؤلؤ منها غير ناسٍ شعوره بالظلم. يقول:

أركبتَ مثلي "البوم" و "السنبوك" و "الشوعي" الكبير  
 أرفعتَ أشرعةً أمامَ الريح في الليلِ الضرير  
 هل ذقتَ زادي في المساءِ على حصير؟  
 من خلبة ماتتْ وما ماتَ العذابُ بقلبي الدامي الكسير

١ الفاعيز المذكورة الثالثة <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٢ الفاعيز المذكورة العاشرة <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٣ المصدر السابق.

أسمعت صوت "دجاجة" الأعماق تبحث عن غذاء؟  
 هل طاردتك "اللخمة" السوداء و"الدول" العنيف؟  
 وهل انزويت وراء هاتيك الصخور،  
 في القاع و"الرمادي" خلفك كالغفير  
 يترصد الغواص؟ هل دقت العذاب  
 مثلثي؟ وصارعت العباب،  
 أمسكت مفلقة المخار؟  
 في الفجر مرتاحاً لتكميل القلادة  
 في عنق جارية تنام على وسادة  
 ريشية في حضن سileyها؟ ...<sup>١</sup>

وذكر الفاييز نوعين أنواع المخار، هما الدين والسيب بقوله:  
 و"السيب" و"الدين" في كفي وألاف المخار  
 في القاع تُبرق باخضرار  
 كعيون عفريت يطارده النهار<sup>٢</sup>

وقد كرر الفاييز كلمة (النهام) كثيراً حتى لا تكاد مذكرة تخلو من ذكره، كأنه يريد أن يوحى بأنّ  
 النهام هو الشخصية الأظهر بين البحارة فقد كان المنفس عن هموم البحارة حين التعب والضجر يشدّ  
 عزائمهم بأغانيه المعبرة وصوته الصادح.

كما ذكر الفاييز أهم وأكبر أسواق اللؤلؤ القديمة، وهي أسواق الهندود. يقول ذاكراً حديثاً حول لؤلؤة  
 سوداء نادرة:

وسمعت دندنة التقويد وضحكة كصرير باب:  
 خذها فأسوق الهندود  
 هيئات تملّك مثلها. وكعيمة  
 سوداء تلعنها الجرار<sup>٣</sup>

١ الفاييز المذكورة الأولى <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٢ الفاييز المذكورة الثانية <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٣ الفاييز المذكورة الحادية عشرة <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

والشاعر يحبّ دائماً أن يؤكّد على ناحية اجتماعية مهمة في كفاح البحار المريض من أجل نفقة العيش .. وهو تصوير التناقض الكبير بين جهد البحار وعرقه وكده وما يقابل ذلك من محصول هزيل لا يتاسب مع ما بذله من عرق وتعرض له من أهواه، فيشكو وحدته في عالمه القاسي العنيف ووحدته ويتحدث عن أصابعه المقرحة من سحب حبال الشراع ويرى البحر قيراً بلا حد. يقول:

أيام كنت أعيش في الأعماق . أبحث عن محار

لقلادةٍ لسوارٍ حسناءٍ ثريةٍ

في الهند . في باريس . في الأرض القصبية

أيام كنت بلا مدينةٍ

وبلا يدٍ تحنو عليّ ولا خدينةٍ

الا جبالي والشارع

وبيدي المقرحة الأصابعِ والضياع

والريح . والأسماكُ في القاع الرهيب

غرئيُّ تُطاردِني بعلمه الغريب

عن عالمي القاسي العنيف

يا بحرُّ. ياقيراً بلا حديٍ. ويادنباً عجيبةٍ

أجتاز عالمها المحيفَ بروح بحّار كثيبةٍ<sup>١</sup>

ويذكر الفايز أسماء بعض النساء، فيذكر اسم "طيبة" واسم "أمينة" في مواضع متعددة من مذكراته، ولا نعرف بالضبط علاقة الفايز بهما، لكن الملفت للنظر أنه يتحدث إلى "أمينة" بصيغة المخاطب، بينما يتحدث عن "طيبة" بصيغة الغائب، لذا يمكننا التخمين بأنّ "المحاطبة" قد تكون زوجته أو أمّه أو أخته، و"الغائبة" قد تكون ابنته أو حبيبته. يقول:

ماتت من الجُدْري طيبةٌ

من يشتري كلَّ البحار؟

بعيون طيبة يا بحّار

ويقول في موضع آخر من المذكرة نفسها ذاكراً عيونها ومذكراً بتفاهة الحياة دون الأحبّة ومستسلماً للقضاء:

فيعيونُ "طيبةً" كل ما حوت الشموع  
والكل وهمُ والحياةُ إلى الفنانِ

ثم يستطرد ملتفتاً من الغيبة إلى الخطاب، يناديها حيناً باسمها وحينما آخر يدعوها بشهرزادى:  
ويا "طيبةً" الجميلة

عيناكَ تحت الأرضِ تُيرقُ لي كفانوسٍ بعيدٍ  
يُومي إلَيْهِ أكادُ المُس من هوَ عرقَ الصفيرة  
مذ كنتِ عند البئرِ تحت لظى الظهيرة  
يا قظرها الذهبيُّ يا كُحلَ العيونِ

يا طيبَ مبغرةٍ يُغازلني الدُخانِ  
فيها فتري من روائحها يضوِع  
يا حيقها الورديُّ ياصندوقها تحت الشموعِ  
وإضاءة الأهدافِ في الأختابِ من صُنعِ المندوبِ  
يا ثوتها يا ردهما المعطارِ حين تلفه لما أعودَ  
عطُرُ البنفسجِ تحت هديها وفي فمهما الورودِ

يا "شهرزادى" في البحارِ  
أروي حكايتها لروحيِ الوداع<sup>١</sup>

وهكذا نستطيع أن نستنتج من النصّ الفائق أن "طيبةً" كانت حبيبة البحارِ.

ويذكرها في الصباح عندما أحسنَ ببرودة نسيمه:

وذكرتُ "طيبةً" عندما انقضت ضلوعيِ  
اللحامة في الصباحِ

حق أكاد أشم رائحة الصفيرة والوشاح<sup>٢</sup>

ويذكر "أمينةً" في المذكرة الثامنة، معتبراً إياها مستمعة يحكي لها تفاصيل إحدى رحلاته:  
والريح أغرت السفينةَ والسماءَ  
حقدت علينا يا "أمينة"

١ الفاير المذكورة الخامسة <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٢ الفاير المذكورة الحادية عشرة <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

وَهِينَما يَسْتَطِرُدُ فِي حَدِيثِهِ يَخَاطِبُهَا قَائِلًا:

أَلْخَاتَهُ أَمْطَرُ السَّمَاءِ

وَذَكَرَتْ قَصَّةً مِنْ تَرَدَضَدَ طَاغِيَةٍ عَنِيدَ

فِي ذَلِكَ الْمَاضِيِّ الْبَعِيدِ

وَيَقُولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْمَذَكُورَةِ نَفْسَهَا ذَاكِرًا عَيْنِيهَا:

عَيْنَاكِ تَحْتَ ضَيَّاَهَا الْفَجْرِيُّ شُرَقٌ يَا "أُمِينَةٍ"

مِثْلُ الشَّمْوَعِ<sup>١</sup>

إِنَّ تَعْلُقَ الْبَحَارِ بِالْبَحْرِ وَارْتِبَاطُهُ بِهِ لَا يَنْفِي رَابِطَتِهِ الْقَوِيَّةِ بِالْأَرْضِ الْحَبِيبَةِ وَإِنْ كَانَتْ قَاحِلَةُ لَا زَرَعَ فِيهَا وَلَا ضَرَعَ، فَهِيَ مَوْطِنُ الْأَحَبَةِ وَفِيهَا تَرَكَ شَغَافُ قَلْبِهِ وَفَلَذَاتُ كَبْدِهِ. إِنَّمَا الْقَاعِدَةُ الَّتِي يَنْطَلِقُ مِنْهَا إِلَى مَتَاهَاتِ الْجَهَوْلِ مُتَقَلِّلاً بِالْوَعْدِ، وَإِلَيْهَا يَعُودُ مُحَمَّلاً بِالآمَالِ. وَمَا أَرْوَعُ تَعْبِيرُ الْفَابِرِ عَنْ تَلْكَ الْرَابِطَةِ الْقَوِيَّةِ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالصَّحَرَاءِ وَالْعَذَابِ الَّذِي يَتَحَمَّلُهُ الْبَحَارُ. يَقُولُ:

سَكَبُوا الدَّمَاءَ عَلَى الرِّمَالِ فَازْهَرَتْ

فَكَانَهَا بِعَطَائِهَا الْأَنْهَارُ

يَا أَيُّهَا الرَّمْلُ الْمَعْطُرُ بِالدَّمَاءِ

يَا مَوْطِنُ الصَّيَادِ وَالْبَحَارِ يَا خَبِيزًا وَمَاءً

.....

يَا أَنْجَمَ اللَّيلِ الْحَبِيبُ

لَا تَرْحِي تَلْكَ الْقَبُورُ

الْعَابِقَاتِ كَانَهَا وَاحَاتُ زَيْتُونٍ وَنُورٍ<sup>٢</sup>

وَيَصُورُ الْفَابِرُ عُودَةَ الْبَحَارِ لِلْأَهْلِ ذَاكِرًا النَّهَامَ وَيَصُورُ فَرَحةَ الْأَهْلِ بِاللَّقَاءِ:

"هَامَنَا" يَشَدُّو لِشَطَاطِنَ قَرِيبةِ

سَأَرِي بِسَاحِلِهَا الْحَبِيبَةِ:

عُدَنَا عَلَى ضَوءِ النَّجُومِ إِلَيْكَ يَا دَارَ الْحَبِيبَةِ

وَالرِّيحِ نَشَوِي وَالشَّرَاعُ كَانَهُ سَرْبُ الْحَمَامِ

١ الفابر المذكورة الثامنة . <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٢ الفابر المذكورة الخامسة . <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

سارٍ على صوت «النهام»  
 ويظل ينهم والسواحل من بعيد  
 تبدو لنا صفراء تعكسُ كل ما فينا من الشوقِ الشديد  
 وتُطلّ كثبانُ الرمال على الضفافِ الحالات  
 ونساؤنا المتحجبات  
 يضربن فوق دفوفهن كأنهن بيوم عيد  
 فرحُ اللقاءِ على الوجهِ وفي النور١  
**الأساليب التعبيرية**

من الواضح أنَّ الصورة الكلية التي حاول الفاييز رسماً بقلمه هي صورة البحار المناضل المُجاهد، والشديد العيُّد، والمظلوم المغبون الذي لا يتناسب ما بينه من عناء مع ما يجنيه من عطاء وما يتحمله من مخاطر وعدَّاب. أمّا الصور الجزئية فقد استعان الفاييز ببعض الأساليب التعبيرية لرسمها. فهو، ولغرض رسم صورة متعددة الأشكال والأحوال، أو بالأحرى، عرض فيلمٍ حيٍّ يصور البحار في حالة وترحاله وكافة حالاته النفسية، لابدّ له من استخدام بعض الأدوات والوسائل اللغوية. أهمُّ الوسائل اللغوية التي استخدمها الفاييز في مذكراته هي الوسائل البينية والبديع على مستوى أقلّ، كما استعان بالبحر الكامل كثيراً مما أتاح له مجالاً واسعاً للحركة. ولا نريد استقصاء تلك الأساليب البلاغية هنا، بل نذكر أدناه خلاصات منها:

١. التشبيه: مرسل، كقوله: الشمس تُشرق في الخمائِل كعروسةٍ شقراء.. وأبرقت كل العيون  
 كشموعٍ أقية المناجم كالجرحٍ الداميـات.. عندما انقضت ضلوعي كالحمامـة في الصباح..  
وبليغ، كقوله: والدنيـا هـار في عـين غـيري.
٢. الاستعارة: المكينة، كقوله: وأبرقت كل العيون.. طار الخيـال.. عندما انقضت ضلوعي..  
 وسمعت دنـنة النقـود.. والسمـاء خـراسـاء.. اللـيل الضـرـير.. وما مـات العـذـاب.. "دـجاجـة"  
 الأـعـماـق.. هل ذـقت العـذـاب.. وصارـعـت العـيـاب.. والمـصرـحة، كـقولـه: سـندـبـاد تـحـتـ المـيـاه..  
 سـقـراـطـ الحـزـينـ.
٣. الـبدـيع: التـفـريـقـ معـ الجـمعـ، كـقولـه: يا لـلـمـلـأـءـةـ وـالـعـبـاءـ غـيـمـتـانـ.. وـالـجـمـعـ وـالـتـفـريـقـ: قـبـرانـ لـيـ

وـلـقـلـيـ.. وـالـسـجـعـ: وـالـقـصـرـ تـحـتـ الفـجرـ.. وـالـمـقـابـلـةـ: عـنـديـ القـلـائـدـ وـالـأـسـاوـرـ لـلـجـوارـيـ وـالـنـسـاءـ..

وطباق الإيجاب: البحرُ يعرف ما الحرامُ من الحلال.. وطباق السلب: من نخلة ماتت وما مات العذاب.. والحصر: في عالم فيه مكان لابن آوى والقرود - إلَّا...<sup>٢</sup>

### بين البحار والسنديباد

لقد كان السنديباد بطل الأساطير السبع البحريّة في قصص ألف ليلة وليلة. والسنديباد بطل أسطوري وهميّ كان يبحث عن الثروة والمتّعة، أمّا بحّار الفابير فهو بطل حقيقّي ومناضل واقعيّ لا يبحث عن المتّعة أو اللذة، بل كان يناضل، فإذا كان بحّارنا كذلك، إذن: ماذا يكونُ السنديباد؟

شَتَانَ بَيْنَ خَيَالِ مَجْنُونٍ وَإِنْسَانٍ تَرَاهُ

يَطْوِي البحارَ عَلَى هُوَاهُ

بِحَمَالِهِ

بِشَرَاعِهِ

بِإِرَادَةٍ فَوْقَ الْغَيْوَمِ

رَجُلُ البحارِ عَلَى سَفِينَتِهِ وَفِي يَدِهِ مَنَارٌ

مِنْ نُورٍ عَيْنِيهِ يُضَاءُ كَمَا النَّهَارِ

وَالْجَهْدُ لِلِّاتِيَانِ فِي صَدْرِ الرِّجَالِ

لِسَفِينَيْهِ رَجَعَتْ كَأَنَّ شَرَاعَهَا الْعَالِيُّ هَلَالٌ

وَالسُّورُ<sup>١</sup> تَحْتَ الشَّمْسِ يَبْرُقُ كَالسُّورَ

فِي جَيْبِ حَسَنَاءِ يَبْارِكُهَا النَّهَارُ<sup>٢</sup>

لَكَنَّهُ يَعُودُ وَيَذَّكِرُ السنديباد مشبّهًا الغواص الباحث عن البحار في أعماق البحر به ولكن ليس في إطار التشبيه، بل في إطار الاستعارة المترّحة، وذلك في المذكرة السابعة ضمن مشهد مأساوي ضمّ البحّارة وسقراط الحزين:

قَبْرٌ بِلَا حَدِيدٍ. عُرَاهٌ يَغْرِلُونَ

<sup>١</sup> هو سور الكويت القديم.

<sup>٢</sup> الفابير المذكورة الأولى <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

إكليل عُرسٍ. سندباد

تحت الماء يعيش كالأسماك. سقراط الحزبين

<sup>١</sup> والكأس والقمر الجميل<sup>١</sup>

وفي المذكورة التاسعة عشرة يتذكر البحار سفرات قام بها إلى مناطق متعددة، فيذكرنا برحلات السندباد. يقول:

في كل أمسية وراء جدار مسجدنا الكبير

يتحرّك الماضي بنا وينوب عالمنا الجديد

وتطل من شُرف الخيال المشرّب<sup>٢</sup> إلى البعيد

ذكرى البحار وما تناثر في سواحلها من المدن الكبيرة

"نباي" والسوق الكبيرة

ولحي الهنود

وهواء "دارين" الجميلة والفواكه والورود

بحقوطا الخضراء .. و"اليمن" السعيد

وما تناثر في سواحلها من السفن الكبيرة والضباب

والعاملات السحر في الغار البعيد "بحضرموت"

والفيل حين يعود من غاباته في "زنبار"

وزنوج "أفريقيا" الحزينة والتماسيح الحزينة

ومقاهي العشاق في أقصى الجنوب

وضحى "المكلا" حيث يعيق بالعطور وبالنساء

العائدات من الحقول<sup>٢</sup>

## الموسيقى والأسلوب

١. الوحدة العضوية للقصيدة، حيث حاول الفائز في قصائده العشرين أن يرسم ملحمة واحدة

١ القابر المذكورة السابعة <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٢ منتديات سارة السعودية <http://www.ksasara.com/vb/showthread.php?t=22612>

للغوص متعددة الجوانب والحوادث تصب في موضوع واحد رغم تعدّ المعانٍ والأفكار.

٢. «إن المذكّرات العشرين التي ضمّها ديوان الفايز رنت إلى الملحمية رغم أنها - من الأساس - شعر غنائي، وذلك بسبب بنيتها الفنية البسيطة إيقاعاً وتصويراً، وما تحفل به من تكرار دلالات معينة يعمق توكيدها الإحساس الجمعي، ثم تشكّل صورة أسطورية لهذا البحار الذي يكاد يجمع في إهابه روح المجتمع. وندرك - رغم تنوع المذكّرات في زوايا جزئية - أننا أمام حكاية واحدة امتدت في الزمان والأمكنة...»<sup>١</sup>.

٣. إن بصمات السياب تبدو واضحة على المذكّرات خاصة، إضافة إلى غيرها من نصوص الشعراء الآخرين، حيث يستنتج إبراهيم عبدالرحمن من تحليله للمذكّرات أن الكلمة الأولى في شعر الكويت الحديث (شعر التفعيلة) هي للسياب، سواء في لغته أو صوره أو رمزه.

أما الدكتور سالم عباس خداده فيضيف شاعراً عراقياً آخر إلى السياب تأثر به الفايز هو عبدالوهاب البياتي، ومثل ذلك بالشواهد التالية:

«يقول السياب: الموتُ أقرب ما يكون

البحرُ أوسع ما يكون

ويقول الفايز: الموتُ أقرب ما يكون

البحرُ أحجل ما يكون

يقول السياب: ويَا مصباحَ قلبي

ويقول الفايز: قلبٌ كمِصباحٍ يشعُّ على الجميع

يقول البياتي: قولي له: مات العبير

ويقول الفايز: الشمْسُ في عينيه ماتتْ مثِلَّماً ماتَ العبير<sup>٢</sup>.

ويضيف سالم عباس إلى شواهد تلك مواضع أخرى شاهد فيها تشابهاً بين السياب والبياتي من جهة، والفايز من جهة أخرى كطريقة التشبيه في تأثير المشبه عن المشبه به، واستخدام الكاف كأداة للتشبيه، أو في تكرار لفظة بعينها على طول القصيدة. فقد قام الفايز بتكرار كلمة (غجر) في قصيده (الغجر ومدينة البحار)، تماماً كما فعل السياب في قصيدة (المطر) الشهيرة التي كرر فيها كلمة (مطر)

<sup>١</sup> الدابة فايز النواخذة وتدخل الأنواع الأدبية مجلة الكويت العدد ٢٠١ ص ٣٧.

<sup>٢</sup> دبشه ص ٣٤.

كثيراً . كما أنّ ماهر حسن فهمي يرى أنّ الفايير قد تبع السياق والقصبي<sup>١</sup> في المراوحة بين التفعيلة والعمود، فيما لاحظت سعاد عبد الوهاب الخسارة بريق الشهرة عن الفايير رغم تتبع دواوينه . واعتبر سالم عباس أنّ ميل الفايير هو لعمود الشعر، أو نظام الشطرين – كما أسماه – لو لا مذكرات بحار لكن ذلك الميل هو الطابع الغالب على شعره، تدلّ على ذلك تجاريه الشعرية اللاحقة<sup>٢</sup> .

٤ . رأى عدد من النقاد أنّ الفايير نجح في (مذكرات بحار) . ومن أولئك النقاد نورية الرومي التي قررت أنّ الفايير أجاد في استخدام وسائله الفنية في الرمز إلى المشاكل الاجتماعية للبحار، وسعاد عبد الوهاب التي لا حظت نجاح الفايير في تصوير حياة البحار ومدينة الكويت خاصة، وسامع عباس الذي يرى نجاح الفايير في تصوير بيئتي الغوص والسفر، ولكنه يعود وينعى على الفايير تكفه مضمون المذكرين الثالثة عشرة والسابعة عشرة، وقرر غياب الجانب الإنساني في قول الفايير الآتي من مذكراته الثالثة عشرة:

وريفينا "الهندي"<sup>٣</sup> ماتَ ورِيَّماً أَكْلَتُهُ أَسْمَاكُ الْبِحَار  
في الليلِ وابتسمَ الجمِيع

ويتساءل عن سبب التبسم، وهل أنّ الهندي المسكين لم يكن إنساناً يستحق ولو قليلاً من الحزن؟<sup>٤</sup> .

(١) غازي بن عبد الرحمن القصبي (٢ مارس ١٩٤٠ - ١٥ أغسطس ٢٠١٠)، وزير العمل السعودي (٢٠٠٥ - ٢٠١٠) وتولى قبلها ثلاثة وزارات هي (الصناعة - الصحة - المياه) كما تولى عدد من المناصب الأخرى، قضى القصبي في الأحساء سنوات عمره الأولى. انتقل بعدها إلى المنامة بالبحرين ليدرس فيها مراحل التعليم. نال ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة ثم حصل على درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جنوب كاليفورنيا، أما الدكتوراه فهي العلاقات الدولية من جامعة لندن والتي كانت رسالته فيها حول اليمن كما أوضح ذلك في كتابه الشهير "حياة في الإدارة". القصبي شاعر نفليدي وله محاولات في فن الرواية والقصة، مثل (شقة الحرية) و(دندركر) وأبو شلاخ البرمائي) و(العصافيرية) و(سبعة) و(سعادة السفير) و(الجنتة). أما في الشعر فلديه دواوين (معركة بلا رابية) و(أسعار من جزائر المؤلوك) و(للسنةداء) و{ حدائق الغروب }. له إسهامات صحافية متعددة أشهرها سلسلة مقالات (في عين العاصفة) التي نشرت في جريدة الشرق الأوسط إبان حرب الخليج الثانية كما أن له مؤلفات أخرى في التنمية والسياسة وغيرها منها (التنمية، الأسئلة الكبرى) و(عن هنا وذاك) و(باي باي لندن ومقالات أخرى) و(الأسطورة، ديانا) و (أقوالى الغير مأثورة) [هكذا ورد النص الأصلي] و(نورة في السنة النبوية) و(حتى لا تكون فتنة). (http://galgoosaibi.com/about\_us.html)

٢ انظر: ديشنة ص ٣٤ - ٣٥.

٣ انظر: المصدر السابق ص ٣٨.

وفي الوقت الذي يعترف فيه صلاح دبّشة بمشروعية ذلك التساؤل، يحاول تبرير موقف الفايز. وذلك في محاولته تصوير مفارقة حدثت فوق سفينة البحّار، مفادها أنّه كان هناك هنديًّا مع البحارة يعمل فوق ظهر السفينة سقط، أو رمى بنفسه، في البحر في ليل عاصف. وتجتمع البحارة لإنقاذه ولكنَّ الظلام حال بينهم وبين ذلك، وفي تلك اللّيالِي سمعوا صوت استغاثة من داخل البحر فالقى البحّار بنفسه في الماء وأنقذ الغريق، حيث تبيّن، في الصباح، أنَّ اسمه حسين ولم يكن هنديًّا، ففضحَ الجميع لتلك المفارقة.

قد يبدو الأمر طبيعياً نوعاً ما، خاصة مع الأخذ بنظر الاعتبار (شرّ البلية ما يُضحك)، ولكنَّ الأسلوب الذي اتبّعه الفايز في تصوير تلك المفارقة، وليس في سردها، لم يكن موافقاً، حيث رصف مشهد الموت المأساوي لمن ممات في البحر أو على ظهر سفينة فيؤول إلى طعمة ساعنة لأسماك البحر المفترسة، إذ لا يملك الإنسان إلا أن يتصرّف بذلك المشهد الخزي لأسماك جارحة جائعة وهي تنهمش جسد ذلك الإنسان، رصف ذلك المشهد إلى جانب مشهد البحارة وهي يضحكون!

٥. وفي الجانب العروضيّ، أشار صلاح دبّشة إلى بعض الإشكالات التي استعصى عليه حلّها أو تبريرها، وقد كان محقاً في الإشارة إلى مثل تلك الإشكالات، ولكنني إذ أواقفه في أربعة مواضع من الموضع الخامسة التي أشار إليها: الأول، والثاني، والرابع، والخامس، لا أواقفه في الموضع الثالث، حيث وزنه صحيح خالٍ من الوقص الذي حدث في بقية الموضع، وهو: (مُتفاعلُن - مُتفاعلُن - مُتفاعلُن - مُتفاعلُن). وهذه هي الموضع التي أشار إليها صلاح دبّشة بقوله: «بجد أَنَّ كلمة (أمس) تُحدث زحافاً كلَّ مرّة تأتي فيها»<sup>١</sup>:

- |  |  |
|--|--|
| ١ - غنيتُ أمسِ للعيون وللورود على النهود<br>(المذكرة الخامسة)    | ٢ - غنيتُ أمسِ للشفاء وللضفيرة والخدود<br>(المذكرة الخامسة)        |
| ٣ - غنيتُ أمسِ لمن أحبّ وهمتُ في ليل البحار<br>(المذكرة الخامسة) | ٤ - أمسِ رسّلنا والرحيل غداً . وما لي من رجوع<br>(المذكرة الخامسة) |
| ٥ - أمسِ كرهتُ الليلَ وهو لظيٌّ ونار<br>(المذكرة التاسعة)        |  |

٦. تفتقد المذكرات العشرون للفايز التسلسل الموضوعي، اللهم إلا في البداية والنهاية، حيث اشتغلت المذكرة الأولى على الركوب الأول للسفينة، واشتملت المذكرة العشرون على التزول منها إلى اليابسة للأبد، والمحور الذي يجمع تلك المذكرات هو (حياة البحّار) التي جاءت مبعثرة المواضيع

والموافق والأحسيس المشاعر دونما تسلسل زمني أو منطقي، تماماً كالمذكرات التي ترد على الماطر دونما نظم أو ترتيب، وهذا ما تدل عليه أحداث المذكورة التاسعة مقارنة بأحداث المذكورة الثامنة عشرة، حيث يمحكي الفاييز حزن البحار بموت الحبيبة في المذكورة الأولى والفرح بلقاءها في الثانية.<sup>١</sup>

٧. استخدم الفاييز، كالسياب وغيره من شعراء التفعيلة، استخدم بعض الرموز التاريخية من قبيل عنتر(ة)، والشمرى، والستباد، والتتار ونوح وخفرع والترك والألمان وشهرزاد وسقراط والهنود وكفار مكة. كما أشار إلى بعض المدن والمناطق الجغرافية، مثل سديوم وروما وأسطنبول و"عيابي" والهند وباريص وغار حراء.

٨. استخدم الفاييز كلمة (التتار) رمزاً للأعداء والمعتدين والظلمة. يقول:

مات "التتار"  
يا أحقر الأبطال قد مات "التتار"<sup>٢</sup>

٩. لا يكتفي الفاييز بالتذكير بالواقع المريض في الماضي لتتم مقارنة الحاضر به لا شعورياً، أضاف إلى ذلك صمود الشعب الكوري ونضاله ضدّ الغزاة الطامعين والمستعمرين الظالمين بسرد ذكريات والده مرّة، ومحكايتها هو مرّة أخرى:

... فالغراة

ملأوا الصحرار والوهاد

مثل الجراد

والفجر أقوى من كهوفهم العميقه . والحياة

والمجد للإنسان . فاصدح يا هزار

هرِم "التتار"<sup>٣</sup>

١٠. الفاييز - كما يقرر سالم عباس - كثير الحذف والإضافة لنصوصه، وخاصة في ديوان (الtower من الداخل)، تماماً كما فعل أدونيس في الطبعة الخامسة لديوانه، معتبراً ذلك عملاً مشروعًا للشاعر يصبّ في جمل حركته نحو ما يصبو لتحقيقه أو الوصول إليه، وهو عمل لا يؤثر على جوهر الشعر لدى الشاعر، بل يعتبره عملاً تكاملياً.

١ انظر: ديشة ص ٤١.

٢ الفاييز المذكورة السادسة <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٣ المذكورة السادسة <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

ويرد صلاح دبّشة رأي أدونيس ذاك لأسباب، منها أن التكامل لدى الشاعر لا يتم من خلال التموقع على نص قديم، بل يكون من خلال حركته إلى الأمام وخلق نصوص جديدة. ومنها أن النصّ الشعري يُعتبر شاهداً على مرحلته الزمنية، وكثرة التعديل فيه تسرب منه تلك الخاصية. ومنها أن نظرة الإنسان للأشياء قد تتفق أو لا تتفق مع الآخرين أو تختلف باختلاف الزمن والتجربة والظروف والحالات، لذلك لا يمكن للشاعر ضمان ثبات بنائه النفسي والداخلي.<sup>١</sup>

١١. الكامل هو أكثر البحوث حضوراً في مذكرات الفايز البحري، حيث امتدت تعليمه الأصلية (مُتقناً عُلّن) وجوازها من الزحافات والعلل على مدى تسع عشرة مذكرة، وشدّت المذكرة العشرون، حيث مازج فيها الفايز بين التفعيلة والعمود مستفيداً من الرجز لشعر التفعيلة، بينما استفاد من المتقارب في عموده الشعري.<sup>٢</sup>

إنّ اعتماد القصيدة على تفعيلة واحدة فقط يُشعر القارئ – كما يقرّ سالم عباس – بالرتابة والملل، ولكنّ الاستفادة من جواز تلك التفعيلة والتلاعيب بالأسطر طولاً وقصراً يكسر ذلك الملل ويزيل تلك الرتابة، وليس ذلك من حيل الشعراء – كما وهم سالم عباس – بل هو من خصائص الشعر العربي بالنسبة للتفعيلة وجوازها – كما أرى – لأنّ البحر الشعري، أو التفعيلة، متأخّران عن الشعر نفسه، أي أنّ تقسيم الشعر إلى تفعيلات وبجور وتمرير جوازات كل تفعيلة هو متأخّر أولاً وعمل وصفيّ وليس تقريراً ثانياً، تماماً كالنحو والصرف وعلوم اللغة الأخرى التي لا تصنع اللغة، بل تحاول اكتشاف القوانين التي تتنظمها وإذا عجزت في وقت ما عن ذلك قالت إنّ ذلك شاذ أو استثناء أو غير ذلك من التبريرات. ويرى صلاح دبّشة أنّ الكلمة وانسجامها مع الكلمات الأخرى أو تميّزها بميزات جمالية أو صيغ صرفية أو قيم بلاغية، كل ذلك من أهمّ عوامل استخدام جوازات التفعيلة التي تأتي عفواً وبطريقة انسانية. أمّا طول السطر وقصره في شعر التفعيلة فهو من أهمّ ما يميّزه عن الشعر العمودي من الخصوصيات وهو سبب تسميته بالشعر الحرّ في مقابل العمود الخليلي المقيد بعدد ثابت من التفعيلات.

١٢. كثيراً ما استفاد الفايز في مذكراته من التضمين الذي هو كسر الجملة العربية، بفضل المتلازمين، كالمبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل... إلخ، كأن يكون أحدهما في سطر الآخر في السطر التالي، وهو غير التدوير الذي هو توزيع الكلمة على تفعيلتين؛ الأخيرة من الشطر الأول، والأولى من

١ انظر: دبّشة ص ٤٤ - ٤٥.

٢ انظر: المصدر السابق ص ٤٩ - ٥٠.

الشطر الثاني، وليس هو تكسير لـ«التفعيلة»، بل هو على العكس كسر الكلمة محافظةً على الوزن<sup>١</sup>. إذن التضمين كسر للجملة، والتدوير كسر للكلمة، وقد أصبح التضمين صفةً مميزةً لـ«شعر الفايز»، وخاصةً في مذكّراته، حيث يقول في مذكّرته الثالثة:

مثلَّ التي كانتْ تُغَيِّي لـ«الغيوم»  
فتُصْبِرُ ناراً ثمَّ تُقْطِرُ. والحياة  
مملوَّةٌ بالسحرِ. حيثُ الساحراتُ  
قد كَنَّ رِبَّاتِ الْبَيْوتِ الْعَامِرَاتِ.

واللَّوْدُ فِي بَطْنِ يَشَارِكِي غَذَائِي. وَالوَجَارُ  
خَالٍ بِلَا قِنْرٍ. وَأَسْمَاكُ الْبَحَارِ  
أَكَلَتْ وَنَامَتْ. وَالصَّحَابُ  
يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْمَوَائِدِ فِي الْقَصُورِ<sup>٢</sup>

والتضمين، وإن كان من السمات البارزة لـ«شعر التفعيلة»، إلا أنه لا ينبغي الإكثار منه، لأنّه يؤدّي إلى الملل من كثرة التوقف في الجمل المكسّرة وإلى اضطرار القارئ ربط مقام الشاعر بـ«حلّه»، وهذا ما أراده سالم عباس بقوله: «هذا التضمين يقترب أحياناً من مجال العيب الذي أحذه القدماء على الشعراء، وذلك حين يذهب هذا الشاعر [الفائز] إلى توزيع معانيه على جمل لحنية تقف فيها القافية موقف المشتّت والممزق لـ«ذلك المعنى»»<sup>٣</sup>.

وإذا سلّمنا بأنّ الشعر الحديث يعتبر القصيدة كلاً واحداً، أي وحدة القصيدة في مقابل وحدة البيت، عرفنا أنّ التضمين هو إحدى الوسائل للربط بين أسطر القصيدة شكلاً ومعنىً. ولكن ذلك غير صحيح بشكل كامل، على الأقل بالنسبة للشعر العربي، لأنّ التضمين وإن كان لا يشتّت المعنى إلا أنه يشتّت الذهن الذي يتلقى ذلك المعنى. وهو وإن لم يمزق الصورة الشعرية، إلا أنه يمزق إدراك المتلقى لتلك الصورة<sup>٤</sup>.

١ دبّشة ص ٩٠ - ٩١

٢ <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

٣ دبّشة ص ٥٣

٤ انظر: المصدر السابق ص ٥٥

وهناك نقطة مهمة يحسّها القارئ لأسطر يكثر فيها التضمين وهي أنّ القارئ عندما ينتهي من قراءة سطر يحوي كلمة مقطوعة في آخره من جملة يجب أن يبحث عن تكملتها في السطر التالي فكتّابه يحسّ أنّه يسبح في اللاحافية حتى يتلّه السطر الثاني بشدة يحسّ معها إنّ أضلاعه تنضغط أو أنّ خانقه قد ضاق. ومع تكرار هذا الأمر عدة مرات في القصيدة يصاب ذهن القارئ بالتعب ويفقد القدرة على تجميع شتات الموضوع الذي تبعثر بين الأسطر، وهذا يظهر بشكل حاد لو كان الشاعر يلقي قصيدة على مستمعين.

١٣. إنّ الأسلوب القصصي الذي يستدعي حيناً حواراً ما ويستدعي حيناً آخر تفصيلاً قد أدى إلى أن يلجاً الفاعز، أو يضطرّ إلى، النشرة التي هي عكس الشاعرية وتقرب كثيراً من المباشرة التي هي من مستلزمات السرد القصصي. وقد اختلف الدارسون للمذَّكَرات في الموضع التي استخدم فيها الفاعز النشرة أو وقع فيها. وفي الوقت الذي عدّ بعضهم مقطعاً ما من المذَّكَرات أنه مغرق في النشرة عده آخرون قمة في الشاعرية. كما أنّ الأسلوب السرديّ الذي اتبّعه الفاعز في مذَّكَراته وعدم وجود التسلسل الموضوعي فيها أوقعه في التكرار، وهو أمر طبيعي تبعاً لذلك. ولعلّ ما أشار إليه الدكتور جابر العصفور من أنّ الفاعز يكمن في داخله كاتب قصة نشر بين سنتي ١٩٦٣ - ١٩٦٧ زهاء ست وثلاثين قصة<sup>١</sup>، لعل ذلك مما يوفر سبباً مقنعاً للنشرة التي وقع فيها الفاعز.

والنشرة، التي يسمّيها عبدالله الغذامي بـ(الجملة الصوتية المقيدة)، يعرّفها بقوله: «إما خبر منظوم وكلام عدل الكاتب عن أن يقوله متّهراً في رسالة أو في خطاب إلى أن يقوله منظوماً على وزن شعري»<sup>٢</sup>.

ويلتمس صلاح العذر للفاعز في النشرة عندما احتمل أنّ الفاعز في جلوئه إلى المباشرة في مذَّكَراته قد لمس فيها «نبضات شعرية» تعكس في ذاته، ولم يستطع دارسو شعره لمس تلك النبضات بأدواتهم الحالية وقد يحتاج لمسها أو اكتشافها إلى أدوات أكثر فاعلية لا تتوفر الآن، ويستنتج أنّنا لا نستطيع الجزم في وقوع الفاعز في النشرة المزعومة<sup>٣</sup>.

١٤. إنّ مذَّكَرات الفاعز «ترتكز بإفراط على مجموعة معينة من الكلمات: البحر، الأرض، الليل،

<sup>١</sup> انظر: دبّشة ص ٦٢.

<sup>٢</sup> المصدر السابق.

<sup>٣</sup> دبّشة ص ٦٣.

النهار، العذاب، الرمال...»<sup>١</sup>. إن تلك الكلمات قد تكررت بالفاظها ومعانيها بكثرة كاثرة. إن الإفراط في تكرار كلمات بلقطها ومعناها يضعف المعنى ويحرم القارئ من معانٍ جديدة. وليس التكرار في ذاته مذموماً على الإطلاق، بل إن المذموم فيه الإفراط، ولا بأس بتكرار الألفاظ دون المعانٍ، أو تكرار الكلمات باختلاف السياقات، بل إن ذلك مما يضفي روحًا جديدة على النص الشعري ويزوّده معانٍ مبتكرة وصور رائعة، وخاصة تكرار التراكيب اللغوية بالشكل السالف. وإنما نقول: إن الفائز أكثر من تكرار بعض الأحرف في مذكراته تكرار حرف الكاف للتشبّه، وكثير بعض الكلمات، كما مرّ أعلاه، وكثير بعض التراكيب اللغوية مثل (ماذا أقصّ لكم) أو (غنيتُ أمس)، كما تكررت صور شعرية إضافة لتكرار مقطع بعينه من المذكورة الثانية في المذكورة الحادية عشرة، وهو:

في بيته الطيني حملة وحيدة

سيعود ثانية بـلؤلة فريدة

يا جاري سيعود بحاري المغامر

سيعود من دنيا المخاطر

ولسوف تُغرقني هداياء الكثيرة

العطُر والأحجار والماء المعطر والبخور

وللقاؤه لما يعود كأنه بـدر البدور<sup>٢</sup>

#### الخاتمة

في نهاية المقالة يمكننا تسجيل بعض النتائج، فنقول إن الفائز لم يكن هارباً من مجتمعه، بل كان مصلحاً يهمه مستقبل المجتمع الذي يعيش فيه فضلاً عن حاضره فكان يتحرّق ألمًا وهو يرى واقع المجتمع الكويتي، حيث ميعان الشباب وانتشار مظاهر الترف والإسراف والتبذير، بينما عان الآباء والأجداد شظف العيش وقسوة الحياة، فوجد طريق الخلاص بالعودة إلى الماضي تذكراً وتذكيراً متخدلاً من البخار رمزاً لتلك العودة.

وقد كان الفائز شاعراً ملتزماً كلّ صغيرة وكبيرة في وطنه وكان يرى فقدان الشعور بالمسؤولية الإنسانية التي تتحمّل للإنسان دوراً تجاه كل شيء في الحياة ولا ترى انقطاعاً بين الماضي

١ المصدر السابق ص ٦٩.

٢ <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>

والحاضر، فرفض الواقع ليطرح البديل ولكن بشكل غير مباشر. أمّا بالنسبة للأفكار التي وردت في المذكرات فإنه لا يوجد بين أكثر الأفكار المطروحة في أكثر المذكرات تسلسل منطقى وقد تكرر كثير منها. فقد تكرر شعور البحار بالغبن والظلم كثيراً في المذكرات، وتکاد لا تخلي مذكرة من ذلك الشعور.

المذكرات هي تجربة شعورية عامة حاول الفايز تحويلها إلى تجربة ذاتية عندما تقمص شخصية البحار وكان الرواى لمذكراته، وظهرت معاناة الشاعر للتجربة من خلال العروض التي قدمها الفايز لأحوال البحار المختلفة بتفاصيلها الدقيقة. أمّا العنصر العاطفى الذي نراه متجللاً على طول المذكرات وعرضها فقد استطاع الفايز توظيفه على أحسن وجه فنرى صدق العاطفة وقوتها، وقد استعان الفايز بالعواطف الإنسانية العامة التي أكسبت مذكراته بعدها عالمياً وامتداداً بلا حدود، فليس في المذكرات عواطف أو مشاعر قومية أو إقليمية أو وطنية. وقد أكثر الفايز، من أجل رسم الصور المناسبة القرية من ذهن القارئ، أكثر من استعمال الأساليب البينية، وخاصة الاستعارة المكنية كثيراً والاستعارة المتصّحة بشكل أقل والتّشبّه المرسل والتّشبّه البليغ، وقد حافظ الفيّر على الوحدة العضوية لقصائده العشرين كأنّها قصيدة واحدة متعددة الجوانب متعددة الموضوع. كما استعمل صيغ المتكلّم كثيراً، في الأفعال والضمائر، لأنّه كان البحار الرواى ولم يستعمل صيغ الغيبة إلا في مواضع نادرة.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم.

- ١ - الأنصارى على زكريا "عندما يكون الشعر عفوياً وصادقاً" مجلة العربي العدد ٥١٥.
- ٢ - الداية فايز "النواخنة وتدخل الأنواع الأدبية" مجلة الكويت العدد ٢٠١.
- ٣ - دبشه صلاح أحاديث المذكرات: محمد الفايز: الرؤية والممکن ط١ الكويت: رابطة الأدباء في الكويت ٢٠٠١م.
- ٤ - صالح ليلي محمد أدباء وأديبيات الكويت، ط١، الكويت: رابطة الأدباء في الكويت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.  
يعقوب اهيل معجم الشعراء ط١ دار صادر ج ٢٠٠٤م.
- ٥ - موقع المرايا على شبكة الإنترنت العالمية: [www.maraya.net/p/kw/id37.htm](http://www.maraya.net/p/kw/id37.htm)
- ٦ - موقع تاريخ الكويت: <http://www.kuwait-history.net/vb/showthread.php?p=7031>
- ٧ - موقع الكتور غازى القصبي [http://galgoosaibi.com/about\\_us.html](http://galgoosaibi.com/about_us.html) ٢٠١٠/١١/٢١
- ٨ - موقع جريدة الرؤية: الثلاثاء ١٣ يناير ٢٠٠٩ <http://www.arrouiah.com/node/94306>

## من استدرك البحر المتدارك على البحور الخليلية

الدكتور علي أصغر قهرمانى مقبل\*

### الملخص

يزعم كثيرون من العروضيين العرب في العصر الحديث أن الأخفش الأوسط هو الذي استدرك البحر المتدارك على البحور الخليلية الخمسة عشر، ولكن الدراسة التاريخية والبنوية لهذا البحر ثبتت أنَّ المتدارك ليس من استدراكات الأخفش على الخليل، بل ابن حماد الجوهرى هو الذي استدركه على البحور الخليلية، لأنَّه كان بحاجة ماسة إلى هذا البحر في فرضيته العروضية.

منهجنا في هذا المقال هو منهج تاريخي وتحليلي، إذ إننا درسنا المتدارك وانتسابه إلى الأخفش دراسة تاريخية كما عالجنا نسبة المتدارك إلى الجوهرى معالجة بنوية.

**كلمات مفتاحية:** العروض العربى، البحر المتدارك، الأخفش، الجوهرى.

### المقدمة

تتبَّن لنا الإشكالية المطروحة في المقال من عنوانه إذ إننا نريد أن نبحث عن العالم العروضي الذي استدرك البحر المتدارك على البحور الخليلية، فيمكِّننا أن نقسم المقال إلى مبحثين أساسين؛ نعالج في البحث الأول كيفية انتساب المتدارك على الأخفش الأوسط معالجةً تاريخية، ونحاول الإجابة عن هذا السؤال: هل تؤيد دراسة المتدارك دراسةً تاريخية وبنويةً أنَّ الأخفش هو الذي استدرك هذا البحر على العروض الخليلي؟ وإن كان الجواب: لا، فمن كان أول عالم عروضيًّا استدرك المتدارك على الخليل وأحكم بنائه وأتقن قواعده وشرح عللها وزحافاته؟ فالإجابة عن السؤال الثاني هو موضوع المبحث الثاني الذي نسعى إلى الوصول إليه بأدلة وبراهين.

**آراء علماء العروض المعاصرین حول انتساب المتدارك إلى الأخفش**  
إنَّ انتساب البحر المتدارك إلى أبي الحسن سعيد بن مسعود المشهور بالأخفش الأوسط

\* خريج معهد الآداب التترقية بجامعة القديس يوسف، وأستاذ مساعد بجامعة خليج فارس، بوشهر، إيران.

تاریخ القبول: ٢٠/٨/٨٩

تاریخ الوصول: ٢٨/٦/٨٩

(٨٣٠/٢١٥) صار اليوم من بدائيات علم العروض ولا يرى أيّ باحث في النظام الشعري حاجة إلى أن يبحث عن صحة هذا الاتساب أو سقمه، ولا نرى الحساسية في هذا الموضوع عند أغلبية الباحثين المعاصرين في العروض حتى عند الكبار منهم، نكتفي بذكر بعض منهم:

يقول إبراهيم أنيس في المتدارك: "هذا هو البحر الذي لم يعرض له الخليل [٧٨٦/١٧٠] وينسب إلى الأخفش لأنّه، كما يعبر أهل العروض، تدارك به على الخليل وقد خلعوا على هذا البحر أسماء كثيرة ونعته بنعوت شتى... أنّ أمثلة هذا البحر وشواهده تكاد تكون متحدة في كلّ كتب العروض وهي عبارة عن أبيات منعزلة غير منسوبة لأصحابها تبدو عليها الصنعة والتتكلف... ولسنا ندري سرّ انصراف الشعراء عن هذا الوزن من أوزان الشعر رغم انسجام موسيقاه وحسن وقها في الآذان".<sup>١</sup>

وقد خالف عبد الله الطيب رأي إبراهيم أنيس في موسيقى البحر المتدارك ووصفه بالبحر البدني للغاية وكلّه جلبة وضجيج،<sup>٢</sup> لكنه وافقه في نسبة إلى الأخفش قائلاً: "أدخل [الخليل] كلّ الأوزان المستعملة - كما زعم - في نطاق بحوره الخمسة عشر، وقد استدرك عليه الأخفش الأوسط وزناً سادس عشر واستخرجه من الدائرة الخامسة هكذا: لن فعون فغو إلخ، وتساوي فاعلن فاعلن إلخ ولم يزد العلماء شيئاً بعد الأخفش ولم يجرؤوا الشعراء على الإتيان ببحر جديد إلاّ ما نذر".<sup>٣</sup>

وكذلك قد ورد هذا الاتساب في دائرة المعارف الإسلامية، مادة «المتدارك» إذ يقول صاحب المقالة: "إنّ المتدارك هو البحر السادس عشر في العروض العربي الذي زاده الأخفش على بحور الخليل".<sup>٤</sup> والغريب أنه لا يوجد أيّ توثيق من عند الكاتب واكتفى بالإحالة إلى مادة «الأخفش الأوسط» و«عروض» في الكتاب نفسه.

عندما نراجع مادة «الأخفش الأوسط» نلاحظ أنه لم ترد فيها أيّ إشارة إلى قضية المتدارك سوى بعض الإحالات إلى كتب الترجم. وعند الرجوع إلى هذه الكتب مثل المعارف لابن قتيبة (٢٧٦/٨٨٩) وأعيار النحوتين البصريتين للحسن السيرافي (٣٦٩/٩٧٩) وطبقات النحوين واللغويين للربيد (٣٧٩/٩٨٩) ونزة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (٥٧٧/١١٨١) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (٦٢٦/١٢٢٩) وغيرها نرى أنّ الأخفش اللغوي والنحو هو الوجه الغالب في هذه الترجم فلا نلاحظ أيّ إشارة إلى هذا الاستدراك إلاّ ما ورد في كتاب وفيات الأعيان وستتحدث عنه

١ إبراهيم أنيس موسيقى الشعر ص ١٠٣، ١٠٦.

٢ عبد الله الطيب المرشد ج ١ ص ٨٠.

٣ المصدر السابق ص ١٤.

بعد قليل.

وأماماً في مادة «عروض» فرى أن المدارك متدرج في لائحة البحور الخليلية دون إشارة إلى أنه مستدرک عن قبل الأخفش أو غيره.<sup>١</sup> وقد ناقش كمال أبو ديب آراء فايل (Gotthold Weil) المطروحة في مقالة «عروض»، وما ينافشه هو قضية البحر المدارك في ذكره كمال أبو ديب هذا الإهمال قائلاً: «ينسب فايل البحور السبعة عشر كلها إلى الخليل وهذا خطأ واضح، فالمدارك ليس بحراً خليلياً وإن كان في دائرة المقارب بحر، له التراكيب نفسه سمات الخليل مهماً والمدارك حذفه الأخفش، كما تقرّر مصادر التراث».<sup>٢</sup>

وقد فوج المنهج نفسه عروضيون آخرون من العرب والإيرانيين والمستشرقين. ولكن هناك فرقاً كبيراً بين العروضيين في قضية إثبات تدارك الأخفش على الخليل؛ فئة منهم -وعدهم قليل جداً- تعتقد أن الخليل لم يتبع إلى هذا البحر، وفئة ثانية تعتبر أن الخليل قد عرفه، ولكن أهمله لعدم الحصول على شواهد شعرية في التراث العربي آنذاك كما أهمل أوزاناً أخرى مسماة بالبحور المهملة في بعض الدوائر مثل مقلوب الطويل (مفاعيلن فولون مفاغيلن فولون) لأنّه لم يجد شاهداً شعرياً على هذا الوزن. يستغرب الإنسان من أصحاب الرأي الأول، فكيف أنّهم أعتبروا عن عدم انتباه الخليل إلى هذا البحر مع أنه هو الذي أبدع الدوائر العروضية، فكان من السهل جدّاً للخليل استخراج البحر المدارك مندائرة الخامسة - وهي أبسط الدوائر - أي إذا بدأ بالسبب خرج منها وزن «فاعلن فاعلن فاعلن»، فمن المستحيل جدّاً أنّ الخليل ما كان قد انتبه إلى هذا الوزن. إذن هناك إهمال من جانبه كما ورد في كلام كمال أبو ديب وغيره مع اطلاعه على هذا النوع من الوزن فعده من الأوزان المهملة لأنّه لم يجد شواهد شعرية عليه. فصرّح ابن السراج الشتريبي (٥٥٠/١١٥) على ذلك في قوله: «ليس [المدارك] عند الخليل شعراً، ويُروى أنّه نصٌّ على طرحة».<sup>٣</sup>

هذا ويُطرح السؤال الأساسي وهو أنّ الأخفش كيف استدرك هذا البحر على البحور الخليلية مع علم الخليل بذلك لكنه لم يجد له شواهد من التراث الشعري؟ إلاّ نفترض أنّ الأخفش قد أخرجه من الأوزان المهملة لإثبات وجود شواهد شعرية كقصيدة أو بعض مقطعات منظومة على المدارك. يقول محمد العلمي في هذا المجال: «والواقع أتبني... لا أنفي معرفة الخليل لهذا البحر، ولكني لا أميل إلى أنّ

١ See: Weil, "Arūd", E.I.2, vol. I, p. 670.

٢ كمال أبو ديب في البنية الإيقاعية ص ٤٠٣.

٣ ابن السراج المعبار في أوزان الأشعار ص ٨٤.

الأخفش لم يُثبته، وفي إثباته له خالق المبدأ الذي اعتمد عليه الخليل في إثبات البحور، وهو كونها غير شادة في الاستعمال عند العرب. وَمِمَّا يُؤكِّدُ عندي إثبات الأخفش له بعد أن نصَّ الخليل على طرحة،...أَنَّه لَمْ يُرَاعِ شَيْوَعَ النَّوْعِ، بل راعى الأبيات المنفردة المنعزلة، فخضع للسماع في أندر ظواهره، وهو ما سَمِّيَ عند غيره بالشاذ<sup>١</sup>.

أمَّا عبد الحميد الراضي شارح تحفة الخليل فقد رفض أَنَّه استدراك الأخفش المندارك، بحجَّةٍ أَنَّ للخليل قصيدين على البحر المندارك؛ إِحْدَاهُمَا عَلَى وزن «فَعْلَنْ فَعْلَنْ فَعْلَنْ فَعْلَنْ»، والأُخْرَى عَلَى وزن «فَعْلَنْ فَعْلَنْ فَعْلَنْ»؛ فَكَائِنَه يُريدُ أَنْ يُثْبِتَ أَنَّ المندارك في ضمن البحور الخلبلية. فيقول: "فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ إِنَّ الْخَلْلِيْلَ قَدْ أَغْفَلَهُ [الْمَنْدَارِكَ] وَإِنَّ الْأَخْفَشَ اسْتَدَرَ كَهْ عَلَيْهِ، وَلَوْ افْتَرَضْنَا أَنَّ الْخَلْلِيْلَ لَمْ يَجِدْ لِهَذَا الْبَحْرِ شَاهِدًا فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، فَلَا أَقْلَّ مِنْ أَنْ يَذْكُرَهُ فِي عَدَادِ الْبَحُورِ الْمَهْمَلَةِ، كَمَا ذَكَرْنَا الْمَتَدَدَّ فِي الدَّائِرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْمُتَوَفَّرِ فِي الْمُؤْتَلَفَةِ وَالْمُطَرَّدِ فِي الْمُشْتَبَهَةِ، هَذَا وَقَدْ ذَكَرَ الْقَعْدِيُّ فِي إِنْبَاءِ الرَّوَاهَةِ أَنَّ لِلْخَلْلِيْلَ قصيدين من هذا البحر<sup>٢</sup>... وَهَذَا يَتَبَيَّنُ زِيفُ تِلْكَ الْأَسْطُورَةِ الْقَائِلَةِ بِإِغْفَالِ الْخَلْلِيْلِ هَذَا الْوَزْنُ وَإِنَّ الْأَخْفَشَ قَدْ اسْتَدَرَ كَهْ عَلَيْهِ".<sup>٣</sup>

نَحْنُ نَتَقَوَّلُ مَعَ شَارِحِ تحْفَةِ الْخَلْلِيْلِ فِي إِنْكَارِ نَسْبَةِ الْمَنْدَارِكِ إِلَى الْأَخْفَشِ لَكِنَّ كَلَامَهُ فِي رَأِينَا غَامِضٌ وَغَيْرُ مَقْنَعٍ؛ لَأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ تَدَرُّكَ الْأَخْفَشَ الْبَحْرَ الْمَنْدَارِكَ، نَسْبَهُ إِلَى الْخَلْلِيْلَ نَفْسَهُ بِحَجَّةٍ أَنَّهُ لَهُ أَشْعَارًا مَنْظُومَةٌ عَلَى هَذَا الْبَحْرِ وَأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الْمَنْدَارِكَ ضَمْنَ الْبَحُورِ الْمَهْمَلَةِ، إِذْنَ الْمَنْدَارِكَ هُوَ ضَمْنَ الْبَحُورِ الْخَلْلِيَّةِ فَلَا بُجَالٌ لِلْاسْتَدَرَكِ عَلَيْهِ. وَلَكِنَّ يَمْكُنُنَا أَنْ نَنَاقِشَ شَارِحَ التَّحْفَةِ أَوْلَأَ: فِي صَحَّةِ هَذِهِ الْأَشْعَارِ مِنْ جَهَّةِ ثَانِيًّا: لَا يُمْكِنُ لِلرَّجُلِ الْعَرَوْضِيِّ -وَلَوْ كَانَ الْخَلْلِيْلَ- أَنْ يُثْبِتَ بِحِرَّاً اسْتِنَادًا إِلَى أَشْعَارِهِ نَفْسَهِ، ثَالِثَانِ: لَمْ يَرِدْ فِي أَيِّ مَصْدَرٍ مِنَ الْمَصَادِرِ اتِّسَابُ الْمَنْدَارِكَ إِلَى الْخَلْلِيْلِ قَطًّا، وَسَتَنَاؤُلُ ذَلِكَ بَعْدَ قَلِيلٍ. وَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا أَدَلَّةً وَبِرْهَانِينَ تُثْبِتُ أَنَّ الْمَنْدَارِكَ لَيْسَ مِنْ عَنْدِ الْأَخْفَشِ وَلَكِنَّ قَبْلَ أَنْ نَخُوضَ فِي الْأُمْرِ فَلَا بدَّ مِنْ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ مَسَأَلَةَ اسْتَدَرَكَ بِحِرٍّ مَا عَلَى الْبَحُورِ الْخَلْلِيَّةِ لَمْ تَكُنْ مَسَأَلَةً بَسِيَّةً وَهَيْئَةً عَنْدِ عَلَمَاءِ الْعَرَوْضِ.

**موقف العروضيين من استدراك بحر جديد على البحور الخلبلية**  
يمكننا الاستنباط من أرجوزة ابن عبد ربه أنَّ مؤسس علم العروض العربي الخليل بن أحمد

١ محمد العلمي العروض والقافية ص ١٩٧.

٢ انظر: جمال الدين القفعي إيهاب الرواه على أنباء النحاة ج ١ ص ٣٤٢.

٣ عبد الحميد الراضي شرح تحفة الخليل ص ١٧-١٨.

(٧٨٦/١٧٠) قد أجاز استدراك أوزان شعرية أخرى على ما استخرجه نفسه في خمسة عشر بحراً، ولكن لم يشرح لنا صاحب العقد شروط هذا الاستدراك وكيفيته.<sup>١</sup>

وقد ناقش الأخفش هذا الموضوع قائلاً: "إإن قال قائل: أليس أول من بين الشعر، إنما بين بناءً أو بنائين ولم يأت على الأبيات كلها ثم زاد الذي بعده؟ فلم يزل يجوز لهم أن يزيدوا، فكيف لا تجوز الزيادة؟ قلت: أمّا من بين العرب الذين سجّلتهم العربية بناء فهو جائز، وإن لم يكن سمعه قبل ذلك، كما أتى إذا سمعت منه لغة وهو فصيح، أخذتُ بها، فإذا كان ذلك البناء ممّن ليس سجّلته العربية لم آخذ عنه، كما لا آخذ عنه اللغة".<sup>٢</sup>

نلاحظ أنَّ الأخفش كاستاده الخليل لم يغلق طريق الاستدراك للشعراء العرب فذكر لنا شروط الإتيان ببناء جديد وهو يقصد من البناء البحر الشعري فيجب أن يكون المستدراك من العرب الذين سجّلتهم العربية فحسب.

إذن كانت قضية الاستدراك مطروحة من بدايات علم العروض ومن أنصار جواز الاستدراك يمكننا أن نذكر ابن حمّاد الجوهرى (١٠٠٣/٣٩٣) وجار الله الزمخشري (٥٣٨/١١٤٤). ولكن هناك من يخالفون استدراك بحري على البحور الخليلية مخالفة عنيفة وعلى رأسهم ابن عبد ربّه (٩٤٠/٣٢٨) الذي أنهى أرجوزته -بعد شرح الدائرة الخامسة وفيها البحر المتقارب وحده- بمناقشة الخليل نفسه في هذا المجال:

|  |  |
|--|--|
| من كُلٌّ ما قالتْ عليه العربُ<br>فَإِنَّـا لَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ<br>لَاّمَنْ قَوْلَنَا مُحَالٌ<br>خَلَافُهَا جَازَ فِي الْلُّغَاتِ<br>وَلَا أَقُولُ فِيهِ مَا يَقُولُ<br>وَالسِّيفُ قَدْ يَنْبُو وَفِيهِ مَاهٌ<br>ثُمَّ أَجَازَ ذَا وَلَيْسَ مِثْلَهُ | هَذَا الَّذِي جَرَبَهُ الْمُحَرَّبُ<br>فَكُلُّ شَيْءٍ لَمْ تَقْلُ عَلَيْهِ<br>وَلَا تَقُولُ غَيْرًا مَا قَدْ قَالُوا<br>وَإِنَّهُ لَوْ جَازَ فِي الْأَبِيَاتِ<br>وَقَدْ أَجَازَ ذَلِكَ الْخَلَيلُ<br>لَاّمَهُ نَاقَضَ فِي مَعْنَاهُ<br>إِذْ جَعَلَ الْقَوْلَ الْقَدِيمَ أَصْلَهُ |
|--|--|

١ انظر: ابن عبد ربّه العقد الفريد ج ٥ ص ٤٤٢.

٢ الأخفش العروض ص ١٢٧-١٢٨.

٣ الرمخشري القسطناس ص ٢٣-٢٤.

وَقَدْ يَزِلُّ الْعَالَمُ النَّحْرِيرُ وَالْحَبْرُ قَدْ يَخْسُونَهُ التَّحْبِيرُ<sup>١</sup>

تدلّنا هذه المناقشة على بوادر محاولات جزئية خارجة عن إطار البحور والأوزان الخلبلية، ونلاحظ أنّ ابن عبد ربه يحتاج على الخليل احتجاجاً قاسياً بأنّ المعيار لعلم العروض هو القول القديم وحده وهو لن يلتفت إلى أوزان مستحدثة.

والواقع الذي وقع في الشعر العربي بعد الخليل إنما اقتصر الشعراء على البحور الخلبلية ولم يخربوا منها أو لم يجربوا على الخروج منها إلاّ قليلاً نادراً وقد أصبحت الأوزان الخلبلية هي المعيار للشعر الصحيح والشعر السقيم من ناحية الوزن. ومن جهة أخرى فلم يظهر شعر كلاسيكي ناجح خارج عن الأوزان الخلبلية، فمع الاعتراف بأوزان البحر المدارك من قبل العروضيين بعد منتصف القرن الرابع/العاشر فهي من الأوزان الفاشلة في الأدب العربي ولا توجد من زمن استدراها إلى يومنا هذا، قصيدة أو منظومة متكاملة عليها إلاّ أبيات نادرة منفردة وموضوعة عادة من قبل العروضيين ليستشهدوا بها في كتبهم العروضية.

فيجب أن لا ننسى الدور الذي قامت به الدوائر الخلبلية في هذا المجال، فهي ضيّقت المجال للشعراء أن لا يفكّروا خارجاً عن الدوائر، ولكن من جانب آخر فقد أفسحت لهم مجالاً أن يجربوا حظّهم في أوزان يمكن استخراجها من الدوائر، أي الأوزان التي أهلتها الخليل لعدم وجود شواهد شعرية فيها؛ فقد ذكر ابن حمّاد الجوهرى في عروض الورقة ستة أوزان محدثة -غير أوزان البحر المدارك- فهي بمحض الطويل والمديد المثمن، والبسيط المربع، والهرج المسّن، والجز الموحد، والمتقارب المربع.<sup>٢</sup> ومن الواضح جداً أنّ هذه الأوزان، تُنظم عليها متأثرة بدوائر الخليل، لأنّ المديد مثلاً ثُمانيّ في دائرة والمهرج سُداسي.

**الأدلة التي ترفض نسبة البحر المدارك إلى الأخفش**

أمّا الأدلة التي ترفض نسبة البحر المدارك إلى الأخفش فيمكّنا أن نقسّمها إلى ثلاثة أقسام، هي:

١- كتاب الأخفش: لقد وصلنا لحسن الحظّ كتاباً للأخفش في العروض وفي القوافي فيعطيانا هذان الكتابان خصوصاً كتاب العروض روّية واضحة في قضية اتساب المدارك إلى الأخفش.

لقد حقّق كتاب العروض أحمد محمد عبد الدايم ونشره سنة ١٩٨٥/١٤٠٥، ونحن لا نشكّ في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الأخفش لتطابق أسلوبه مع أسلوب كتب الأخفش الأخرى من جهة

١ ابن عبد ربه المصدر السابق ج ٥ ص ٤٤١-٤٤٢.

٢ الجوهرى عروض الورقة ص ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٤١، ٢٣-٢٤، ٢٤-٢٥. (الصفحات وردت على ترتيب الأوزان)

ولتوافق الآراء الواردة في الكتاب مع ما نقله العروضيون عن الأخفش في كتبهم. وما يدهش القارئ أنّ البحر المدارك غائب من الكتاب كلياً ولا يوجد فيه إلاّ البحور الخمسة عشر الخليلية وآخرها المتقارب وحده في الدائرة الخامسة.<sup>١</sup>

وما يؤيد هذا الرأي كتاب القوافي الذي حققه عرّة حسن ونشره سنة ١٩٣٩ / ١٣٧٠، ولا يوجد مصطلح البحر المدارك في الكتاب كله وإن كان قد استدركه الأخفش على الخليل فمن الطبيعي جدًا أن يحاول على الإيمان بأبيات على البحر المدارك على لأقلّ لدعم استدراكه هذا. ومع أنّ الكتاب مشحون بالشهادات الشعرية فلا نجد بيتاً واحداً على وزن من أوزان البحر المدارك.<sup>٢</sup>

بحدر الإشارة هنا إلى نقطة مهمة وهي أنّ أمّهات الكتب التي تتناول النظام الشعري العربي في العصر الحديث مثل موسيقى الشعر و المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها و في البنية الإيقاعية للشعر العربي وغيرها من الكتب قد ألغت قبل تحقيق هذين الكتابين ونشرهما ولا سيما كتاب العروض الذي تشير بعد كتاب القوافي بخمسة عشر عاماً، وقد زعم أصحاب هذه الكتب أنّ كتابي الأخفش قد ضاعا، فلم يستفيدوا من آرائه إلاّ من خلال الكتب العروضية فالنتيجة لم يتبعوا إلى غياب البحر المدارك في كتابيه.<sup>٣</sup>

٤ - الدراسة التاريخية: لقد ولد علم العروض في القرن الثاني/ الثامن بدون البحر المدارك، ومن الكتب العروضية المولفة في القرن الثالث/ التاسع لم يصلنا كتاب إلاّ كتاب الأخفش في العروض. وفي العقود الأولى من القرن الرابع الهجري وصلنا كتاب العقد الفريد لابن عبد ربّه ولا نجد في هذين الكتابين أثراً للبحر المدارك.

أمّا بالنسبة إلى علماء العروض في القرن الرابع/ العاشر، منهم من لا يذكر البحر المدارك في كتابه مثل ابن حني<sup>٤</sup> (٣٩٢/ ١٠٠٢) ومنهم من يذكره دون اتسابه إلى الأخفش مثل أبي الحسن العروضي<sup>٥</sup>، والصاحب بن عبّاد (٣٨٥/ ٩٩٥) الذي قال حول المدارك في كلام موجز: "لم تفكّ العرب منه [المتقارب] شعراً وبعضهم قد تعاطى الفكّ فأخرج منه «فاعلن» بتقديم السبب على الوتد

١ انظر: الأخفش العروض ص ١٦٤-١٦٥.

٢ انظر: الأخفش القوافي.

٣ ابن حني العروض ص ٢٢. وكذلك لم يذكره أبو الحسن الريعي الذي توفي في العقد الثاني من القرن الخامس الهجري (٤٢٠/ ٩٤٠) انظر: أبو الحسن الريعي العروض.

٤ أبو الحسن العروضي الجامع في العروض والقوافي ص ٢٥٧-٢٥٩.

وسموه الغريب والمتسرق وركض الخليل وقد يجيء في الشعر المحدث «فِعْلَنْ فِعْلَنْ» بإسقاط الألف وفعلن بقطع الوتد، وأنشروا شعراً زعموا أنه للجن<sup>١</sup>.

قد ذكر الجوهري هذا البحر باسم المتدارك وصرّح أنَّ الخليل لم يُعده في البحور ولكنه لم ينسبه إلى الأخفش أبداً وستتحدث عن هذا المؤلّف بعد قليل.

وهكذا الحال في القرنين الخامس والسادس / الحادي عشر والثاني عشر فلا يوجد انتساب المتدارك إلى الأخفش إطلاقاً مع الاعتراف به إلى جانب البحور الخمسة عشر الخلبلية ومنهم: ابن رشيق القيرواني (٤٥٦/١٠٦٤) في العمدة، والخطيب التبريزي (٥٠٢/١١٠٨) في الكافي في العروض والقوافي والزمخشي (٥٣٨/١٤٤) في القسطاس في علم العروض وأبن السراج الشنطريين (٥٥٠/١١٥٥) في المعيار في أوزان الأشعار وكذلك السكاكى (٦٢٦/١٢٢٩) في مفتاح العلوم، وغيرهم من العروضيين الذين تناولوا المتدارك دون نسبته إلى الأخفش.<sup>٢</sup>

فليس من المعقول أن يعرف هؤلاء العروضيون استدرك الأخفش المتدارك على الخليل ويغمضوا عيونهم عن ذكره، وكما قلنا سابقاً إنَّ استدرك بحرٍ ما، على البحور الخلبلية لم يكن أمراً بسيطاً يغمض عنه. فيمكّنا الاستنتاج أنَّ الأخفش لم يردد على الخليل المتدارك ولم يحسبه من الأبنية الشعرية - حسب تعبيره - كما فعل أستاذه الخليل، فلا صحة إذن لانتساب المتدارك إلى الأخفش استناداً إلى الكتب العروضية المذكورة.

**٣ - الدراسة البنائية:** هناك مشكلة جوهرية في إدراج بعض أوزان المتدارك ضمن العروض الخليلي، خاصةً في وزن الحب «فَعْلَنْ فَعْلَنْ فَعْلَنْ»<sup>٣</sup> أو في وزن دق الناقوس «فَعْلَنْ فَعْلَنْ فَعْلَنْ»، فإذا أردنا تبيانه عن طريق قواعد الخليل، يمكننا أن نقول إنَّ النون حذفت من تفعيلة «فَاعلن» وسُكتت لامها، فبقيت «فاعلن» فتحوها إلى «فَعلن»؛ فهذا من العلل اسمه «القطع»، فليس القطع من

١ الصاحب بن عباد الإقناع ص ٧٦.

٢ أنظر: أبو الحسن الربيعي العروض؛ ابن رشيق العمدة ج ١ ص ١٣٥؛ الخطيب التبريري الكافي ص ١٣٨-١٤٠؛ الزمخشي القسطاس ص ١٢٨-١٢٩؛ ابن الفطّاع البارع في علم العروض ص ٢٠٦-٢٠٧؛ ابن السراج المعيار في أوزان الأشعار ص ٨٤-٨٥؛ السكاكى مفتاح العلوم ص ٦٨٢-٦٨٣؛ محمد الخلّي شفاء الغليل في علم الخليل ص ١٨١-١٨٣؛ الشريف السبئي شرح الخزرجية في علمي العروض والقوافي ص ٢١؛ جمال الدين الإسنوى نهاية الراغب ص ٣٣٣-٣٣٨.

٣ إنَّ التفعيلة الأصلية تكون بكسرة العين (فَعْلَنْ لـ)، ولكن من الجوازات الوزنية الشائعة في هذا الوزن «القطع» أي نسكتين العين في تفعيلات الحشو، إذ تتحول «فَعْلَنْ» إلى «فَعلن» (—).

تغيرات الزحاف، إذن موضعه في الأعاريض والضروب مثل ما نجد في السريع والبسيط، لكن المشكلة التي حذت، أنّ هذا التغيير وقع على تفعيلات الحشو أيضاً، وهذا يعارض قواعد الخليل، فلا بدّ من إخراج هذا الوزن (=دق الناقوس) وكذلك «الخطب» من النظام الخليلي.

إنّ أبوالحسن العروضي (٩٥٣/٣٤٢) أقدم عروضي تناول المشكلة المطروحة في الخطب بالتفصيل قائلاً: "أما ترك الخليل ذكر هذا وإخراجه عن أشعار العرب فلأشيء... فمنها: إنّ هذا النوع من الشعر لما قلّ ولم يُرُو منه عن العرب إلا التر القليل، ولعله أيضاً مع قوله لم يقع إليه، أضرب عن ذكره ولم يلحقه بأوزانهم، وأيضاً فإنّ هذا الوزن قد لحقه فسادٌ في نفس بنائه أو جب رده، وذلك أنّه يجيء في حشو أبياته « فعلن » ساكن العين، ومثل هذا لا يقع إلا في الضرب خاصةً، أو في العروض إذا كانت مصرّعة، فأما في حشو البيت فغير جائز، وما عُلِم في شيء من أشعار العرب. وذلك أنّ الزحاف إنما يكون في الأسباب، والقطع في الأوتاد، ولا يكون القطع إلا في ضرب، ولا يكون إلا في وتد، فلما جاء هذا النوع مخالفًا لسائر أنواع الشعر ترك واطرح، ولو كان يجيء على بناء تام فيكون كله « فاعلن » أو يجيء محنوف الثاني وهو المحبون فيكون على « فعلن فعلن » متخرّكة العين أو يجيء ببعضه على « فاعلن » وببعضه « فعلن » كان ذلك، ولكنه قلّ ما يجيء منه بيت إلا وأنت تجد فيه « فعلن » في موضعين أو ثلاثة أو أكثر".<sup>١</sup>

وكذلك ذكر محمد بن علي الخلّي كلاماً دقيقاً في هذا المجال، قائلاً: "لم يُسمَّ القطع في حشو بيت من الشعر إلا في هذا البحر؛ لأنّ القطع علة، والعلل لا تكون حشوأ، وهذا أنكر بعضهم أن يكون مقطوعاً، وسماه مضمراً بعد الخبر، فرغم أنّ الألف من « فاعلن » سقطت للخبر، فبني « فعلن » على صورة سبب ثقيل وسبب خفيف، فأسكنت العين للإضمار؛ لأنّها الثاني المتحرك، بقي « فعلن »، وهذا مشكل أيضاً؛ لأنّ العين على الحقيقة في وتد، والإضمار زحاف، والزحاف لا يدخل الأوتاد، لا جرم أنّ الخليل رحمة الله عليه لم يذكر المدارك في البحور البة".<sup>٢</sup> فنصييف إلى ذلك أنّ كلّ تفعيلة خليلية لا بدّ أن تحمل وتدّاً، فلا توجد تفعيلة خالية من الوتد أي لا توجد تفعيلة تتكون من الأسباب وحدها. فقد اهتدى إلى هذه المشكلة في الوزن المذكور كلّ من جمال الدين الإسْنْوِي،<sup>٣</sup> ونصرالدين

١ أبوالحسن العروضي الجامع في العروض والقوافي ص ٢٥٨-٢٥٩.

٢ الخلّي شفاء العليل في علم الخليل ص ١٨٣.

٣ الإسْنْوِي نهاية الراغب ص ٣٣٧.

الطوسى<sup>١</sup> وزكريـا الأنـصارـي<sup>٢</sup>، وكـذلك مـحمد الدـمنـهـوري<sup>٣</sup>. فـلم يـعـرـفـ الـخـلـيلـ بـهـذاـ التـغـيـرـ فيـ نـظـامـهـ العـروـضـيـ، وـلاـ الأـخـفـشـ، لـأـنـاـ لـاـ بـحـدـ أـثـرـ هـذـاـ الـاعـتـارـ منـ قـبـلـ الـأـخـفـشـ؛ لـأـ فيـ كـاتـابـيـهـ، وـلاـ فـيـمـاـ تـقـلـ عـنـهـ فـيـ الـمـصـادـرـ العـروـضـيـةـ.

وـكـذلكـ حـازـمـ القرـطـاجـيـ أـنـ يـجـلـ الـمـسـكـلةـ بـطـرـيـقـةـ أـخـرـيـ، لـكـتـهـ خـرـجـ مـنـ الـمـنـهـجـ الـخـلـيلـيـ بـوـضـعـ تـفـعـيلـةـ «ـمـتـفـاعـلـتـنـ»ـ فـيـ تـوـصـيـفـ الـخـبـبـ الـمـتـحـرـكـ الـعـيـنـ، وـ«ـمـفـعـولـاتـنـ»ـ فـيـ تـوـصـيـفـ دـقـ النـاقـوسـ.<sup>٤</sup> فـيمـكـنـاـ أـنـ نـخـطـوـ خـطـوـةـ أـخـرـيـ فـيـ هـذـاـ اـخـالـ، وـنـدقـ أـكـثـرـ فـيـ جـواـزـاتـ الـبـحـرـ الـمـتـدـارـكـ؛ فـنـلـاحـظـ أـنـ الشـاعـرـ قـلـمـاـ يـخـلـطـ التـفـعـيلـةـ السـالـمـةـ «ـفـاعـلـنـ»ـ بـالـتـفـعـيلـةـ الـمـخـبـوـبةـ «ـفـعـلـنـ»ـ فـيـ الـحـشـوـ، مـعـ أـنـ الـخـبـنـ مـنـ الـجـواـزـاتـ الشـائـعـةـ الـحـسـنـةـ فـيـ كـلـ مـنـ تـفـعـيلـيـ «ـفـاعـلـنـ»ـ وـ«ـفـاعـلـاتـنـ»ـ فـيـ الـبـحـورـ الـخـلـيلـيـةـ كـلـهاـ. فـكـلـكـ يـخـلـطـ الـإـيقـاعـ الـذـيـ بـجـهـهـ فـيـ تـكـرـارـ الـتـفـعـيلـاتـ السـالـمـةـ «ـفـاعـلـنـ»ـ عـنـ الـإـيقـاعـ الـنـاتـجـ مـنـ تـكـرـارـ الـتـفـعـيلـاتـ الـمـخـبـوـبةـ «ـفـعـلـنـ»ـ، كـانـ الشـاعـرـ بـجـهـهـ عـلـىـ التـزـامـ الـخـبـنـ، فـيـؤـدـيـ هـذـاـ الـالـتـزـامـ إـلـىـ خـلـقـ وـزـنـ خـاصـ مـنـ أـوـزـانـ الـمـتـدـارـكـ، فـهـوـ الـوـزـنـ الـذـيـ اـشـهـرـ بـ«ـالـخـبـبـ»ـ.<sup>٥</sup> وـلـكـنـ مـنـ جـهـهـ أـخـرـيـ قـدـ يـخـلـطـ الشـاعـرـ «ـفـعـلـنـ»ـ بـالـتـفـعـيلـةـ الـمـقـطـوـعـةـ «ـفـعـلـنـ»ـ فـيـ الـحـشـوـ وـهـوـ جـواـزـ شـعـريـ شـائـعـ فـيـ هـذـاـ الـوـزـنـ مـعـ أـنـ هـذـاـ الـجـواـزـ غـائـبـ عـنـ الـنـظـامـ الـخـلـيلـيـ.

وـكـلـ مـاـ حـفـظـ لـنـاـ الـتـارـيخـ عـنـ الـأـخـفـشـ مـنـ كـتـبـ وـآرـاءـ وـأـقـوالـ، يـشـهـدـ أـنـ اـسـتـدـراـكـاتـهـ لـمـ تـخـرـجـهـ مـنـ الـنـظـامـ الـخـلـيلـيـ، فـهـوـ تـلـمـيـذـ مـلـتـزـمـ بـذـلـكـ الـنـظـامـ مـنـ دـوـنـ أـنـ يـخـرـجـ مـنـ دـائـرـةـ الـخـلـيلـ فـيـ الـعـروـضـ. تـحدـرـ الـإـشـارـةـ إـلـىـ أـنـ الـخـلـيلـ وـالـأـخـفـشـ لـمـ يـجـهـلـ هـذـاـ الـبـحـرـ مـنـ الـأـسـاسـ، فـلـمـ يـعـلـمـ، لـأـنـ اـسـتـخـارـ الـمـتـدـارـكـ مـنـ دـائـرـةـ الـمـتـقـارـبـ كـانـ فـيـ غـايـةـ السـهـولةـ لـدـيهـمـاـ وـلـدـىـ أـيـ عـروـضـيـ آخـرـ، إـلـاـ أـنـ الـمـتـدـارـكـ كـانـ مـنـ الـبـحـورـ الـمـهـمـلـةـ لـدـيهـمـاـ.

١ طوسى معيار الأشعار ص ٢٦٠.

٢ زكريـا الأنـصارـيـ فـتحـ ربـ البرـيـةـ فـيـ شـرـحـ قـصـيـدةـ الـخـرـجـيـةـ ص ٧٩.

٣ الدـمنـهـوريـ الـحـاشـيـةـ الـكـبـرىـ ص ٩٤.

٤ أنظر: حازـمـ القرـطـاجـيـ منـهـاجـ الـبـلـاغـاءـ وـسـرـاجـ الـأـدـبـاءـ ص ٢٢٩ـ٢٣١ـ.

٥ قد اقتـرـحـ مـصـطـفىـ جـهـالـ الدـينـ أـنـ يـنـقـسـمـ الـمـتـدـارـكـ "إـلـىـ بـحـرـينـ بـسـمـيـ أحـدـهـاـ «ـالـمـتـدـارـكـ»ـ وـهـوـ مـاـ جـاءـ عـلـىـ «ـفـاعـلـنـ»ـ، وـالـأـخـرـ «ـالـخـبـبـ»ـ وـهـوـ مـاـ جـاءـ عـلـىـ «ـفـعـلـنـ»ـ". مـصـطـفىـ جـهـالـ الدـينـ، الـإـيقـاعـ فـيـ الـشـعـرـ الـعـرـبـيـ مـنـ الـبـيـتـ إـلـىـ الـتـفـعـيلـةـ، ص ١٣٠. وـكـذـلـكـ مـبـرـزـ عبدـ الصـاحـبـ الـمـخـتـارـ الـبـحـرـ الـمـتـدـارـكـ مـنـ الـخـبـبـ بـقـولـهـ: "فـالـمـتـدـارـكـ إـذـنـ يـنـطـبـنـ عـلـيـهـ قـوـاعـدـ الـرـحـافـ الـعـامـةـ لـلـشـعـرـ... فـلـاـ عـلـاـقـةـ لـلـمـتـدـارـكـ بـيـحـرـيـ دـقـ النـاقـوسـ وـالـخـبـبـ". عبدـ الصـاحـبـ الـمـخـتـارـ دـائـرـةـ الـوـحـلـةـ فـيـ أـوـزـانـ الـشـعـرـ الـعـرـبـيـ ص ٨٥ـ.

## كيفية انتساب المدارك إلى الأخفش

حسب بعض التبعيات في الكتب العروضية وغير العروضية بعد القرن السادس/ الثاني عشر، وجدنا هذا الانتساب الكاذب في كتاب *وفيات الأعيان* لابن خلّكان (١٢٨٢/٦٨١) هو الذي نسب المدارك –وعنه الخبر– إلى الأخفش في كلامه حول الخليل، فكررّه مرتّة أخرى في كلامه على الأخفش نفسه قائلًا: "وهذا الأخفش زاد في العروض بحر الخبر كما سبق في حرف الخاء في ترجمة الخليل".<sup>١</sup> واكتفي بهذا القول المختصر دون إثبات برهانه ودون إحالة إلى مصدر أخذ منه.

نحن نعرف أنّ ابن خلّكان لم يكن رجلاً عروضياً وزعم أنّه إما سمع هذا الكلام من شخص ظنَّ أنه متخصص في علم العروض واثقاً إليه، أو أساء في فهم ما قرأ في كتاب عروضي الذي أدى إلى استنتاج خطأ؛ كمثال ورد عند ابن السراج الشتربي "والقبض فيه [فعلن من البحر المتقارب]" إذا لم يكثر حسن وهو يجوز في جميع أجزاءه إلا الضرب. والجزء الذي يلي العروض المخلوقة من قبلها والجزء الذي يلي الضرب الأفتر في الموضوعين. وقد أجازه الأخفش في الأول منها، وذلك سهل لدخول المدارك<sup>٢</sup> على المتوافر".<sup>٣</sup>

أمن الممكن أن نزعم أنّ ابن خلّكان قد أساء في فهم هذه العبارة أو عبارات مثلها في كتاب آخر واستنتج انتساب المدارك إلى الأخفش؟ لا ندري ذلك ولستنا متأكّدين منه. ولكن ما يهمنا هنا هو أنّ البحر المدارك لم يكن منسوباً إلى الأخفش قبل القرن السابع/ الثالث عشر ولم ترد أيّ إشارة إلى هذا الانتساب من قبل العروضيين حتى القرن التاسع/ الخامس عشر. ومن الغريب جدّاً أن يشرح ابن جنّي كتاب القوافي للأخفش في كتاب مسمى بـ «العرب»<sup>٤</sup> ولم يكن يعرف استدراكه على الخليل في بحرٍ من البحور، أو يذكر العروضيون ما خالف الأخفش الخليل وما استدرك عليه في أمور جزئية مثل ما يتعلّق بالزحافات والأغاريض والأضرب ويعصّوا النظر عن استدراك بحر من البحور. ثمّ لا توجد في أيّ كتاب عروضي آراء الأخفش في جزئيات البحر المدارك، مثلاً آراؤه في زحافات المدارك وعلله وأعایضه وأضربه إطلاقاً. وإنما مصادر التراث تذكر إثبات المدارك من قبل الأخفش خلافاً لما ذكر

١ ابن خلّكان *وفيات الأعيان* ج ٢ ص ٣٨١. وكذلك انظر: ج ٢ ص ٢٤٤ «ترجمة الخليل بن أحمد».

٢ مصطلح «المدارك» هنا لا يعني بحراً بل هو نوع من أنواع الفافية.

٣ ابن السراج المعياري في *أوزان الأشعار* ص ٨٣.

٤ ابن جنّي *الخصائص* ج ١ ص ٨٤.

كمال أبو ديب بأنّ «المتدارك حدّه الأخفش كما تقرّر مصادر التراث». وكذلك إنّ هناك عروضيّين إيرانيّين وصل كتاباهما إلينا – وهما عاشا في القرن السابع/ الثالث عشر وما أشهر العروضيّين الفرس أي شمس الدين محمد قيس الرازبي (بعد ١٢٣٠/٦٢٨) ونصير الدين الطوسي (١٢٧٣/٦٧٢) – ذكرَا البحر المتدارك دون اتسابه إلى الأخفش<sup>١</sup> وسيّاه «المحدث» أو «الغريب» وهما كانوا على اطّلاع واسع لآراء العروضيّين العرب حتّى نهاية القرن السادس/ الثاني عشر.

وهذا ما يؤكّد على أنّ اتساب المتدارك إلى الأخفش لم يكن معروفاً عند العروضيّين القدامى وقد ذكرنا تقرير مصادر التراث بأنّها لا تؤيد الاتساب، فيبدو أنّ الأمر قد بدا من رجل غير عروضي في القرن السابع/ الثالث عشر ثم صدّقه العروضيّون بعده.

في القرن التاسع/ الخامس عشر نرى أنّ بدر الدين الدمامي (١٤٢٤/٨٢٩) نسب المتدارك إلى الأخفش بربّ وتردد، في كتابه العيون الغامزة<sup>٢</sup> الذي ألقّه سنة ١٤١٤/٨١٧، لكنه قال في مكان آخر من الكتاب نفسه: «لم يذكره [المتدارك] الخليل واستناده كالمحدثون»<sup>٣</sup> دون تحديد شخص معين. وأخيراً في القرن العاشر/ السادس عشر قد عدّ زكيّاً الأنصارى (١٥٢٠/٩٢٦) نسبة المتدارك إلى الأخفش «قولاً مشهوراً عند فصحاء العرب»؛<sup>٤</sup> من دون أن يذكر مصدراً لهذه الشهادة. ثم نقل محمد الدمنهوري (١٢٨٨/١٨٧١) قول زكيّاً الأنصارى نقاً حرقياً وأيد رأيه بأنّ قول مشهور من دون الإشارة إلى مصدر آخر. وبالفعل صارت نسبة المتدارك إلى الأخفش قولًا مشهوراً عند علماء الأدب، خاصّةً عند العروضيّين بعد الدمنهوري.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> شمس قيس المعمم في معايير أشعار العجم ص ٧٥؛ طوسي معيار الأشعار ص ٢٠٠، ٢٦٠.

<sup>٢</sup> الدمامي العيون الغامزة ص ٥.

<sup>٣</sup> المصدر السابق ص ٢١.

<sup>٤</sup> زكيّاً الأنصارى فتح ربّ البرىّة في شرح قصيدة الخزرجية ص ٥ ٧٩.

<sup>٥</sup> الدمنهوري الحاشية الكبرى ص ٣٦، ٦٣.

<sup>٦</sup> من الباحثين المعاصرين الذين نسوا «المتدارك» إلى الأخفش، فلم ترد أسماؤهم في المتن، يمكننا أن نذكرهم؛ من العرب: أحمد رحائي، أوزان الأشعار: مقاربة جديدة في علم العروض، ص ٣٧؛ إميل بعقوب، المعمم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص ١١٦؛ بدوي مخنون، علم العروض، ص ٣٣؛ جلال الحنفي، العروض: هذبها وإعادة تدوينه، ص ٢٧٥؛ حسن نورالدين، الشعرية وقانون الشعر، ص ٢٩٨؛ سليمان البستاني، إلإيادة هومبروس: معربة نظمًا، «المقدمة»، ص ١٥٧؛ السيد أحمد الهاشمي، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، ص ١٠٥؛ صفاء

إننا نظن أن هذه الأدلة الثلاثة تكفي لكي ثبت عدم صحة انتساب المتدارك إلى الأخفش فهو لم يزد بحراً على الخليل ولم يكن هذا الاستدراك فضلاً له خاصةً استدراك بحرٍ فاشل مثل المتدارك الذي يُظن قريب اليقين قد أهمله الخليل لعدم شواهد شعرية.

وقد أدى هذه الانتساب الخطأ إلى استنتاجات خاطئة عند بعض الباحثين، نكتفي بذكر واحد منهم قائلاً: "بكثير من الاستسلام لسمعة الأخفش في علوم اللغة العربية ودون أي تحفظ، نسب اختراع بحر المدارك للأخفش دون اعتراض من أحد. وكان في هذه التسمية ما يُراد به الانتقاد من علم الخليل والرفع من قيمة الأخفش، وإذا صرّح ما قيل إنَّ الأخفش أدعى دون استحياء أنه يملك علمًا أو سمع من علم سيبويه، فلا عجب أن يحاول، بإضافته إلى علم العروض البحر السادس عشر، كي يبدو أعلم من الخليل".<sup>1</sup>

خلوصي، فن التقاطع الشعري والقافية، ص ١٩٧؛ عباس عجلان، دراسات في موسيقا الشعر: علم العروض، ص ٥٩؛ عبد الحميد حام، معارضة العروض، ص ٤؛ عبد الرحمن السيد، العروض والقافية: دراسة ونقد، ص ١٣٥؛ عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، ص ١٢٧؛ عبسي علي العاكوب، موسيقا الشعر العربي، ص ١٦٩، ١٧١؛ عازمي بحوث، بحور الشعر العربي، ص ٢١١؛ محمد أبو علي، علم العروض ومحاولات التجديد، ص ١٩؛ محمد خفاجي، الشعر العربي أوزانه وقوافيه، ص ٣١؛ محمد حماسة عبد اللطيف، البناء العروضي للقصيدة العربية، ص ٩٥؛ محمد العباشي، نظرية إيقاع الشعر العربي، ص ١٨١؛ محمد قاسم، المرجع في علمي العروض والقوافي، ص ١١١؛ محمد فناوي، الكامل في العروض والقوافي، ص ١٧٥؛ محمد هيثم غرّة، المستشار في العروض وموسيقا الشعر، ص ١٧؛ محمود السمان، العروض القدم، ص ٢٤، ٧٥؛ محمود مصطفى، أهلى سبل إلى علمي الخليل: العروض والقافية، ص ٦٨؛ مصطفى جمال الدين، الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التنفييلة، ص ١٣٧؛ مصطفى حرّكات، أوزان الشعر، ص ١٥١؛ مصطفى الغلايبي، الشريعة المضيئة، ص ٦٤؛ ممدوح حفي، العروض الراضحة، ص ٥٩؛ نايف معروف، المرحر الكافي في علوم البلاغة والعروض، ص ٢٦٥؛ نايف معروف وعمر الأسعد، علم العروض النظيفي، ص ١٧١؛ نور الدين صمود، تبسيط العروض، ص ٣٧؛ هاشم متّاع، الشافي في العروض والقوافي، ص ٢١٧؛ ونرى أنّ هذه النسبة الخطأة وردت في الكتب المدرسية أيضاً، انظر: مهدي ناصر الدين وعادل الصباغ، مبادئ قواعد اللغة والإملاء: التعليم الأساسي للسنة التاسعة، ص. ٢٥٣.

ومن الإبرابيين: بُرْبَر نائل خانلاري، وزن شعر فارسي، ص ۱۹۷؛ حسين مدرسي، فرهنگ توصيفي اصطلاحات عروض، ص ۵۶؛ همید حسني، موسيقي شعر نيماء، ص ۲۰؛ سيريوس شمسا، فرهنگ عروضي، ص ۱۱۶؛ بحري معروف، العروض، العربي، المسقط، ص ۴۹.

<sup>١٣</sup> ومن المنشرين: جوبار، نظرية جديدة في العروض العربي، ص ٢٠٨-٢٠٩؛ فان ديك الإمبريالي، محـيط Elwell-Sutton, The Persian meters, p. 42.

<sup>١٣</sup> دليل على ذلك، حکایة الْمَهْبِطِ: دراية في أصل آثار الأئمة، ٢٠٢.

## ابن حماد الجوهري مستدرك البحر المتدارك

ولكن يُطرح هنا سؤال، فهو: من الذي استدرك هذا البحر على البحور الخلبلية؟ أو بتعبير أدق، من الذي اعترف بوجود هذا البحر ضمن البحور الخلبلية، فوضع له قواعد، وبين خصائصه؟ لقد ورد المتدارك في القرن الرابع/ العاشر في كتابين مهمين: أحدهما الإقانع في العروض، ولكن ذكره الصاحبُ بن عبّاد ببضعة أسطر وهو ينظر إليه وأوزانه نظرة ازدراء واستخفاف.<sup>١</sup> وثانيهما عروض الورقة لابن حماد الجوهري؛ ونحن نظنّ أنه هو الذي اعترف بالمتدارك واستدركه على الخليل، ولنا حجتان على هذا الرأي:

١- قد اهتمَ ابن رشيق القمياني (٤٥٦/١٠٦٤) بآراء الجوهري أكثر من غيره وهو صرّح على هذا الاستدراك في قوله: "وجعل الجوهري هذه الأجناس التي عشر باباً، على أنَّ فيها المتدارك"، وأردف قائلاً: "سبعة منها مفردات، وخمسة مركبات، قال: فأوّلها المتقارب، ثمَ المزوج، والطويلُ بينهما مركبُ بينهما؛ ثمَّ بعد المزوج الرملُ، والمضارع بينهما؛ ثمَّ بعد الرملِ الرجزُ، والخفيف بينهما؛ ثمَّ بعد الرجز المتداركُ، والبسيط بينهما؛ ثمَّ بعد المتداركِ المديدُ، مركبٌ منه [المتدارك] ومن الرمل؛ قال: ثمَ الوافرُ والكاملُ، لم يتركَ بينهما بحرٌ لما فيهما من الفاصلة".<sup>٢</sup>

ثمَ صرّح أكثر من ذلك وشرح ما يقصده الجوهري بالمتدارك قائلاً: "والمتداركُ الذي ذكره الجوهري مقلوب من دائرة المتقارب، وذلك أنَّ فعلَن يختلفُ فاعلن ويُجبن فيسيرَ فعلن، وشعر عمرو الجني منه، وهو الذي يسمّي الناس اليوم الخبر".<sup>٣</sup>

٢- قد ذكر الجوهري هذا البحر باسم «المتدارك» فقط، فخصص له فصلاً خاصاً وشرح قواعده وذكر أوزانه وزحافتاته،<sup>٤</sup> مثل ما فعل في البحور الأخرى. ويعتقد الجوهري أنَّ مثمنَ المتدارك وزن قديم، ومدلسه محدث عنده، ويصرّح أنَّ "الخليل لم يَعُدْ المتدارك في البحور"،<sup>٥</sup> ولكن لا ينسبه إلى

١ الصاحب بن عبّاد الإقانع ص ٧٦.

٢ ابن رشيق العمدة ج ١ ص ١٣٦؛ وينطبق هذا الكلام تماماً على ما ورد عند الجوهري انظر: الجوهري عروض الورقة ص ١١.

٣ ابن رشيق العمدة ج ١ ص ١٣٧.

٤ الجوهري عروض الورقة ص ٦٨-٦٩.

٥ المرجع السابق ص ٦٨ وكذا ص ١٢.

الأنخفش إطلاقاً. وإنيات مثمن المدارك عنده يمكن أن يكون نتيجة اعتماده على شاذ الشعر القديم.<sup>١</sup> هناك أمر مهم فعلينا أن لا نغفله وهو أن الجوهرى كان بحاجة ماسة إلى البحر المدارك في بناء فرضيته التي تحالف فرضية الخليل العروضية، ونحن لا نرى من العروضيين القدمى من خالف الخليل كما خالفة الجوهرى، وكذلك استدرك عليه أموراً شتى، ومنها الأوزان الجديدة التي ذكرها الجوهرى، لأنّه من أنصار توسيع الأوزان العربية.

قد رفض الجوهرى أن يكون جزء «مفولات» جزءاً صحيحاً، لأنّه لو كان جزءاً صحيحاً لتركّب من مفردته بحرٌ كما تركّب من سائر الأجزاء<sup>٢</sup>، وفي رأيه «فاعلن» تفعيلة من ضمن التفعيلات العروضية، لأنّ لها صلاحية لتركّب من مفردتها بحرٌ وهذا البحر ليس إلا البحر المدارك، كما كان بحاجة إلى البحر المدارك في بناء بحرين مركبين - على طريقته الخاصة به - وهما البسيط (مستفعلن مستفعلن فاعلن) والمديد (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن) بقوله هذا: "ثم بعد الرجز المدارك، والبسيط بينهما ثم بعد المدارك المديد، مرتكب منه [المدارك] ومن الرمل".<sup>٣</sup>

وإذا حذفنا المدارك من فرضية الجوهرى نقصت فرضيته نقصاً فادحاً في إنيات بحري البسيط والمديد لحضور تفعيلة «فاعلن» في كلا البحرين.

وأخيراً في كلامنا حول استدرك الجوهرى المدارك على البحور الخليلية لا نقصد أنه هو الذي وضع البحر وأوزانه، لأنّ مثمن المدارك على قول الجوهرى كان موجوداً في الشعر القديم - ولو في أبيات قليلة - فلم يذكره الخليل وقد أهله و «لم يعنه من البحور» ولم يذكره تلميذه أبو الحسن سعيد بن مسدة المشهور بالأنخفش الأوسط. بل ما نقصد من تدارك الجوهرى هذا البحر هو أنه أول عام عروضي اعترف به بين معاصريه، وأقبل عليه وأدرجه ضمن البحور الخمسة عشر الخليلية وسماه باسم «المدارك» وخصص له باباً مستقلاً وشرح قواعده وأوزانه شرعاً وافياً.

وكانت هذه الحالات كلّها من أجل حاجته إلى المدارك في بناء فرضيته الخاصة به، فهل يسمح لنا بأن نسمّي هذا الاعتراف به من قبل اسماعيل بن حمّاد الجوهرى استدراكاً أو تداركاً في البحر المدارك؟

## الخاتمة

١ لا يذكر الجوهرى أي وزن من أوزان المدارك المثمن قدّيم كأنه بقصد الأوزان المثمنة كلّها.

٢ الجوهرى عروض الورقة ص ١١.

٣ الجوهرى عروض الورقة ص ١١.

- نستخلص ما ورد في المقال حول استدراك المتدارك على البحور الخلبلية على ما يلي:
- لم يستدرك الأخفش البحر المتدارك على البحور الخلبلية رغم شهرة اتسابه إليه، للأسباب التالية:
  - لا يؤيد كتاب الأخفش في العروض والقافية هذا الاستدراك، إذ لم يرد المتدارك في هذين الكتابين.
  - لم ينسب العروضيون في آثارهم البحر المتدارك إلى الأخفش أبداً، منذ تأسيس علم العروض إلى القرن السادس الهجري.
  - ترفض دراسة المتدارك دراسة بنوية إلى جانب الدراسة التاريخية أن يكون الأخفش قد استدركه على الخليل.
- ب- في رأينا ابن حمّاد الجوهرى هو الذي استدرك المتدارك على البحور الخلبلية، وأدلتنا على هذا الرأى هي:
- الجوهرى أول عروضي لقب هذا البحر بالمتدارك وخصص له باباً في كتابه عروض الورقة وشرح علله وزحافاته.
  - كان الجوهرى يحتاج إلى بحر مكون من تكرار «فاعلن» في فرضيته العروضية التي تختلف عن منهج الخليل في استخراج البحور الشعرية، إذ إن فرضيته لا تكتمل بدون المتدارك.
- بحد إشارات إلى استدراك الجوهرى المتدارك في كتاب العمدة لابن رشيق القิروانى الذى كان يرجح منهج الجوهرى في العروض على المناهج الأخرى.

## المصادر والمراجع

- ١- ابن جنّي أبو الفتح عثمان الخصائص تحقيق محمد علي النجاشي ط٢ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١/١٩٥٢، ١٣٧٤/١٩٥٥، ١٣٧٦/١٩٥٦، ١٣٧٦/١٩٥٥، ثلاثة أجزاء.
- ٢- ..... كتاب العروض تحقيق حسن شاذلي فرهود ط١ بيروت: مطابع دار القلم ١٣٩٢/١٩٧٢.
- ٣- ابن خلّكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق عباس إحسان بيروت: دار الثقافةثمانية أجزاء.
- ٤- ابن رشيق القิروانى أبو علي الحسن العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقداته حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ط٣ القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٨٣/١٩٦٣.

- ٥ - ابن السراج الشتريين أبو بكر محمد المعيار في أوزان الأشعار والكافى في علم القوافي تحقيق محمد رضوان الداية ط١ بيروت: دار الأنوار ١٣٨٨/١٩٦٨.
- ٦ - ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد العقد الفريد شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين أحمد الزين إبراهيم الإبياري القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٥/١٩٦٥ الجزء الخامس.
- ٧ - ابن القطاع أبو القاسم علي بن جعفر البارع في علم العروض قدم له ودرسه وحققه وعلق عليه وصنف فهارسه أحمد محمد عبد الدايم مكّة المكرمة: المكتبة الفيصلية ١٤٠٥/١٩٨٥.
- ٨ - أبو الحسن العروضي أحمد بن محمد الجامع في العروض والقوافي حّقه وقدّم له زهير غازي زاهد وهلال ناجي ط١ بيروت: دار الجيل، ١٤١٦/١٩٩٦.
- ٩ - أبو ديب كمال في البنية الإيقاعية للشعر العربي: نحو بدلٍ جنري لعروض الخليل ومقتمه في علم الإيقاع المقارن ط١ بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٤.
- ١٠ - أبو علي محمد توفيق علم العروض ومحاولات التجديد ط٢ بيروت: دار النفائس ٢٠٠١/١٤٢١.
- ١١ - الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة كتاب العروض تحقيق وتعليق وتقديم أحمد محمد عبد الدايم عبد الله مكّة المعايدة: المكتبة الفيصلية ١٤٠٥/١٩٨٥.
- ١٢ - ..... كتاب القوافي تحقيق عزة حسن دمشق: وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم ١٣٩٠/١٩٧٠.
- ١٣ - أديب ميشيل حكاية العروض دراسة في أوزان الشعر دمشق: منشورات وزارة الثقافة ١٩٩٩.
- ١٤ - الإسْنُوِيْجِمَالُ الدِّيْنُ عَبْدُ الرَّحِيمِ كَاهِيَةُ الرَّاغِبُ في شرْحِ عَرَوْضِ ابْنِ الْحَاجِبِ تَحْقِيقُ شَعْبَانِ صَلَاح ط١ بيروت: دار الجيل ١٤١٠/١٩٨٩.
- ١٥ - الأنصاري زكيًا كتاب فتح ربي شرح قصيدة الخرجية [في هامش العيون الفارمة على خبايا الرامزة لبدر الدين أبي عبد الله بن أبي بكر المخزومي الدعامي] القاهرة: المطبعة اليمنية ١٣٢٤ هـ.
- ١٦ - أنيس إبراهيم موسيقي الشعر ط٤ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢.
- ١٧ - البستاني سليمان إلياذة هومبروس: معربة نظمًا وعليها شرح تاريخي أدبي، القاهرة: مطبعة

- ١٨ - جمال الدين مصطفى الإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة النجف الأشرف: مطبعة النعمان ١٣٩٠/١٩٧٠.
- ١٩ - الجوهرى أبو نصر إسماعيل بن حماد عروض الورقة تحقيق محمد العلمي ط١ الدار البيضاء المغرب: دار الثقافة ١٩٨٤.
- ٢٠ - جويار ستانسلاس (M. Stansilas Guyard) نظرية جديدة في العروض العربي ترجمة منجي الكعبي ومراجعة وتعليق عبد الحميد الدواخلي القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦.
- ٢١ - حازم القرطاجي أبو الحسن حازم بن محمد منهاج البلاغة وسراج الأدباء تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ط٢ بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٨١.
- ٢٢ - حرّكات مصطفى أوزان الشعر بيروت صيدا: المكتبة العصرية ١٤٢٢/٢٠٠٢.
- ٢٣ - حقي مدوح العروض الراضع: للمرسين والطلاب في المدارس الثانوية والعالية ط٢ القاهرة: دار اليقظة العربية للتتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٤.
- ٢٤ - حمام عبد الحميد معارضه العروض ط١ عمان: منشورات وزارة الثقافة ١٩٩١.
- ٢٥ - المختفي جلال العروض: تهذيب وإعادة تدوينيه ط٢ بغداد: مطبعة الإرشاد ١٤٠٥/١٩٨٥.
- ٢٦ - الخطيب التبريزى أبو زكريا يحيى بن علي كتاب الكافي في العروض والقوافي تحقيق الحسانى حسن عبدالله القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- ٢٧ - خفاجي محمد عبد المنعم الشعر العربي أوزانه وقوافيه ط١ القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى حلبي وأولاده ١٣٦٧/١٩٤٨.
- ٢٨ - خلوصي صفاء فن التقاطع الشعري والقافية ط٣ بيروت: مطبع دار الكتب ١٩٦٦.
- ٢٩ - الدعاميني بدر الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المخزومي العيون الغامزة على خبايا الرامزة القاهرة: المطبعة الميمنية ١٣٢٤ هـ.
- ٣٠ - الدمنهوري محمد الحاشية الكبرى أو الإرشاد الشافى على متن الكافي في علمي العروض والقوافي القاهرة: المطبعة الميمنية ١٣٠٧.
- ٣١ - الراضي عبد الحميد شرح تحفة الخليل في العروض والقافية بغداد: مطبعة العانى ١٣٨٨/١٩٦٨.
- ٣٢ - الربعي التحوى أبو الحسن علي بن عيسى العروض تحقيق محمد أبوالفضل بدران ط١

- ٤٧ - العلمي محمد العروض والقافية: دراسة في التأسيس والاستدراك ط١ الدار البيضاء المغرب: دار عجلان عباس دراسات في موسيقا الشعر: علم العروض إسكندرية: دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩.
- ٤٦ - عتيق عبد العزيز علم العروض والقافية بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٤.
- ٤٥ - الطيب عبدالله المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ط٢ بيروت: دار الفكر ١٩٧٠.
- ٤٤ - العاكوب عيسى علي موسيقا الشعر العربي: عرض وافي ومبسط لمباحث علمي العروض والقرافي وفنون النظم المستحدثة ط٢ بيروت دمشق: دار الفكر المعاصر ٢٠٠٠.
- ٤٣ - صمود نور الدين تبسيط العروض تونس: الدار التونسية للنشر ١٩٦٩.
- ٤٢ - الصاحب بن عباد أبوالقاسم إسماعيل الإقناع في العروض وتحريج القرافي تحقيق محمد حسين آل ياسين ط١ بغداد: مطبعة المعارف ١٣٧٩/١٩٦٠.
- ٤١ - السيد عبد الرحمن العروض والقافية: دراسة ونقد ط١ القاهرة: مطبعة قاصد خير.
- ٤٠ - السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المربزيان أخبار النحوين البصريين تحقيق وشرح محمد عبد المنعم الخفاجي ط١ بيروت: دار الجليل ١٤٢٤/٢٠٠٤.
- ٣٩ - الشريف السفيطي محمد بن أحمد الحسيني شرح الخزرجية في علمي العروض والقوافي (مخطوط) مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت.
- ٣٨ - رجائي آغا القلعة أحمد أوزان الأشعار: مقاربة جديدة في علم العروض دمشق: مؤسسة الصالحاني ١٩٩٦.
- ٣٧ - الرمخشري أبوالقاسم محمود جار الله القسطناس في علم العروض تحقيق فخر الدين قباوة ط٢ بيروت: مكتبة المعارف ١٤١٠/١٩٨٩.
- ٣٦ - السمان محمود علي العروض القديم: أوزان الشعر العربي وقوافيه ط٢ القاهرة: دار المعارف ١٩٨٦.
- ٣٥ - السكاككي أبو يعقوب يوسف بن محمد مفتاح العلوم حققه وقدم له وفهرسه عبدالحميد هنداوي ط١ بيروت: دار الكتاب العلمية ٢٠٠٠.
- ٣٤ - رجائي آغا القلعة أحمد أوزان الأشعار: مقاربة جديدة في علم العروض دمشق: مؤسسة العروض ٢٠٠٠/١٤٢٠.

- .١٤٠٤/١٩٨٣ - الثقاقة .٤٨ - العياشي محمد نظرية إيقاع الشعر العربي تونس: المطبعة العصرية ١٩٧٦ .٤٩ - غرّة محمد هيش المستشار في العروض وموسيقا الشعر ط١ بيروت دمشق: دار ابن كثير دار الكلم الطيب ١٤١٥/١٩٩٥ .٥٠ - الغلاييني مصطفى سليم الشريّا المضيّة في الدروس العروضيّة ط٢ بيروت صيدا: المكتبة العصرية ١٩٢٠ .٥١ - فان ديك الأميركي كرنيليوس كتاب محيط الدائرة في علمي العروض والقافية بيروت: المطبعة الأميركانية ١٨٥٧ .٥٢ - قاسم محمد أحمد المرجع في علمي العروض والقوافي ط١ طرابلس لبنان: جرروس برس ٢٠٠٢ .٥٣ - القبطي، جمال الدين أبوالحسن علي بن يوسف إنباه الرواة على أنباء التحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩/١٩٥٠ .٥٤ - قناوي محمد الكامل في العروض والقوافي القاهرة: مكتبة الجامعة الأزهرية .٥٥ - الحلبي محمد بن علي شفاء الغليل في علم الخليل حققه وقدّم له وعلّق عليه شعبان صلاح ط١ بيروت: دار الجليل ١٤١١/١٩٩١ .٥٦ - المختار عبد الصاحب دائرة الورحلة في أوزان الشعر العربي تونس: دارة الثقافة ١٩٨٥ .٥٧ - مختون بدوي علم العروض تونس: دار المعارف للطباعة والنشر .٥٨ - مصطفى محمود أهلى سهل إلى علمي الخليل: العروض والقافية ط١ بيروت: دار الفكر العربي ١٩٩٧ .٥٩ - معروف نايف الموجز الكافي في علوم البلاغة والعروض بيروت: دار بيروت المirosse ١٩٩٣ .٦٠ - معروف نايف الأسعد عمر علم العروض التطبيقي ط١ بيروت: دار النفائس ١٤٠٧/١٩٨٧ .٦١ - معروف يحيى العروض العربي البسيط: أسهل الطرق لتعلم العروض والقافية ط١ طهران: سازمان مطالعه وتنمية كتب علوم انسان دانشگاه ها(سمت) ١٣٧٨ هـ. ش .٦٢ - متّاع هاشم صالح الشافعي في العروض والقوافي ط٤ بيروت: دار الفكر العربي

٢٠٠٣/١٤٢٤

- ٦٣ - ناصر الدين مهدي الصباغ عادل مبادئ قواعد اللغة والإملاء: التعليم الأساسي للسنة التاسعة طرابلس لبنان: دار الشمال.
- ٦٤ - نور الدين حسن الشعرية وقانون الشعر ط١ بيروت: دار العلوم العربية ٢٠٠١.
- ٦٥ - الماشي السيد أحمد ميزان الذهب في صناعة شعر العرب شرح وتحقيق سعيد محمود عقيل ط١ بيروت: دار الجليل ١٤٢٦/٢٠٠٥.
- ٦٦ - يعقوب إميل بديع المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر ط١ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١/١٩٩١.
- ٦٧ - يموم غازي بحور الشعر العربي: عروض الخليج ط٢ بيروت: دار الفكر اللبناني ١٩٩٢.

### المصادر والمراجع الفارسية والإنكليزية

- ١ - حسني حميد موسيقي شعر نima تحقیقی در اوزان و قالبهای شعری نیما یوشیج چاپ اول هرمان: کتاب زمان ١٣٧١ هـ. ش.
- ٢ - شمس قیس شمس الدین محمد قیس الرازی المعجم فی معايیر اشعار العجم تصحیح محمد بن عبد الوهاب فزوین وتصحیح مجید مدرس رضوی چاپ سوم هرمان: کتابفروشی زوار ١٣٦٠ هـ. ش.
- ٣ - شیخا سیروس فرهنگ عروضی چاپ سوم هرمان: انتشارات فردوس ١٣٧٥ هـ. ش.
- ٤ - طوسي خواجه نصیر الدین معيار الأشعار چاپ دوم [به انضمام شعر و شاعری در آثار خواجه نصیرالدین طوسي جمع وتنقیح معظمه اقبال] هرمان: سازمان چاپ و انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی ١٣٧٠ هـ. ش.
- ٥ - مدرسی حسین فرهنگ توصیفی اصطلاحات عروض چاپ اول هرمان- مشهد: سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاهها (سمت) بنیاد پژوهش‌های اسلامی ١٣٨٠ هـ. ش.
- ٦ - نائل خانلری پرویز وزیر شعر فارسی چاپ ششم هرمان: انتشارات توسع ١٣٧٣ هـ. ش.

759.

75- Elwell- Sutton, Laurence Paul, *The Persian metres*, first edition, Cambridge: Cambridge university press, 1976.

76- Weil, Gotthold, "Arūd. I", in *Encyclopaedia of Islam*, new edition, Leiden\ London: Brill\ Luzac, 1960, volume I, pp. 667-677.

## دور القراءة في دلالة صيغة الحدث في العربية

الدكتور إبراهيم محمد البب\*

### الملخص

يعالج هذا البحث قضية القراءة ودورها الإيضاحي في الوقوف على دلالة الحدث وتحديدتها في العربية. وذلك من خلال تتبع الدلالات المبنية على القراءن بأنواعها (لفظية أو معنوية سياقية)؛ تلك التي يحكم من خلالها على صيغ الحدث في العربية دلاليًا. سواءً أكانت هذه الأحداث أفعالاً بأزمتها الثلاثة (الماضي، والمضارع، والأمر) أم كانت صيغًا للمشتقات العربية. ويبين انطلاقاً من هذه القراءن أنَّ الدلالات تبني عليها، لا على ما حددَه علماء العربية ؛ الذين أَسَسُوا لكلَّ صيغة دلالة مسبقة تقاد تكون جامدة. فالأفعال بأزمتها والمشتقات بأنواعها تختلف دلائلاً المبنية على صيغها الشكلية. فقد تأتي دلالة صيغة الحدث مغایرة اعتماداً على القراءن المصاحبة للترانيم التي استُخدمت فيها. فصيغة الماضي قد تدلُّ على الحاضر أو المستقبل. وصيغة المضارع والأمر قد ترددان لغير ذلك. واسم الفاعل قد يرد دالاً على غير الحال أو الاستقبال، واسم المفعول قد يرد لغير من وقع عليه الحدث... ومحور ذلك كلُّ القراءن التي تصاحب الاستخدام اللغوي.

كلمات مفتاحية: دور القراءة، القراءن، الصيغة، الحدث.

### المقدمة

لقد أفرد النحاة العرب لدراسة الحدث في العربية -سواءً أكان هذا الحدث فعلًا أم اشتقاقًا- أبواباً شتى في كتبهم ومؤلفاتهم. لأنَّهم كانوا يميلون إلى أنَّ الحدث أصل التعبير عن التصرفات والأفعال والحركات. وربما اعتقدوا أنَّ لا حياة من دون حدثٍ يرتبط في معظم أشكاله بزمان محدد. والحدث عندهم نوعان: أفعال تحديدها صيغة صرفية ثابتة، مصنفة في أزمنة محددة بناءً على لحظة التكلُّم. ومشتقات مأنودة من تلك الأفعال بناءً على قوانين وصيغ محددة تدلُّ دلالاتٍ ثابتةٍ حيناً، ومتغيرةً أحياناً أخرى. ولكنَّ هذه الضوابط الدلالية قد تتغير بناءً على قراءن لفظية أو معنوية أو تبلُّدية (سياقية، مقامية، حالية...). وهذا ما جعلهم يبحثون عن افتتاح

\* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

دلالي من نوع خاص، وجدوه ملائماً أو ضرورياً في هذه اللغة التي تحمل من الدلالات ما لا يحصى من التعدد والتتنوع والمعنى. فأخذناوا يعبرون عن دلالة الصيغة الصرفية للماضي أو المضارع أو الأمر بدلالات تختلف عما رسم لها، أو حدد بناء على الصيغة. ووجدوا أن صيغة الماضي مثلاً قد تدل على الحال أو الاستقبال. وأن اسم الفاعل قد يدل على المفعولية، وأن اسم المفعول قد يدل على الحال أو الاستقبال. وعمادهم في ذلك كله القرائن المصاحبة للسياق.

وبناء على ذلك فإن البحث يتوجه إلى الوقوف على مسائلتين رئيستين: أولاًهما دور القراءة في دلالة صيغ الفعل الثلاثي المجرد ( فعل، يَفْعُلُ، افْعُلُ) على الزمان. وثانيهما دور القراءة في دلالة الأسماء المشتقة (اسم الفاعل، والمفعول، والصفة المشبهة، والتفضيل، والزمان والمكان). وهذه القراءة قد تكون لفظية، وقد تكون غير ذلك. ويصعب التفريق بينها في بعض الموضع. لأن الدلالة قد تعتمد على قرينة واحدة بعينها حيناً، وقد تعتمد على قرائن متداخلة أحياناً كثيرة.

الهدف من البحث: يهدف البحث إلى الوقوف على القرائن المصاحبة لصيغة المحدث في الجملة العربية، وبيان دورها في تحديد الدلالة وتتنوعها وتشعبها، ورصد ما وقف عليه النحاة منها تليجحاً أحياناً وتصرجاً أحياناً أخرى، وتتبّع هذه القرائن في التراث التحوي، ثم تصنيفها تصنيفاً مبنياً على الصيغ الاست夸افية وغير الاست夸افية. فقد تتّنّع الدلالة وتتعدّد تبعاً لما يصاحب الجملة من لواصق سابقة أو لاحقة، وقد يتغيّر المعنى من صيغة إلى أخرى، أو بناءً على سياق الحال أو المقام أو غير ذلك.

منهج البحث: يقوم البحث في معظمها على النهج الوصفي الذي يعتمد على قراءة الظاهرة ورصدها وتتبعها ثم وصفها وصفاً دقيقاً. ليتم بعد ذلك تصنيفها تصنيفاً يخدم الغرض المرجو. وقد ينحرف النهج عن ذلك إلى التحليل والتأويل وبيان الرأي وفق معطيات الجزريات البحثية للمادة المدروسة. سواء أكان ذلك على مستوى الأفعال بأربعة الصيغ الثلاث أم على مستوى صيغ المشتقات.

### **أولاً: دور القراءة في دلالة صيغ الفعل الثلاثي المجرد على الزمان:**

استعمل النحاة الصيغة الثلاث: فعل، يَفْعُلُ، وافْعُلُ للدلالة على الأزمنة التي يجري فيها الفعل أو الحدث، وهي الماضي، والحاضر، والمستقبل. والفعل عندهم "أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"<sup>١</sup> أي أبانية مشتقة من المصادر ؛ تدل

على حدث جرى في أحد الأزمنة الثلاثة، وذلك لأنّ الأزمنة حركات الفلك، فمنها حركة مضت، ومنها حركة لم تأت بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية<sup>١</sup>. وقد أطلق النّحاة على هذه الصيغ: الماضي، والمضارع، والأمر. بناء على دلالتها على الحدث والرّهن من جهة، ومشابهتها للأسماء من جهة أخرى.

وربما لم يبن قسم كبير من النّحاة تقسيمهم للفعل وفق استقراء شامل لاستعمالاته ولم يتقصّوا دلالاته، لأنّهم لم يتخلّوا في دراسة النّحو منهجاً لغوياً، فأبنية الأفعال لا تلازم زمناً بعينه لا تدلّ إلاّ عليه، لأنّ لها استعمالات متّوّعة تدلّ عليها صيغ مختلفة. والاستقراء اللغوي يدلّ على أنّ العربي لم يكتف بالصيغة التي أوردها النّحاة للدلالة على الأزمنة المختلفة، فالرّهن ليس قاصراً على الصيغة الثلاث الماضية والمضارع والأمر، بل إنّ الماضي قد يدلّ على التجدد أو الاستقبال<sup>٢</sup>؛ كقوله تعالى: {كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَبُوهُ} المؤمنون ٤٤. وقوله تعالى: {كَلَمَا تَضِيَّجَتْ جُلُودُهُمْ بِتَنَاهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} النساء ٥٦. وقد يدلّ المضارع على الثبوت أو الماضي<sup>٣</sup>؛ والأمر على الماضي أو الاستمرار. وكل ذلك تحدّد القرائن المتضادرة التي تساهم في تشكّل الدلالة وتكتوينها أو تحديدها.

وسوف نقف على دلالة صيغ الفعل المجرّد في العربية اعتماداً على قرائن لغوية تكون بالسابق واللّواحق أو معنوية مستفادة من سياق الحال أو الجملة أو المقام. وذلك كما يأتي:

### ١- دلالة صيغة الماضي

جعل النّحاة صيغة ( فعل) للدلالة على الرّهن الماضي يقول سيبويه: "أمّا بناء ما مضى فذهب، وسمّع، ومحكث، ومحمد"<sup>٤</sup> وللاحظ أنّ سيبويه يذكر جميع الصيغ الصرفية التي يردّ عليها الفعل الماضي في العربية من فتح عين الفعل وكسرها وضمّها إضافة إلى صيغة البناء لما يُسمّ فاعله. ويقول الرّجّاجي: "الماضي ما حسّنَ فيه أمسٍ، وهو مبنيٌ على الفتح أبداً، نحو: قامَ وقعدَ وانطلَقَ، وما أشبه ذلك"<sup>٥</sup> ويرى ابن جنّي أنّ المبني على الفتح من الأفعال جميع أمثلة الماضي<sup>٦</sup>. والماضي عند ابن عييش "ما

١ انظر: ابن عييش شرح المفصل ج ٧ ص ٤.

٢ انظر: كمال البدرى الرّهن في التّحمر العربي ص ١٢٧.

٣ الكتاب لسيبوه ج ١ ص ١٢.

٤ الرّجّاجي الحمل في التّحمر ص ٧.

٥ انظر: ابن جنّي اللّمع في العربية ص ٨٨.

عَدِيمَ بَعْدَ وُجُودِهِ، فَيَقُولُ الْإِخْبَارُ عَنْهُ فِي زَمَانٍ بَعْدَ زَمَانِ وُجُودِهِ<sup>١</sup>. وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ الْحَاجِبِ: "كُلَّ فَعْلٍ دَلَّ عَلَى زَمَانٍ قَبْلَ زَمَانِكَ"<sup>٢</sup> أَمَّا ابْنُ هَشَامٍ، فَيَكْتُفِي بِذِكْرِ عَلَامَةِ الْفَعْلِ الْمَاضِيِّ وَهِيَ قَبْولُ تَاءِ التَّأْنِيَّةِ دُونَ أَنْ يَعْرَفَهُ. يَقُولُ: "أَنْوَاعُ الْفَعْلِ ثَلَاثَةٌ: مَاضٌ، وَأَمْرٌ، وَمَضَارِعٌ. وَلِكُلِّ مِنْهَا عَلَامَةٌ تَدْلِيُّ عَلَيْهِ. فَعَلَامَةُ الْمَاضِيِّ تَاءُ التَّأْنِيَّةُ السَّكِّنَةُ كَفَامَتْ وَقَعَدَتْ.."."

وَيُلْاحَظُ مِنْ هَذِهِ التَّعَارِيفِ أَنَّ النَّحَّاَةَ اعْتَمَلُوا قَرِينَتَيْنِ لِفَظِيَّتَيْنِ رِئِيسَتِينِ فِي تَعْرِيفِ الْفَعْلِ الْمَاضِيِّ، هُمَا قَرِينَةُ الصِّيَغَةِ (فَعْلٌ) الدَّالَّةُ عَلَى الزَّمَانِ الْمَاضِيِّ، وَقَرِينَةُ الْبَنَاءِ (الْفَتْحَةُ) وَمَا يَتَبعُ الصِّيَغَةَ مِنْ لَوْاحِقٍ، كَتَاءُ التَّأْنِيَّةِ وَأَمْسٍ. كَمَا نَلَاحِظُ أَنَّ مُعَظَّمَ النَّحَّاَةِ لَمْ يَفْرَقُوا فِي تَعْرِيفِهِمْ بَيْنَ مَاضٍ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبٍ، بَلْ ذَكَرُوا قَرَائِنَ مَطْلَقَةٍ أَوْ عَامَّةً تَحْصِّنُ جُمِيعَ أَزْمَنَةِ الْمَاضِيِّ، وَلَمْ يَهْتَمُ أَعْلَمُهُمْ بِوُجُودِ قَرَائِنَ لِفَظِيَّةِ مِنَ السَّوَابِقِ وَاللَّوْاحِقِ تَشِيرًا إِلَى الدَّالَّةِ الْمُحْقِيقَةِ لِلْفَعْلِ الْمَاضِيِّ، وَمِنْ هَذِهِ الْقَرَائِنِ وَالدَّالَّاتِ:

١ - الدَّالَّةُ عَلَى وَقْعِ الْحَدِيثِ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِيِّ الْمَطْلَقِ، وَهُوَ الْعَالَبُ عَلَى اسْتِعْمَالِ صِيَغَةِ (فَعْلٌ)، نَحْوُ: ضَرَبَ زَيْدٌ عُمْرًا، فَالضَّرَبُ حَدَثَ جَرِيًّا فِي الزَّمَانِ الْمَاضِيِّ، وَلَكِنَّهُ لَا يَحْدُدُ بِدَقَّةٍ. قَالَ تَعَالَى حَكَاهُةً عَنِ النَّبِيِّ مُوسَى وَالْحَضْرُ (ع): {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا} الْكَهْفٌ ٦٥. وَقَوْلُهُ تَعَالَى حَكَاهُةً عَنِ السَّيِّدَةِ مَرِيمَ (ع): {فَأَجَاءَهَا الْمَحَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} مَرِيمٌ ٢٣. فَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ فِي أَزْمَنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْمَاضِيِّ، وَلَا يُعْرَفُ قَرِيبُهَا أَوْ بَعْدُهَا إِلَّا بِعِرْفَةِ زَمَانِ أَصْحَابِهِ فِي التَّارِيخِ الْقَرِيبِ أَوِ الْبَعِيدِ.

٢ - اسْتِمْرَارُ وَجْدَ الْحَدِيثِ مِنْدَ وَقْعَهُ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِيِّ، نَحْوُ: طَلَعَتِ الشَّمْسُ، أَصْدَرَ الْقَاضِي حَكْمَهُ، قَالَ الْمُؤْرِخُونَ...<sup>٤</sup>

٣ - وَقْعُ الْحَدِيثِ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِيِّ، وَذَلِكَ إِذَا اقْتَرَنَ الْفَعْلُ الْمَاضِيُّ بِقَرِينَةِ لِفَظِيَّةِ حَالِيَّةٍ، نَحْوُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الآنَ جَئْتَ بِالْحَقِّ} الْبَقْرَةُ ٧١. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {الآنَ حَصَّصَتِ الْحَقُّ} يُوسُفُ ٥١. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نَعْمَانِي وَرَضَيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا} الْمَائِدَةُ ٣ وَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الزَّمَانَ لَمْ يُفَهَّمْ مِنَ الصِّيَغَةِ، بَلْ مِنَ السَّيَاقِ وَالْقَرِينَةِ<sup>٥</sup>.

١ ابن بعین شرح المفصل ج ٧ ص ٤

٢ انظر: الرضي شرح الكافية ج ٢ ص ٢٢٢

٣ ابن هشام شرح شنور الذهب ص ٤٢، وانظر له: شرح قطر الندى ص ١٠٣ .

٤ انظر: عصام نور الدين الفعل والزمان ص ٥٤ - ٥٥ .

٥ انظر: كمال البدرى الزمان في النحو العربى ص ١١٠ .

٤ - انقطاع الحدث في الزمن الماضي، وغالباً ما يأتي الفعل الماضي هنا (كان)، نحو قوله تعالى: {قَدْ كَانَ فِرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ} البقرة ٧٥. وقوله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامٍ كَانَ حِلًا لِّبَنِ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ} آل عمران ٩٣.

٥ - الدلالة على المستقبل، وذلك إذا دلّ الماضي على الدّعاء، نحو قوله تعالى: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} المائدة ١١٩ ، وقولنا: رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ . ويدلّ على الزمان المستقبلي بقرينة لفظية، نحو قوله تعالى: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا} الإنسان ١١ . فقوله: "ذلك اليوم" صرفت زمن الفعل للمستقبل. وقد تكون القرينة حالية منصرفة للمستقبل، نحو قوله تعالى: {وَنَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ} الزمر ٦٨ . وقوله تعالى: {وَفُتُحَ السَّمَاءُ فَكَانَ أَبُوابًا} \* وَسَيِّرْتُ الْجَبَالُ فَكَانَ سَرَابًا} النبأ ١٩ ، وقد جاء الفعل بصيغة الماضي، لأنّه واقع لا محالة فجعل بمثابة الماضي المتحقق. ويأتي ( فعل ) للدلالة على المستقبل، مع الظرف الشرطيّ (إذا)، نحو قوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ} التصراي ، وقوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِرتَ} \* وَإِذَا النُّجُومُ انكدرَتْ} التكوير ٢-١ . وقد تكون القرينة اللفظية دالة على وعد أو وعيد تفيد المستقبل، نحو قوله تعالى: {وَسَيِّقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمِرًا} الزمر ٧١ . وقوله تعالى: {وَسَيِّقَ الَّذِينَ أَنْقَوْرَبُهُمْ إِلَى الْجَنَّةَ زُمِرًا} الزمر ٧٣ . وقوله تعالى: {إِنْ تَشَاءْ نُرْتَلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً} فظلت أعناقهم لها خاضعين} الشّعراء ٤ ، فظلت هنا بمعنى "تظلّ" أي: تدوم، وقد جاءت بصيغة الماضي هنا دالة على الحال بقرينة (إن) الشرطية.

٦ - ويأتي بناء ( فعل ) بعد (قد) دلالة على تحقق الفعل أو توقيعه، نحو قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتُشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا} المحادلة ١ ، يقول الرّخشري: "إذا قلت: ما معنى قد في قوله قد سمع؟ قلت: معناه التّوقع، لأنّ رسول الله (ص) والمحادلة كانوا يتوقعان أن يسمع الله تعالى بجادلتها وشكواها ويترى في ذلك ما يفرج عنها"<sup>١</sup> ، ويقول سيبويه "لَمْ يَفْعُلْ وَقَدْ فَعَلَ إِنْمَا هُمَا لِقَوْمٍ يَنْتَظِرُونَ شَيْئًا" <sup>٢</sup> . وعن الخليل: "يُقال قد فعل لقوم ينتظرون الخبر، ومنه قول المؤذن: قد قامت الصّلاة، لأنّ الجماعة متذودون لذلـك... وعبارة ابن مالك في ذلك حسنة، فإنه قال: إنما تدخل على ماض متوقع، ولم يقل إنما تفيد التّوقع وهذا هو الحق" <sup>٣</sup> . ولا تأتي (قد فعل) للدلالة

١ رمخشري المكشاف ج ٣ ص ٧٠

٢ الكتاب لسيبوه ج ٣ ص ١٤ - ١٥

٣ ابن هشام مغني اللبيب ص ٢٢٨ .

على التوقع دائمًا، فقد يكون سياق الحال دالاً على غير ذلك. يقول الزمخشري في قوله تعالى: {فَدُّلِجَّ الْمُؤْمِنُونَ} المؤمنون ١ "إنّ (قد) نقيضة (لَا)" فهي تثبت المتوقع، ولما تنفيه. ولا شكّ في أنّ المؤمنين كانوا متوقّعين مثل هذه البشاره وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم، فخطّطوا بما دلّ على ثبات ما توقعوه<sup>١</sup> ويخلص ابن هشام دلالة قد مع الماضي بأنّها تفيد التقريب، أي أنّ (قد فعل) تُستعمل لنقريب الماضي من الحال، تقول: قام زيدٌ، فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد، فإذا قلت: قد قام اختص بالقريب، وإنّ شرط دخولها كون الفعل متوقعاً، فتدخل على فعل ماض متوقعاً لنقريبه من الحال<sup>٢</sup> ويرى المرادي أنّ (قد فعل) تدلّ على معنى التّحقيق، أي تحقق وتأكد حدوث الفعل<sup>٣</sup>، كقوله تعالى: {قد أفلحَ المؤمنون} المؤمنون ١. وقوله تعالى: {قد أفلحَ مَنْ زَكَّاهَا} الشّمس ٩.

٧ - وتأتي هل منقطعة بمعنى قد، فتفيد التّقريب والتّوقع، كقوله تعالى: {قَالَ هَلْ عَسِيْتُ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَا تُقَاتِلُو وَمَا لَنَا أَلَا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا} البقرة ٢٤٦، قال الزمخشري: "والمعنى: هل قاربتم ألا تقاتلو، يعني هل الأمر كما توقعه أنكم لا تقاتلون. أراد أن يقول: عسيتم ألا تقاتلو بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال، فأدخل (هل) مستغهمًا عمّا هو متوقع عنده ومظنوّن، وأراد بالاستفهام التّقرير وتثبيت أنّ المتوقع كائن، وأنّه صائب في توقعه"<sup>٤</sup>.

٨ - وتدلّ صيغة (فعل) مسبوقة بقد كان على الماضي البعيد. كقوله تعالى: {فَذَكَرْتُ لَكُمْ أَسْوَةً حَسَنَةً فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ} المتحنة ٤، ولكنّ هذه الدلالة ليست ثابتة. ففي قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةً حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} الأحزاب ٢١ لا دلالة على الماضي البعيد؛ بل إن القراءن المقامية تشير إلى الماضي القريب لأن الآية الكريمة نزلت بالمجاهدين ورسول الله بين ظهاريهم. والدلالة هنا تشير إلى الحثّ على الاقتداء بالرسول الكريم في جهاده وصبره على قتال المشركيين.<sup>٥</sup>

٩ - وقد تدلّ صيغة (فعل) على الاستمرار والتجدد في الأوقات كلّها<sup>٦</sup>، كقوله تعالى: {وَقَصَّى}

١ زمخشري الكشاف ج ٣ ص ٢٥.

٢ انظر: ابن هشام مغني الليسب ص ٢٢٨ - ٢٣٠.

٣ انظر: المرادي الحجى النابي في حروف المعاني ص ٢٥٩ و مغني الليسب ص ٢٣١.

٤ زمخشري الكشاف ج ١ ص ٣٧٨.

٥ انظر: عصام نور الدين الفعل والزمن ص ٦٦.

٦ انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٨ ص ٤٥٣.

٧ انظر: كمال البدرى الزمن فى النحو العربى ص ١١٧.

رُبُكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدِينِ إِحْسَانًا} الإِسْرَاءَ ٢٣ . وَقُولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} الْبَقْرَةَ ١٨٣ .

١٠ - وتدلّ صيغة ( فعل ) مع الظرف ( لِمَا ) على وجود حدثين وقعوا في الماضي بحيث يتمّ الأول في اللحظة التي بدأ فيها الثاني<sup>١</sup> ، كقوله تعالى: { فَلَمَّا تَعَجَّنَاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ } الإِسْرَاءَ ٦٧ . وقوله: { فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ } آل عمران ٥٢ . وقد يكون في الجملة حدثان وقعوا في الماضي بحيث وجد الأول في اللحظة التي وجد فيها الثاني<sup>٢</sup> نحو قوله تعالى: { إِنْ كُثُرْ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ } المائدة ١١٦ .

١١ - وتدلّ صيغة ( فعل ) على المستقبل، وذلك بعد ( إِلَّا، ما الظَّرفِيَّةِ، لَوْلَا التَّحْصِيَّصِيَّةِ، حِيثُ، كُلُّمَا، سَوَاءِ).

## ٢- دلالة صيغة المضارع

أطلق النّحاة تسمية المضارع على صيغة (يُفعل) الداللة على الزّمن الحاضر، وذلك لمشابهتها اسم الفاعل في أكثر من مسألة (الحركات، المعنى، أماكن الاستخدام)؛ ولدخول حرفي الاستقبال عليها. وهي الصيغة الوحيدة المعربة من صيغة الأفعال. وإعرابها ليس مطلقاً، فقد يكون مقيداً بالبناء اللغطيّ. ولا بدّ لهذه الصيغة من أن تبدأ بأحد حروف المضارعة (أنيت) وذلك تبعاً للضمير الذي يسند إليه الفعل. ويسمّيها النّحاة حروفاً زوائد. يقول ابن السراج: " وأمّا الفعل المعرب فقد بيّنا أنه الذي يكون في أوله الحروف الزوائد التي تسمى حروف المضارعة. وهذا الفعل إنما أعرّب لمضارعته الأسماء وشبيهه بها "<sup>٣</sup> . ويقول ابن جنّي: " وأمّا المعرب فهو الذي في أوله إحدى الزوائد الأربع: المهمزة، والنون، والتناء، والياء"<sup>٤</sup> .

١ انظر: عصام نور الدين الفعل والزمن ص ٦٧ .

٢ انظر: المصدر السابق.

٣ ابن السراج الأصول في النحو ج ٢ ص ١٩٦ .

٤ ابن جنّي اللمع في العربية ص ٨٨ .

ويذهب كثيرون من النّحّاة إلى أنّ المضارع يفيد زمن الحال إذا خلا من القرائن الدلالة على زمانه بدقةٍ، ولكنّ هذه الدلالة غير ثابتة. إذ قلّما تخلو صيغة المضارع من قرينة لفظية أو غير لفظية تساهم في بناء المعنى وتحديد الدلالة التي تتوزّع كما يلي:

**أ - الدلالة على الحال:** ويدلّ المضارع على الحال بحسب القرائن اللفظية والمعنوية الآتية:

١ - اقتراه بظرف يدلّ على الحال مثل (الآن)، وما في معناه كالحين والساعة واليوم ولا مال الابتداء عند الكوفيين<sup>١</sup>، كقوله تعالى: {فاليوم نُتّجِيكَ بِيَدِنَّكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَفَكَ آيَةً} يونس ٩٢. وقوله تعالى: {قَالَ لَا تُشْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} يوسف ٩٢.

٢ - إذا نفي بـ(ليس)، لأنّها موضوعة لنفي الحال<sup>٢</sup> كقولك: ليس يضرّب زيد.

٣ - إذا نفي بـ(ما)، لأنّها موضوعة لنفي الحال. قال سيبويه: "إذا قال هو يفعل، أي هو في حال فعل، فإنّ نفيه ما يفعل"<sup>٣</sup> ومنه قوله تعالى: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي} يونس ١٥.

٤ - إذا نفي بـ(إن)، لأنّها موضوعة لنفي الحال<sup>٤</sup>، كقوله تعالى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَّا  
وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} النساء ١١٧، وقوله تعالى: {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَائِهِمْ كَبَرَتْ كَلْمَةٌ  
تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} الكهف ٥.

٥ - ويدلّ على الحال إذا افترن بـ(قد)، نحو قوله تعالى: {يَا قَوْمَ لَمْ تُؤْذُنُنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي  
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ} الصّفّ ٥. قال الزّمخشري<sup>٥</sup>: "(وَقَدْ تَعْلَمُونَ)" في موضع الحال، أي تؤذوني عالمين علمًا  
يقييناً أنّ رسول الله إليكم<sup>٦</sup>.

**ب - الاستمرار:** و لم يُفرد النّحّاة لهذه الدلالة عنواناً مستقلّاً، بل جعلوا نماذجها تابعة لدلالة  
الحال. ولكنّ الواقع اللغوي يشير إلى أنّ المضارع يدلّ على الاستمرار المطلق إذا افترن بقرينة معنوية،  
من مثل:

١ انظر: الرضي شرح الكافية ج ١ ص ٢١ و السبوطي مع المرامع ج ١ ص ١٧.

٢ انظر: السبوطي مع المرامع ج ١ ص ١٩ و عصام نور الدين الفعل والزمن ص ٧٣.

٣ انظر: ابن بعشن شرح المفصل ج ٧ ص ١١١.

٤ الكتاب لسيبوه ج ٣ ص ١١٧ وانظر: المرادي الحنفي اللداني ص ٣٢٩.

٥ انظر: الرضي شرح الكافية ج ٢ ص ٢٣١ السبوطي مع المرامع ج ١ ص ١٩.

٦ زمخشري الكشاف ج ٤ ص ٩٨.

١- بيان حدث وقع في أثناء التكليم، ولم ينته بانتهاء الكلام، نحو قوله تعالى حكاية عن المسيح (ع): {يَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} المائدة ١١٦. فعلمه تعالى لا ينقطع مطلقاً، بل هو باق ببقائه تعالى، يعلم ما في الأنفس من سرّ وجهر.

٢- إذا وقع في محلّ نصب على الحال، نحو قوله تعالى: {وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَكُونُ} يوسف، .١٦

٣- إذا دلّ على حقيقة ثابتة، نحو قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَرِعُ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ} آل عمران ٢٦، وقوله تعالى: {رَبِّي الَّذِي يُحِبِّي وَيُمِيَّتُ} البقرة ٢٥٨، وقوله تعالى: {يُولِّجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ} الحديد ٦. وتعني دلالة الفعل على الحقيقة الثابتة أنه لا يدلّ على زمن معين، بل يدلّ على الإطلاق.

**جـ- الدلالة على الاستقبال: وتتصحّح دلالة المضارع على الاستقبال من خلال مجموعة من القرائن اللفظيّة، منها:**

١- إذا اقترب بطرف يدلّ على الاستقبال، نحو، أراك غداً، ونقوم بعد ساعة.

٢- إذا سُبِّق بأحد حرف الاستقبال أو التنفيس، وهو السين وسوف. يقول المرادي: "فأمّا سين التنفيس، فمختصة بالمضارع، وتخلصه للاستقبال"<sup>١</sup>. كقوله تعالى {كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} الآية ٤ وكذلك سوف حرف تنفيس، يختص بالفعل المضارع، وتخلصه للاستقبال كالسين، وتتفّرق عنها بدخول اللام عليها<sup>٢</sup> قال تعالى: {وَكَسَوْفَ يُعْطِيكَ رُبُّكَ فَتَرَضِي} الصّحي<sup>٣</sup>.

٣- إذا سُبِّق بأدوات الشرط، فإنّها تدلّ معها على الاستقبال عاملة وغير عاملة<sup>٤</sup>، إلا لو، فإنّها موضوعة للدلالة على المضي<sup>٥</sup>، كقوله تعالى: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدُخَلًا لَوْلَا إِلَيْهِ وَهُمْ يَحْمَحُونَ} التوبه ٥٧. ويجب أيضاً أن يكون الجزء مستقبلاً، لأنّه يلزم الشرط الذي هو مستقبل، ولازم الشيء واقع في زمانه<sup>٦</sup>. كقوله تعالى: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدِوْهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ} آل عمران ٢٩.

١- المرادي الحجى الداوى ص ٥٩ وانظر: معنى الليسب ص ١٨٤.

٢- انظر: المرادي الحجى الداوى ص ٤٥٨ ومعنى الليسب ص ١٨٥.

٣- انظر: ابن السراج الأصول في النحو ج ٢ ص ١٥٨ والزجاجي الجمل في النحو ص ٢١٢.

٤- انظر: معنى الليسب ص ٣٣٧.

٥- انظر: الرضا شرح الكافية ج ٢ ص ٢٣٢.

٤ - إذا سُبِّقَ بِهِلْ فَإِنَّهُ يَدْلِلُ عَلَى الْاسْتِقبَالِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {هَلْ أَتَبْعَكُ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مَا عَلَمْتَ رُشْدًا} الكَهْفٌ ٦٦، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى بَجَارَةٍ تُسْجِيْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} الصَّفَّةُ ١٠ فَالدَّلَالَةُ فِي مَثَلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ دَلَالَةُ مُسْتَقْبَلَةٍ.

٥ - وَقُوَّةُ الْفَعْلِ بَعْدِ الْطَّلْبِ ١: كَفَعَلَ الْأَمْرُ فِي قَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): "صَوْمُوا تَصْحَّوَا" ، أَوْ لَامَ الْأَمْرَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَيَنْفَقُ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ} الطَّلاقُ ٧ ، أَوْ التَّرْجِيٌّ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى حَكَايَةً عَنْ مُوسَى (ع): {إِنِّي آنْسَتُ نَارًا لَعَلَّيْ أَتِيكُمْ مِنْهَا بَقِيسٌ} طَهُ ١٠ ، أَوْ التَّحْضِيصُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ} التَّمْلُ ٤٦ ، أَوْ التَّمْنَىٰ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَوْمَ أَحْدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةً} الْبَقْرَةُ ٩٦ ، أَوْ الدَّعَاءُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} الْبَقْرَةُ ٢٨٦ ، أَوْ النَّهَيُّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَيَّلُوا عَلَوْيٌ وَعَلَوْكُمْ أُولَيَاءُ} الْمُتَّهِنَةُ ١.

٦ - يَدْلِلُ الْمُضَارِعُ عَلَى الْاسْتِقبَالِ إِذَا جَاءَ بِعْنَى الْوَعْدِ أَوِ الْوَعِيدِ٢، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحُمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ} الْعَنكَبُوتُ ٢١.

٧ - وَيَدْلِلُ عَلَى الْاسْتِقبَالِ إِذَا سُبِّقَ بِأَحَدِ الْأَحْرَفِ النَّاصِبَةِ (أَنْ، وَلَنْ، وَكَيْ، وَإِذْنٌ)٣، أَوْ بِأَنْ مَضْمُرَةٌ بَعْدِ الْلَّامِ وَحْتَيٍّ، وَأَحْرَفِ الْعَطْفِ: الْوَاوُ، وَأَوْ بِعْنَى إِلَيْهِ، وَالْفَاءِ إِذَا سُبِّقَتْ بِهَا يَدْلِلُ عَلَى الْطَّلْبِ٤ وَهَذِهِ الْحُرُوفُ تَصْرِيفُ دَلَالَةِ الْمُضَارِعِ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، يَقُولُ ابْنُ السَّرَّاجِ: "فَقَوْلُكَ: لَنْ يَفْعَلَ، يَعْنِي: سَيَفْعَلُ فَكَلَاهَا دَالٌّ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ، لَأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفُ لَا يَدْخُلُنَّ إِلَّا عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ"٥ . وَيَقُولُ ابْنُ بَعْيشٍ: "إِذَا رَأَيْتَ الْفَعْلَ الْمُضَارِعَ مُنْصُوبًا، كَانَ مُسْتَقْبَلًا أَوْ فِي حُكْمِ الْمُسْتَقْبَلِ"٦ مِنْ ذَلِكَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {لَكُنْ تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مَا تُحِبُّونَ} آلُ عُمَرَانَ ٩٢ . وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُنْذِهَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} الْأَحْزَابُ ٣٣، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ}

١ انظر: المُصْدِرُ السَّابِقُ ص ٢٣١.

٢ انظر: الرَّضِيُّ شَرْحُ الْكَافِيَّةِ ج ٢ ص ٢٣١ وَالسَّبُوْطِيُّ هِمْعُ الْهَرَامِعِ ج ١ ص ٢١ .

٣ انظر: الْكِتَابُ لِسَيِّدِيْهِ ج ٣ ص ٥ وَشَرْحُ الْمَفْصِلِ ج ٧ ص ١٥ وَشَرْحُ قَطْرِ النَّدِيِّ ص ١٦٤ - ١٦٨ .

٤ انظر: الْكِتَابُ لِسَيِّدِيْهِ ج ٣ ص ٥ وَمَا بَعْدُهَا وَشَرْحُ الْمَفْصِلِ ج ٧ ص ١٨ وَمَا بَعْدُهَا وَابْنُ جَنِيِّ الْلَّمْعِ ص ٩٠ .

٥ ابن السراج الأصولي في النحو ج ٢ ص ١٩٧ - ١٩٨ .

٦ ابن بَعْيشٍ شَرْحُ الْمَفْصِلِ ج ٧ ص ٣٠ .

ريحكم} الأنفال ٤٦، ونحو قوله: سرت حتى أدخل المدينة، فإذا نصبت الفعل دل على أنك لم تدخل المدينة بعد بمعنى سرت إلى أن أدخل المدينة، وإذا رفعت الفعل أفاد ذلك داخليها وفي مسالكها.

**د - الدلالة على الماضي: ويدل المضارع على الماضي إذا اقترنت بإحدى القراءتين الآتية:**

١- إذا سبق بإحدى أدائي الجزم {لم} و {لمّا}، يقول ابن عبيش: "وَمَا لَمْ وَمَا فِيمَا يَقْلَدُ الْفَعْلُ الْحَاضِرُ إِلَى الْمَاضِي" <sup>٢</sup> ويقول سيبويه: "إِذَا قَالَ: فَعَلَ فَإِنْ نَفِيَ لَمْ يَفْعُلَ" <sup>٣</sup> وهذا يعني أن "لم" تبني حدوث الفعل مطلقاً، بينما تبني "لمّا" حدوث الفعل في لحظة التكلّم، ولكن يتوقع حدوثه، وهكذا يكون الزمن مع لما متداً أكثر منه مع لم. قال تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَأَوْيَ \* وَوَجَدَكَ ضَالًاً فَهَدَى} الصّحي ٧-٦. ونستدل بهذه الآية الكريمة على تغيير دلالة المضارع من الحاضر إلى الماضي من خلال عطف الماضي (وَجَدَكَ) على المضارع المنفيّ بلـم (يَجِدْكَ). وقال تعالى: {أَمْ حَسِبُتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ} آل عمران ١٤٢. وإذا سبقت لم وـلـما بشرط دلـل المضارع معهم على المستقبل، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بُلْغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبْكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ} المائدة ٦٧.

٢- إذا اقترنت بـ(إذ) الظرفية لما مضى من الزمان<sup>٤</sup>، كقوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ} البقرة ١٢٧، وقوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَثْبُتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} الأنفال ٣٠.

٣- إذا اقترنت بـ(لو) الشرطية<sup>٥</sup> يقول سيبويه: "وَمَا لَوْ فَلِمَا كَانَ سِيقُ لِوقْرَعِ غَيْرِهِ" <sup>٦</sup>، فهو تدل على تعلق فعل بأخر فيما مضى. فيلزم من حصول شرطها حصول جوابها <sup>٧</sup>، كقوله تعالى: {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ} يومن ١١، وقوله: {وَلَوْ أَشَاءَ جَعَلَنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ} الزخرف ٦٠.

٤- ويدل المضارع على الماضي إذا جاء الرواية حادثة أو قصة مضت، وقريتها هنا دلالية سياقية.

١ انظر: الرضي شرح الكافية ج ٢ ص ٢٤٣ - ٢٣٣.

٢ ابن عبيش شرح المفصل ج ٧ ص ٤١.

٣ الكتاب لسيبوه ج ٣ ص ١١٧.

٤ المرادي الحجى النابي ص ١٨٥ وانظر: سبويطي مع المramع ج ١ ص ٢٢.

٥ انظر: الرضي شرح الكافية ج ٢ ص ٢٣٢ عصام نور الدين والفعل والزمن ص ٨٦.

٦ الكتاب لسيبوه ج ٤ ص ٢٢٤.

٧ المرادي الحجى النابي ص ٢٧٤.

كقوله تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابَ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُم وَيَسْتَحْيِونَ نِسَاءَكُم} البقرة ٤٩، وقوله عزّ وجلّ: {أَسْتَكْبِرُهُمْ فَفِرِيقًا كَذَبُّهُمْ وَفِرِيقًا تَقْتَلُونَ} البقرة ٨٧. يقول الرّمخشري في ذلك: "إِنْ قَلْتَ هَلَّا قَيْلَ: وَفِرِيقًا قَتَلْتَمْ؟ قَلْتَ: هُوَ عَلَى وَجْهِينَ، أَنْ يُرَادُ الْحَالُ الْمَاضِيَّةُ، لَأَنَّ الْأَمْرَ فَطْيِعٌ، فَأُرِيدُ اسْتَحْضارَهُ فِي النُّفُوسِ وَتَصْوِيرَهُ فِي الْقُلُوبِ، وَأَنْ يُرَادُ وَفِرِيقًا قَتَلْتُهُمْ بَعْدَ، لَأَنَّكُمْ تَحْمُونَ حَوْلَ قَتْلِ مُحَمَّدٍ (ص) لَوْلَا أَنِّي أَعْصَمْهُ مِنْكُمْ"<sup>١</sup>

### ٣ - دلالة صيغة الأمر

مصطلح الأمر في العربية متسع شامل. إذ ليس شرطاً أن يكون الفعل في إعرابه أمراً ليدلّ على الأمر. فقد تكون دلالة الأمر مستفاداً من غير فعل الأمر؛ كاقتراح المضارع بلام الأمر مثلاً. وكدخول عناصر دلالية على صيغة غير أمرية؛ كدخول هل مثلاً على المضارع في قوله تعالى {وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمْمَيْنَ أَسْلَمْتُمْ} آل عمران ٢٠. أي أسلموا. وقد وقف النّحاة القدماء عند مثل هذا الإشكال. فأوجز بعضهم، وفضل آخرون تفصيلاً يعتمد في تحديده على العمق الدلالي<sup>٢</sup>؛ بعيداً عن شكلانية الصيغة. فسيبويه يجعله شكلياً مرتبطاً بالصيغة، يقول: "وَالْأَمْرُ وَالنَّهِيُّ لَا يَكُونُانِ إِلَّا بِفَعْلٍ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: زِيداً أَضْرِبْهُ، وَعُمْرًا امْرُرْ بِهِ ..".<sup>٣</sup> وابن يعيش يربطه بالطلب المنبني على الصيغة، ثم يفصل في سياق هذا الطلب ومقام الحال فيه؛ يقول: "اعلم أنَّ الْأَمْرَ مَعْنَاه طَلْبُ الْفَعْلِ بِصِيغَةِ مُخْصُوصَةٍ. وَلَهُ وَلِصِيغَتِهِ أَسْمَاءٌ بِحَسْبِ إِضَافَاتِهِ". فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له دعاء<sup>٤</sup>. ثم يحدد صيغته فيراها مبنية على النّظير قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء<sup>٥</sup>. ثم يحدّد صيغته فيراها مبنية على عناصر لفظية أخرى. فالأصل في الأمر - عنده - أن يقترن الفعل بلام الأمر، فأصل اضرب<sup>٦</sup> يتضرب.

غير أنها حُذفت منه تخفيفاً ولدلالة الحال عليه. وهو مبنيٌ على الوقف لتجدده من مضارعة الأسماء<sup>٧</sup>.

ويمكن إجمال دلالات صيغة الأمر المبنية على القرائن بما يلي:

١ - الاستقبال: وغالباً ما تكون دلالة فعل الأمر للاستقبال، لأنَّه طلب، والطلب يُؤَدِّي بعد زمان التكالّم<sup>٨</sup>، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِي حَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} الأنفال ٦٥. و إذا جاء في جواب

١ رمخشري الكشاف ج ١ ص ٢٩٥.

٢ الكتاب لسيبويه ج ١ ص ١٣٨.

٣ ابن يعيش شرح المفصل ج ٧ ص ٥٨.

٤ ابن يعيش شرح المفصل ج ٧ ص ٦١.

٥ انظر: كمال البدرى الزمن فى النحو العربى ص ٢٢٧.

إذا الشرطية، فإنه يدل على أمر متوقع حدوثه في المستقبل<sup>١</sup>، كقوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْرَاجًا} <sup>\* فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} التصر ١ - ٣</sup>

٢ - الاستمرار: وقد يدل على طلب الاستمرار بالعمل والمواطبة عليه، وذلك مبني على سياق النص، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوا مَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيْبًا} البقرة ١٦٨. وقوله تعالى: {وَأَمَّا بِنَعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثْتُ} الصحي ١١.

٣ - الماضي: وقد يفيد حكاية حال ماضية، وذلك بناء على ما يفهم من سياق الحال، كقوله تعالى: {قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَخْطِئُنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجْنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} النمل ١٨.

### ثانياً: دور القرينة في دلالة الأسماء المشتقة

سيقف البحث في هذا الجانب على دور القرينة في تتبع دلالات المشتقات الدالة على الحدث. سواء أكانت قرينة لفظية أم غير لفظية. وذلك ظنناً بأن هذه المشتقات تنتمي على أحداث واقعة – وإن لم يكن لها فاعل في جمل استخداماها – وأن دلالاتها عامة في تحديدها؛ متفرعةً متخصصة بناءً على قرائتها المصاحبة. سواء أكانت قرائن لفظية أم غير لفظية.

١ - دلالة اسم الفاعل: يُعرَفُ اسم الفاعل بأنه "الوصف [أي الاسم المشتق] الدال على معنى الفاعل الجاري على حركات المضارع وسكناته، كضارب ومُكْرِمٌ فهو الذي يجري على فعله. ويجوز أن تتعتَّ به اسمًا قبله نكرة كما تتعتَّ بالفعل الذي اشتُقَّ منه ذلك الاسم. ويدُكَرُ ويؤْتَى وتدخله الألف واللام، ويُجمع بالواو والنون، كال فعل، إذا قلت: يفعلون<sup>٣</sup>. ويشير عبد القاهر الجرجاني إلى أنَّ اسم الفاعل قد يكون أوضح من الفعل في دلالته على الحدث؛ يقول في قوله تعالى: {وَكُلُّهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالوَاصِيدِ} الكهف ١٨: "فَإِنَّ أَحَدًا لَا يُشَكُّ فِي امْتِنَاعِ الْفَعْلِ هُنَّا، وَإِنَّ قَوْلَنَا: كُلُّهُمْ يَسْطِعُ ذِرَاعِيهِ لَا يُؤْدِي الغَرْضَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الْفَعْلَ يَقْتَضِي مَزاْوِلَةً وَتَجْدِيدَ الصَّفَةِ فِي الْوَقْتِ، وَيَقْتَضِي الْأَسْمُ ثَوْتَ الصَّفَةِ وَحْصُولُهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَّاكَ مَزاْوِلَةً وَتَرْجِيَةً فَعْلٍ وَمَعْنَى يَحْدُثُ شَيْئًا

١ انظر: الكتاب لرسوبه ج ٤ ص ٢٣٢ وشرح المفصل ج ٩ ص ٤.

٢ ابن هشام شرح قطر الندى وبل الصدى ص ٤٨٧.

٣ ابن السراج الأصول في النحو ج ١ ص ١٢٢ وانظر: شرح المفصل ج ٦ ص ٦٨ وما بعدها.

فتبيّأ...<sup>١</sup>. ويقول سيبويه في العلاقة بين اسم الفاعل والفعل المضارع، مسيراً إلى عمل اسم الفاعل عمل فعله: " قوله: هذا ضاربٌ زيداً عدّاً. فمعناه وعمله مثل هذا يضربُ زيداً عدّاً. فإذا حدثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك. وتقول: هذا ضاربٌ عبدَ اللهِ السّاعة، فمعناه وعمله مثل هذا يضربُ زيداً السّاعة...<sup>٢</sup>".

وتشير القراءن إلى أنَّ اسم الفاعل يدلُّ على ما يأتي:

١ - الدلالة على الزَّمن الماضي، كقوله تعالى: {أَفَإِنَّ اللَّهَ شَكَّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} إبراهيم أي: فطر وخلق، فاسم الفاعل هنا يدلُّ على ثبوت الوصف في الزَّمن الماضي ودومته فيه بخلاف الفعل الماضي الذي يدلُّ على وقوع الفعل في الزَّمان الماضي لا على ثبوته ودومته. والكلام في الآية لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه.<sup>٣</sup>

٢ - الدلالة على الحال أو الاستقبال، ويحوز في اسم الفاعل أحدَهَا إذا كان مضافاً إلى معرفة، وكان صفة للنَّكرة. من ذلك: مررتُ بِرَجُلٍ ضاربٍكَ، فهو نعت على أنه سيضربه، كأنك قلت: مررتُ بِرَجُلٍ ضاربٍ زيداً، ولكن حذف التَّنوين استخفافاً. وإن أظهرت الاسم وأردت التَّخفيف والمعنى معنى التَّنوين، جرى مجراه حين كان الاسم مُضمراً، وذلك قوله: مررتُ بِرَجُلٍ ضاربٍهِ رجلٌ، فإن شئت حملته على أنه سيفعل، وإن شئت على أنك مررتَ به وهو في حال عمل<sup>٤</sup>؛ ومنه قوله تعالى: {هذا عارضٌ مُطْرُنَا} الأحقاف ٢٤.

٣ - الدلالة على الحال خالصاً. وقريتها هنا أن يكون منصوباً على الحال، كقوله تعالى: {فَمَا لَمْ عن التَّذكرة مُعرِضين} المدثر ٤٩، فإنَّ "معرضين" نصب على الحال، كقولك مالك قائماً.<sup>٥</sup>

٤ - الدلالة على الاستقبال خالصاً. وهذا الاستقبال قد يكون قريباً، وقد يكون بعيداً. والقرينة هنا سياق الحال، كقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} البقرة ٣٠، أي سأجعل بعد لحظة القول. وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ} فإذا سوتُه ونفخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لِهِ ساجدين<sup>٦</sup> ص ٧١-٧٢، أي سأخلق، ودليل الاستقبال هنا قوله (إذا

١ عبد الفاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ص ١٣٤.

٢ الكتاب لمسيبويه ج ١ ص ١٦٤.

٣ انظر: زمخشري الكشاف ج ٢ ص ٣٦٩.

٤ الكتاب لمسيبويه ج ١ ص ٤٢٥.

٥ زمخشري الكشاف ج ٤ ص ١٨٧.

سوّيته) و (قعوا) مما يعني أنّ الخلق لم يتمّ بعد، ولكن اسم الفاعل أفاد الإيحاء بأنّ الأمر سوف يتمّ ويشتّت لا محالة.

٥ - الدلالة على الاستمرار: وفرينة ذلك سياق الحال. كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالْحَبَّ وَالنَّوْسَيْ بُخْرُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَمُخْرُجُ الْمَيْتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ \*} فالْحَبَّ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا لِلنَّعَمِ ٩٥ - ٩٦، فقلق الحبّ والنّوى مستمرّ، وفي كل يوم يفلق الله الإاصباح<sup>١</sup>.

٦ - النّسبة إلى الحديث أو الصفة: يقول سيبويه: "وَأَمَّا مَا يَكُونُ ذَاهِيًّا مَا يَكُونُ ذَاهِيًّا مَا يَكُونُ فَعَالًا" (فاعلا) وذلك قوله الذي الدرّع: دارع، ولذي التّبّل: نابل، ولذي النّشّاب: ناشب، ولذي التّمر: تامر، ولذي اللّبن: لابن<sup>٢</sup>. ويشمل ذلك ما كان على وزن (فاعل) أو (فعيل) من الصّفات التي تختصّ بالمؤثّث دون أن تلحّقها تاء التّائيت. يقول سيبويه: "وَذَلِكَ قَوْلُكُمْ: امْرَأٌ حَاضِرٌ، وَهَذِهِ طَامِثٌ، كَمَا قَالُوا: نَاقَةٌ ضَامِرٌ، يُوصَفُ بِهِ الْمَؤَثَّثُ وَهُوَ مَذَكُورٌ... وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: مُرْضِعٌ، إِذَا أَرَادَ ذَاتَ رَضَاعٍ وَلَمْ يُجْرِهَا عَلَى أَرْضَعَتِهِ، وَلَا تُرْضِعُ، فَإِذَا أَرَادَ ذَلِكَ قَالَ: مَرْضَعَةٌ. وَتَقُولُ: هِيَ حَائِضَةٌ غَدًا لَا يَكُونُ إِلَّا ذَلِكَ، لَأَنَّكَ إِنَّمَا أَجْرَيْتَهَا عَلَى الْفَعْلِ، عَلَى هِيَ تَحِيَضُ غَدًا"<sup>٣</sup>، فقد دلّ إثبات تاء التّائيت في اسم الفاعل على وجود الفعل والحالة التي تصحّبه، ودلّ حذفها على معنى الوصفية والتّبّوت. ومن ذلك قوله تعالى: {يُوْمَ تَرَوْهَا تَنْهَلُ كُلُّ مُرْضِعٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ} الحجّ ٢. قال الزّمخشري: "فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ قَيْلَ (مُرْضِعٌ) دُونَ مُرْضِعٍ؟ قُلْتَ: الْمُرْضِعَةُ الَّتِي هِيَ فِي حَالِ الْإِرْضَاعِ مَلْقُمَةٌ ثَدِيَّهَا الصَّبَّيَّ، وَالْمُرْضِعُ الَّتِي شَأْنَاهَا أَنْ تَرْضِعَ وَإِنْ لَمْ تَبَاشِرِ الْإِرْضَاعَ فِي حَالِ وَصْفَهَا بِهِ، فَقَيْلَ: مُرْضِعَةٌ لِيَدِلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْلَ إِذَا فُوْجِيَتْ بِهِ هَذِهِ وَقَدْ أَقْتَمَ الرَّضِيعَ ثَدِيَّهَا نَزْعَتْهُ عَنْ فِيهِ لَا يَلْحَقُهَا مِنَ الدَّهْشَةِ"<sup>٤</sup>، ومثله قوله تعالى: {السَّمَاءُ مُنْفَطَرٌ بِهِ} المزمل ١٨، فلم يقل (مُنْفَطَرَة)، لأنَّ منفطر تدلّ على النّسبة إلى الانفطار، أي ذات انفطار<sup>٥</sup>.

١ زمخشري الكشاف ج ٢ ص ٣٨.

٢ الكتاب لسيبوه ج ٣ ص ٣٨١.

٣ الكتاب لسيبوه ج ٣ ص ٣٨٣ - ٣٨٤ وانظر: شرح المفصل ج ٦ ص ١٣ - ١٥.

٤ زمخشري الكشاف ج ٣ ص ٤.

٥ المصدر السابق ج ٤ ص ١٧٨.

٧- المفعوليّة: وقد تدلّ صيغة اسم الفاعل على معنى المفعوليّة<sup>١</sup>، كقوله تعالى: {خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِئٍ} الطارق ٦؛ أي: مدفوق، ومنه: هذا سُرُّ كاتمٍ، وهو ناصبٌ، وعيشةٌ راضيةٌ، وقول الشاعر: دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعُدْ فإنك أنت الطاعم الكاسي<sup>٢</sup>.

٨- المبالغة: ويكون ذلك من خلال صيغة مبالغة اسم الفاعل، وهذه الصيغة ذكرها سيبويه بقوله: "أجروا اسم الفاعل، إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر بمحراه إذا كان على بناء فاعل... فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى: فعل، وفعال، ومفعال، وفعلٌ. وقد جاء فعلٌ... يجوز فيه ما جاز في فاعل.."٣. والمبالغة معنى زائد على المعنى الأصلي، لذلك كانت دلالة الحديث و الزّمن في هذه الصيغة أقوى من دلالة اسم الفاعل الأصليّ، فالمبالغة تفيد التنصيص على كثرة المعنى كمًا أو كيًّا. وفيها زيادة تفيد معنى جديداً، لأنّ الأصل فيها النقل من شيء إلى آخر.

## ٢- دلالة اسم المفعول

اسم المفعول هو ما دلّ على حدثٍ مقتربٍ بمفعوله وفي تعريف آخر هو ما دلّ على الحدث والحدث وذات المفعول. وهو كاسم الفاعل مأخوذه من الفعل المضارع، ويجري عليه في حركاته وسكتاته وعدد حروفه. ولكنه مختلف عنه في أنه يدلّ على من وقع عليه الفعل، أو على الحدث والثبوت كما يسمونه<sup>٤</sup> وقد نظر اللغويون العرب إلى اسم المفعول على أنه صيغة دالة على وزن محمد<sup>٥</sup>، بعيدين - في معظم نظرهم - عن التركيب الذي تتّوّع فيه الدلالة بناءً على قرائن الحال أو المقام. وتدلّ القرائن مع اسم المفعول على الدلالات التالية:

١- القدرة: وذلك إذا كان اسم المفعول دالاً على ثبوت أو استقرار مقدرين أو محتومين لا تغيير فيهما. كقوله تعالى: {وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَا كَاتِبٌ مَعْلُومٌ} الحجر ٤، أي: يتزل العذاب بهم في الوقت المكتوب المقدر لذلک من قبل<sup>٦</sup>. ومنه قوله تعالى: {وَتُؤْرَقُ فِي الْأَرْحَامِ مَا تَشَاءُ إِلَى أَجْلٍ مُسْمَى} الحجّ ٥، أي: قُرْرَ لَه أَجْلٌ مُسْمَى مَعْلُومٌ في رحم أمه لا تغيير فيه أو انزياح عنه<sup>٧</sup>.

١ انظر: الرضي شرح الكافية ج ٢ ص ١٩٩ كمال البدرى والزمن فى النحو العربى ص ٢٧٠.

٢ انظر: ابن بعشن شرح المفصل ج ٦ ص ١٥.

٣ الكتاب لسيبوه ج ١١٠ وانظر: شرح المفصل ج ٦ ص ٧٠ - ٧٣ وشرح فطر الندى ص ٤٩٣.

٤ انظر: الرضي شرح الكافية ج ٢ ص ٢٠٣، وشرح المفصل ج ٦ ص ٨٠.

٥ انظر: طبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٤٢٦.

٦ المصدر السابق ج ٧ ص ٩٧.

٢ - الحال: والمرجح أنه يؤدي هذه الدلالة عندما يعرب حالاً. كقوله تعالى: {أَلَمْ يَرُوا إِلَى الطَّيْرِ مُسْخَرَاتٍ فِي جَوَّ السَّمَاءِ مَا يُمسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ} التحل ٧٩، وقولك: جاءَ زيدٌ مسروراً، وأخذَ عمراً موقفاً.

٣ - الاستقبال: ويلعب السياق اللغويّ وعناصر النص دوراً هاماً في الوقف على هذه الدلالة. كقوله تعالى: {ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لِهِ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} هود ١٠٣، أي: يُجمَعُ في يوم القيمة الناس كلهم للجزاء والحساب، ويشهدونه كلهم، دلالة على إثبات المداد وحصر الخلق<sup>١</sup>.

٤ - الاستمرار: نحو قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَحْدُودٍ} هود ١٠٨، وقوله تعالى: {وَاصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} في سِدِيرٍ مَحْضُودٍ \* وَظَلْمٍ مَمْدُودٍ \* وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} الواقعه ٣١-٢٧.

٥ - النسبة إلى الحدث أو الصفة: وقد يخلو التركيب من قرينة دلالة على معنى من المعاني السابقة. وتكون قرينة السياق دلالة على حدثٍ أو صفة ثابتتين. كقوله تعالى: {وَالْبَيْتُ الْمَعْوُرُ \* وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوعُ \* وَالبَحْرُ الْمَسْجُورُ} الطور ٤-٦، وقوله تعالى: {إِنَّكَ بِالوَادِي الْمُقْدَسِ طُورٌ} طه ١٢ وقوله تعالى: {وَقَالُوا ائْتُنَا الرَّحْمَنَ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادُ مُكَرَّمُونَ} الأنبياء ٢٦، ونحو قولك: زيدٌ مقرن الحاجبين، مفتول الساعدين. فاسم المفعول فيما سبق يدلّ على نسبة ما إلى الحدث أو الصفة.

### ٣ - دلالة الصفة المشبهة باسم الفاعل

الصفة المشبهة في العربية هي اسم اشتقاقي يدلّ على صفة ثابتة في صاحبه. وقد شبّهت باسم الفاعل لأنّها تدلّ على وصف أو حدث، وعلى فاعل. ولكنّها تختلف عنه في أنّ دلالتها على الوصف ثابتة. أمّا اسم الفاعل فدلالتها طارئة. فهي إذاً "ضرب من الصفات تجري على الموصوفين في إعراضها جري أسماء الفاعلين، وليس مثلها في جرياتها على أفعالها في الحركات والسكنات وعدد الحروف، وإنما لها شبهها من قبل أنها تذكّر وتؤثّث وتدخلها الألف و اللام وتشّي وتحمّ بالواو والنون. فإذا اجتمع في النّسق هذه الأشياء شبّهوه بالأسماء الفاعلين فأعملوه فيما بعده"<sup>٢</sup>. وللصفة المشبهة أوزان كثيرة تبلغ أربعة عشر وزناً. وقد تلبّس أوزانها بأوزان اسم الفاعل وصيغة مبالغته. وهذا ما جعل بعض علماء العربية يضعون ضوابط بينهما لإزالة هذا البُّس. ومحور هذه الضوابط كلّها هو

١ المصدر السابق ج ٥ ص ٢٤٦

٢ ابن بعشن شرح المفصل ج ٦ ص ٨١

الدلالة. فإذا كانت الصيغة دالّة على ثبوت ودوم من دون انقطاع كانت صفة مشبهة. وإذا كانت دالّة على انقطاع أو تجدد أو عَرَضٍ فهي اسم فاعل.

وتلعب الصيغة القياسية للصفة المشبهة دوراً محوريّاً في تحديد الدلالة فتكون في أغلب الأحيان قرينة لفظية. ويمكن إيجاد دلالات الصفة المشبهة بما يلي:

١ - الأدواء الظاهرة، واللون، والعيوب، والخلية، وهي صفات لازمة لصاحبها، وغالباً ما تكون في وزن: أَفْعَلْ وَمُؤْتَهْ فَعْلَاءُ، وَفَعْلَانْ وَمُؤْتَهْ فَعْلَى، نحو: أحمر، حمراء، أبور، عوراء، أكحل، كحلاء. ونحو: عطشان، عطشى، حيران، حيرى.

٢ - الغرائز والسمحيات، وهي أيضاً صفات ملزمة لصاحبها، وغالباً ما ترد مع الأوزان: فَعَلْ، فَعَالْ، فَعَالْ، نحو: حَسَنْ، شُجَاعْ، جَبَانْ... كما نجدتها في وزن فَعِيل مثل: عَلِيمْ، وَحَكِيمْ، وَكَرِيمْ، وَخَفِيفْ.

٣. الحدوث أو التجدد، وفي هذه الحال يُعدّ عن استعمال صيغة الصفة المشبهة إلى صيغة اسم الفاعل. يقول ابن عييش: "فإن قُصِدَ الحدوث في الحال أو في ثانية الحال جيء باسم الفاعل الجاري على المضارع التَّدَالُّ على الحال أو الاستقبال، وذلك قوله: هذا حاسنٌ غداً، أي سَيَحْسُنُ، وكارمٌ السَّاعَةَ... وعلى هذا تقول: زيدٌ سَيِّدٌ جوادٌ ترید أَنَّ السِّيَادَةَ وَالجُودَ ثَابِتَانَ لَهُ، فإذا أردت الحدوث في الحال أو في ثانية الحال، قلت: سائدٌ وجائدٌ"٢. ومنه قوله تعالى: {فَلَعِلَّكَ تَارِكَ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَصَائِقَ بِهِ صَدِرُكَ} هود ١٢؛ فعدل عن ضيق إلى ضائق، ليدلّ على أنه ضيق عارض في الحال غير ثابت.<sup>٣</sup>.

#### ٤ - دلالة اسم التفضيل

اسم التفضيل اسم مشتقّ، يضاف على وزن أفعال للمذكّر وفُعلٍ للمؤنث. وله ثلاثة حالات هي: التّحرّد من "الـ" والإضافة. والاقتران بالـ. والجيء مضافاً ومعناه عند التسخة صفة دالّة على أنّ شيئاً اشتراكاً في صفة ما فزاد أحدهما على الآخر. فعماد دلاته المحددة هو المشاركة والزيادة. ولكنّ هذه الدلالة قد لا تكون ثابتة. فقد تتغيّر بناءً على القرائن المصاحبة، وذلك كما يلي:

١ انظر: الكتاب لسيبوه ج ٤ ص ١٧ وما بعدها و الدكتورة صفيحة مطهرى الدلالة الإيجابية ص ١٨٨ و الدكتور محمد خير حلوانى الراضحى فى الصرف ص ٢٣٠ - ٢٣١.

٢ ابن عييش شرح المفصل ج ٦ ص ٨٣.

٣ انظر: المصدر السابق و طبرسى مجمع البيان فى تفسير القرآن ج ٥ ص ١٨٧.

١- الانفصال: ويعني انفصال المفضل عن المفضولين أو دخوله في جملتهم. والقرينة الملازمة هي "من" "الجارّة"، فإذا قلت: زيد أفضل منكم، وزيد أفضلكم واحد. إلا أنّ زيداً في الجملة الأولى ليس داخلاً في جملة المفضولين، أمّا إذا أضفته فهو واحد منهم، لكنه أفضلهم<sup>١</sup>.

٢- الزّيادة: وقد يدلّ اسم التفضيل على زيادة في وصف غير مشرتك، كقولك: العسل أحلى من الخلّ. فاسم التفضيل أحلى ليس وصفاً مشرتكاً بين العسل والخلّ، لكنه يدلّ على أنّ العسل في حلاوته زائد على الخلّ في حموضته كأنك تريد أن تقول: إذا مُزج بينهما طغت حلاوة العسل على حموضة الخل<sup>٢</sup>.

٣- الشّبوت: أي ثبوت الصفة واستمرارها، وذلك نحو قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَدْلِلُ الْخَلْقَ بِمَا يُعِدُهُ وَهُوَ أَهونُ عَلَيْهِ} الروم ٢٧. وعلى الرغم من اختلاف العلماء في معنى اسم التفضيل أهون، فالراجح أن يكون المعنى هو هين عليه، وذلك نحو قولك: الله أكبر، أي كبير لا يدانه أحد في كبرياته . فهو تعالى قادر دائماً لا يصعب عليه شيء. ومنه قول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَيْنَ لَنَّا  
بَيْنًا دَعَائِمَهُ أَعْزُّ وَأَطْوَلُ

فليس المقصود من اسمي التفضيل أعز وأطول المفاضلة والزيادة، بل بما يعني عزيزة وطويلة دائماً وأبداً، ثابتة مستمرة لا انقطاع فيها.

#### ٤- دلالة اسمي الزّمان والمكان

اسم الزّمان والمكان مشتقان من الفعل للدلالة على زمانه أو مكانه. وإذا كان الزّمان أو الزّمن اسم يُؤتى به للدلالة المطلقة على الوقت قليلاً وكثيره، فإنّ اسم الزّمان أو المكان مقيدان بالدلالة على وقت أو مكان محددين وقع فيما الفعل، وهو صنوان متلازمان لا يستعملان إلا معاً. "والغرض من الإثبات بهذه الأبنية ضرب من الإيجاز والاختصار، وذلك أنك تفيد منها مكان الفعل وزمانه، ولو لاها لرمك أن تأتي بالفعل ولفظ المكان والزّمان".<sup>٣</sup> ويسمي سيبويه اسم الزّمان بالجين، واسم المكان باسم الموضع<sup>٤</sup> ويُشتقان من الفعل الثّلاثي على وزن (مفعّل أو مفعّل)، ومن فوق الثّلاثي على وزن اسم

١ انظر: ابن بعشن شرح المفصل ج ٦ ص ٩٦.

٢ انظر: الدكتورة صفية مطهري الدلالة الإيجازية في الصيغة الإفرادية ص ١٩٣.

٣ انظر: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٩٠.

٤ انظر: الدلالة الإيجازية ص ١٩٥ و ١٩٧.

٥ ابن بعشن شرح المفصل ج ٦ ص ١٠٧.

٦ انظر: الكتاب لسيبويه ج ٤ ص ٨٧ - ٨٨.

المفعول. ودلالتهما على الزّمان أو المكان هي دلالة صيغًا من أجلها. إلّا أنّها ليست ثابتة. إذ قد تترنّج دلالتهما الأصلية بدلالات أخرى؛ مستفادة من القرائن المصاحبة للنص الذي ترددان فيه:

١ - الدلالة على زمن الحدث أو مكانه مقيّدة بقرينة دلالة على الزّمان أو المكان، وذلك نحو قوله تعالى: {إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقُرْبٍ} هود ٨١. فاسم الزّمان موعد مقيّد ومحدّد بقرينة لفظيّة زمانية هي الصبح. ومن ذلك قول الشنفري:

وَفِي الْأَرْضِ مَنْأَى لِكَرِيمٍ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلْيَ مُتَعَزِّلٌ  
فَاسْمًا الْمَكَانِ مَنْأَى مِنَ النَّأَيِّ، وَهُوَ الْبُعْدُ، وَمُتَعَزِّلٌ مِنَ التَّعَزُّلِ، وَهُوَ الْاِنْعَرَالُ افْتَرَنَا بِقَرِينَةِ لَفْظِيَّةِ  
هِيَ كَلْمَةُ الْأَرْضِ قَيْدَهَا وَحَدِّدَهَا.

٢ - الاستمرار: كقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} التّابُور ١١، أي وقت العيش وكسب الرزق تتبعون فيه من فضل ربكم ، وهو حالة دائمة مستمرة. ومنه قوله تعالى:

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقِرٌ وَمُسْتَوْدِعٌ} الأنعام ٩٨، أي: مستقر في الرحم حتى الولادة، ومستودع في أصلاب الآباء، وقيل: مستقر على ظهر الأرض في الدنيا، ومستودع عند الله في الآخرة <sup>٣</sup> ومعلوم أن هذه حال النفس المخلوقة دائمًا.

٣ - المستقبل: كقوله تعالى: {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الرِّيْنَةِ} طه ٥٩. وقوله تعالى: {إِنَّ مَوْعِدَهُمُ  
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقُرْبٍ} هود ٨١. ومن دلالة اسم المكان على المستقبل قوله تعالى: {أُولَئِكَ  
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} النساء ١٢١. أي: إن جهنّم مستقر الدين اتخذوا الشيطان ولنّا من دون الله، وذلك في المستقبل، في يوم القيمة حين يحاسبهم ربهم <sup>٤</sup>.

٤ - التكثير والبالغة: وقرينة هذه الدلالة اسم المكان الجامد، " وذلك إذا أردت أن تكثّر الشيء بالمكان، وذلك قوله: أرض مسبعة، ومسدّة، ومذابة..". وهذا الضرب من الأسماء يدل على صفة الأرض التي تكثّر فيها أشياء ما، فقولك: مأسدة دال على أرض تكثّر فيها الأسود، والمذابة أرض تكثّر

<sup>١</sup> انظر: الدلالة الإيجائية ص ١٩٦ والواضح في الصرف ص ٢٣٣.

<sup>٢</sup> المصدر السابق ج ١٠ ص ٥٣٧.

<sup>٣</sup> المصدر السابق ج ٤ ص ٤٢٤.

<sup>٤</sup> الدلالة الإيجائية ج ٣ ص ١٤٣.

<sup>٥</sup> الكتاب لسيسيويه ج ٤ ص ٩٣.

فيها الذّتاب، وهكذا.. وقرينة هذا الاسم اشتقاقة من اسم حامد هو المقصود بالتكلّم، كأسد، وذئب، وأفعى.. على وزن اسم المفعول لما فوق الثّالثي ملحّقاً به الماء، فتقول: مُأْسَدَة، ومَذَبَّة، ومَفَعَّة..

#### الخاتمة

حاول البحث أن يرصد الدلّالات الزّمنية لصيغ الحدث من خلال قرائن اللّفظ والمعنى السياقي، فدلّ في القسم الأوّل منه على أنّ الفعل العربي الثّالثي الجرد يشتمل في صيغه جميعها دلائل الحدث والزّمن معاً. كما وضح أنّ الصيغة الفعلية الثّلاث ( فعل ) و ( يَفْعُلُ ) و ( أَفْعَلُ )؛ التي قرناها النّحاة بأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، تخرج من خلال قرائن اللّفظ كالسوابق واللّواحق، وقرائن المعنى الحصول من السياق إلى دلالات أخرى مغايرة لما وضعه النّحاة لها، فقد يُحكي المستقبل والحال بلغظ الماضي، وقد ينقلب زمن المضارع إلى الماضي إذا جرّم، أو إلى المستقبل إن وقع شرطاً. كما أنّ دلالة فعل الأمر قد تتعدّى المستقبل، فتدلّ على المستقبل المستمر، نحو صيغ الوعد والوعيد، أو على الماضي إذا كان حكاية لما مضى. وكان لأدوات المعنى دورها المتميّز في الوقوف على كثير من الدلّالات كما رأينا في (قد، إلا، لولا، لما، حيث، كلّما، ليس، ما، إن، التسويف . . . إلخ).

وأظهر البحث في القسم الثاني منه أنّ اقتران دلالة الحدث بالزّمن لا تقتصر على الفعل وحده، بل قد تتعدّى ذلك إلى الاسم المشتق، نحو اسمي الفاعل والمفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسمي الزّمان والمكان، فلقرائن المعنى السياقي دور هام في توجيه دلالات الزّمنية، نحو الماضي، أو الحاضر، أو الثّبوت والاستمرارية.

**مكتبة لسان العرب**  
[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

المصادر والمراجع  
 القرآن الكريم.

- ١ - أبي بكر محمد بن سهل بن السراج الأصولي في النحو تحقيق: عبدالحسين الفتلي ط٤  
 بيروت: مؤسسة الرّسالة ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م.
- ٢ - الزّجاجي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الجمل في النحو تحقيق: علي توفيق الحمد ط١  
 بيروت: مؤسسة الرّسالة ١٩٨٤ م.

- ٣ - المرادي الحسن بن أم قاسم الجعفي الذاي في حروف المعاني تحقيق: فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل ط١ بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٩٢ م.
- ٤ - الجرجاني عبد القاهر دلائل الإعجاز في علم المعاني علّق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا مصر: دار المنار ١٣٦٦ هـ.
- ٥ - مطهري صفيحة الدلالة الإيمائية في الصيغة الإفرادية دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٣ م.
- ٦ - البدرى كمال إبراهيم الزمن في النحو العربي ط١ رياض ١٤٠٤ هـ.
- ٧ - ابن هشام شرح شنور الذهب في معرفة كلام العرب ومعه كتاب: منتهى الأرب بتحقيق شرح شنور الذهب محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة: دار الطلائع ٢٠٠٤ م.
- ٨ - ابن هشام شرح قطر الندى ويل الصدى تحقيق: الدكتور أimen عبد الرزاق الشوّا ط١ دمشق: دار المدى والرّشاد ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧ م.
- ٩ - الأستراباذي رضي الدين شرح كافية ابن الحاجب بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- ١٠ - موفق الدين شرح المفصل ابن يعيش النحوى مكتبة المتتبى القاهرة.
- ١١ - نور الدين عصام الفعل والزمن ط١ صيدا لبنان: المؤسسة الجامعية ١٩٦٤ م.
- ١٢ - سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قبر الكتاب تحقيق: عبد السلام محمد هارون القاهرة: دار القلم ١٣٨٥ هـ، ١٩٦٦ م.
- ١٣ - الزمخشري محمود بن عمر الكشاف عن حفائق غوامض التتريل بيروت: دار المعرفة.
- ١٤ - أبي الفتح عثمان بن جنني اللمع في العربية تحقيق: سميح أبو مغلي عمان: دار مجلدوی للنشر ١٩٨٨ م.
- ١٥ - الطبرسي أبي علي الفضل بن الحسن مجمع البيان في تفسير القرآن وقف على تحقيقه: السيد هاشم الرسولي الحلالى ط١ بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
- ١٦ - ابن هشام الأنصارى مغني اللبيب عن كتب الأعارات تحقيق: مازن المبارك و محمد علي حمد الله ط٥ مؤسسة الصادق ١٣٧٨ هـ.
- ١٧ - السيوطي جلال الدين بن أبي بكر همع الهوامع في شرح جمع الجموم في علم العربية ط١ مصر: مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ.
- ١٨ - خير الحلوي محمد الواضح في النحو والصرف ط٢ دمشق: دار المأمون للتراث ١٩٧٨ م.